ابنُ النّديمِ لروائعِ التّراث

الصَّحيحُ مِنْ أخبارِ البِحارِ وعجائِبِها



تأليف

أبي عِمرانَ موسى بنِ رباحٍ الأوسيِّ السّيرافيّ

« مِنْ أعلامِ القرنِ الرّابعِ الهجريّ »

تحقيق

يوسف الهادي

دار اقرأ

ابن النّديم لروائع التّراث



الصّحيح من أخبار البحار وعجائبها

تأليف
أبي عمران موسى بن رباح الأوسيّ السّيرافيّ
« من أعلام القرن الرّابع الهجريّ »

تحقيق
يوسف الهادي

اسم الكتاب: الصحيح من أخبار البحار وعجائبها
المؤلف: موسى بن رباح الأوسي السيرافي
المحقق : يوسف الهادي
عدد الصفحات : ٣٠٤
قياس الصفحة: ١٧×٢٤
نوع التجليد: غلاف
عدد النسخ: ١٠٠٠
رقم الطبعة: الأولى
التنضيد والإخراج: محمد البغدادي

دار اقرأ
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية ـ دمشق ـ ص.ب: ٥٩٥٧
تلفاكس: ٢٢٣٩٠٣١ - ١١ - ٠٠٩٦٣
لبنان ـ بيروت ـ هاتف: ٦٥١٣٢٧-١-٠٠٩٦١

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

الصحيح من أخبار البحار وعجائبها ؛ تأليف أبي عمران موسى بن رباح الأوسي السيرافي ؛ تحقيق يوسف الهادي. دمشق دار اقرأ، ٢٠٠٥ - ٣٠٤ص ؛ ٢٤سم. (ابن النديم لروائع التراث).
١ - ٣٩٨,٢ س ي ر ص ٢ - العنوان ٣ - السيرافي ٤ - الهادي ٥ - السلسلة
مكتبة الأسد

الإهداء

إلى أستاذي الجليل الدكتور عادل جاسم البيَّاتيّ
وإلى نُبْلِهِ العراقيِّ الذي هو شَعيرةٌ مُقَدَّسَةٌ لَدَيْهِ
كنتَ المؤاسي يومَ كانَ القَلْبُ غرِيباً
وإلى أُمِّ الدُّنيا بغداد، بغداد صِباي وشَبابي
بغداد الأَزَل، التي عاشت الجدَّ دونَ الهَزَل.

رَنَا إلى الكَرْخِ فانثالتْ عَلَيهِ دَمَا ... آمالُ قلبٍ ذَوَتْ حتَّى هَوَتْ حُلُمَا
وللرُّصافةِ فاجتاحتْهُ خانِقَةٌ ... من الأسى غُودرتْ في القلبِ مرتَطَما
فَعَادَ يومَ بَكَتْ في الدَّوْحِ ساجِعةٌ ... حينَ الرَّحيلِ وعادَ القلبُ منثلِمَا
وَضَعْتُ كفِّيَ في كفَّيكِ فانتحبتْ ... أناملٌ أَدْرَكَتْ هَولَ الذي قَدِمَا
عينٌ تَشَفَّتْ غَداةَ البَيْنِ ما رَقَأَت ... دموعُها وقَضَتْ من حسرةٍ نَدَمَا
بغدادُ والعمرُ مذبوحٌ على وَتَرٍ ... صَحَا على عزفِهِ جرحُ الهوى نغَمَا
أتذكرينَ وقد ألقيتُ مكتئباً ... تحيَّتي واقتحمتُ الشَّوكَ والظُّلَمَا
إلى المنافي التي ظَلَّت تعاتبني ... بأنَّ جرحيَ من ذكراكِ ما التَأَمَا
حمامةَ القلبِ يابغدادُ، وانتفضتْ ... أزكى الطيوبِ وماج الشوقُ واحتَدَمَا
أتعبتِ قلبيَ عشقاً والضلوعَ لظىً ... ومقلتيَّ سُهاداً والمُنى هِمَمَا

خمسٌ وعشرون مُذ أودعتُ أغنيتي … سعفَ النخيلِ على شَطَّيكِ مُبْتَسِمَا

حيثُ الهوى في روابي الكَرخِ ما فتِأت … طيوفُـــهُ تســتجيشُ الهَـمَّ والألَمَـــا

أعــــود ظِـلاًّ لوجـــهٍ كنـتِ نضرتَـــه … قـد ظـل وجهُـك في عينيـه مرتسـما

هـذا الحطـامُ الـذي يأتيـكِ ملتفعـاً … أكفانَـه وهـو ضـاوٍ مـن أسـىً سَـقَمَا

هذا المهيضُ جناحاً والثقيلُ خُطىً … هـو الغُصَـينُ الـذي دلَّلـتِهِ فَنَـمَا

مدِّي ذراعيكِ هذا طفلكِ اضطربت … رجـلاه أنَّـى يَـرُدُّ الـوَهْنَ والهَرَمَـا

دمـي العـراقُ، إذا مانبضـةٌ وَهَنَـتْ … في قلبـهِ كنـتُ فيهـا الـرُّوحَ والضَّـرَمَا

دمـي العـراقُ، إذا مـا راع مقلتَـهُ … هَـمٌّ سَـكَبْتُ لـه مِـن مُقْلَـتيَّ دَمَـا

دمي العراقُ، دموعُ القلبِ ياوطني … لثغـــرِكَ انتظمـــتْ دُرّاً لِيَبْتَسِـــمَا

غَنَّيـتَ فابتسـمَ التـاريخُ وانبعثـتْ … مِـن الـرَّدى رِمَـمٌ صَـيَّرتها أُمَمَـا

صنعتَ أشرفَ مـا في روحِها قِيَمَاً … أهـديتَها العِلْـمَ والآدابَ والحِكَمَـا

مـا أنصـفتكَ وقـد قـاءتْ مـدافعُها … ـ تَرُدُّ دَيْنَكَ ـ تسقيكَ الرَّدى حِمَمَا

◆◆◆

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

من أبرز ما يُلاحظ في كتابنا ***الصحيح من أخبار البحار وعجائبها*** الذي طُبع قسمٌ مختصرٌ منه فيما مضى باسم ***عجائب الهند***، اعتماداً على مخطوطة ناقصة سقطت أسماء أغلب رواتها، ونُسِبَت خطأً إلى بزرك بن شهريار الرامهرمزيّ، هو كثرةُ السِّيرافيين[1] أو النَّجَيْرَميين[2] ممن ترد أسماؤهم فيه بوصفهم رواة أو صانعي وقائع، مما يدل على وجود علاقة بين مؤلِّفه وبين مواطني هاتين البلدتين: سيراف ونَجَيْرَم (إحدى قرى سيراف)، الذين يقول عنهم المسعودي وهو يضيف إليهم العُمَانيين: «نواخذة بحر الصين والهند والزّنج واليمن والقُلْزُم والحبشة من السيرافيين والعُمَانيين»، أو البصريين ليقول: «أهل المراكب والتجار من أهل البصرة وسيراف وعُمَان وغيرهم ممن قطع هذه البحار»، ويسمّيهم حيناً «أرباب المراكب من السيرافيين والعُمَانيين»[3].

ولأهمية نَجَيْرَم وصلتها الوثيقة بكتابنا وأخباره نقول إنه توجد نَجَيْرَم القرية التي قال المسعودي إنها من بلاد سيراف، أما الأخرى فهي محلّة بالبصرة. يقول

---

(١) هي ميناء طاهري الحالي في إيران. توجد على السهل القريب من الشاطئ الواقع في غرب طاهري، المدينةُ الإسلاميةُ القديمةُ سيرافُ، وتمتد لمسافة ميلٍ أو أكثر على طول الساحل، ولمسافة أخرى على صخور التلال حتى حدود التلال ذاتها، وهي الآن مجرّد أكوام حجرية (*دليل الخليج*، ٧/ ٢٤١٩).

(٢) نسبة إلى نَجَيْرَم وهي من بلاد سيراف (*مروج الذهب*، ١/ ١٢٨).

(٣) *مروج الذهب*، ١/ ١٣٤، ١٥١، ١٨٤.

السمعاني: «نَجَيْرَم ويُقال نجارم، محلة بالبصرة»[1]، ويقول ابن خلكان: «ظاهر الحال أن جماعة من أهلها دخلوا البصرة وسكنوا هذه المحلة فسميت باسم بلدهم»[2]، ومن خلال مراجعتنا لتراجم جمع كبير من الذين يحملون نسبة النَّجَيْرَمي، وجدنا أن المقصود هو هذه المحلَّة من محلات البصرة التي يسكنها مهاجرون من قرية نَجَيْرَم القريبة من سيراف، وكان بعضهم يحمل لقب البصري فضلاً عن النَّجَيْرَمي أو سُمع منه الحديث وغيره في البصرة[3]. ويقول ياقوت: «نَجَيْرَم: بليدة مشهورة دون سيراف مما يلي البصرة على جبل هناك على ساحل البحر. رأيتها مراراً، ليست بالكبيرة ولا بها آثار تدل على أنها كانت كبيرة أولاً. فإن كان بالبصرة محلة يُقال لها نجيرم فإنهم ناقلة هذا الاسم»[4]، وقال في **معجم الأدباء**: «قرية كبيرة على ساحل بحر فارس بينها وبين سيراف نحو خمسة عشر فرسخاً، يحتمل أن يكون لأهلها محلَّة بالبصرة»[5]. والذي يؤكد نسبتهم إلى المحلة التي بالبصرة حاضرةِ العلم المعروفة بمجالسها العلمية ومدارسها وليس إلى القرية القريبة من سيراف، هو هذا الجمع من النخبة المرموقة الذين اشتهروا بالانتماء

---

(١) *الأنساب*، ٤٦٣/٥؛ ونقرأ في كتاب *البلغة* (ص٣٢١) في ترجمة حياة اللغوي يوسف النَّجَيْرَمي الذي ستتحدث عنه لاحقاً: «نزيل مصر، أصله من البصرة».

(٢) *وفيات الأعيان*، ٧٧/٧.

(٣) ذكر السمعاني في *الأنساب*، ٤٦٣/٥، ثلاثة من أعلامها عرَّف كل واحد منهم بقوله: من أهل البصرة (انظر أيضاً: *تاريخ مدينة السلام*، ٥٤١،٧/٥، ٦٤٥/٥٢٤؛ *سير أعلام النبلاء*، ٢٥٩/١٦؛ *تاريخ مدينة دمشق*، ٢٣٠/٥٢، ٢٦٧/٥٤.

(٤) *معجم البلدان*، ٧٦٤/٤.

(٥) *معجم الأدباء*، ٨٧/١. والمسافة في *الروض المعطار* (ص٥٧٥): ثلاثة عشر فرسخاً.

إليها من المحدِّثين والأدباء والشعراء ممن وجدناهم في مجالس العلم وبلاطات الوزراء بالبصرة وبغداد ومصر.

قام المستشرق الهولندي فان ديرليث بطبع كتاب *عجائب الهند* للمرة الأولى مع ترجمة فرنسية أنجزها مارسيل ديفيك وصدر بليدن خلال السنوات ١٨٨٣ – ١٨٨٦م اعتماداً على مخطوطته المحفوظة في مكتبة آيا صوفيا بتركيا تحت الرقم ٣٣٠٦. وتوالت طبعاته بعد ذلك في شتى اللغات اعتماداً على هذه الطبعة. والكتاب ـ كما هو معروف وبكل تأكيد ـ مؤلَّف باللغة العربية، ومؤلفه من مشاهير علم الكلام في البصرة وبغداد، إلاّ أنَّ ترجمة فارسية تمَّت للكتاب سنة ١٩٦٨م على يد مُحَمَّد ملك زاده وصدرت في إيران ورد في مقدمتها قولُ المترجم: «لم تقع بين أيدينا النسخة الفارسية لهذا الكتاب وليس معلوماً الزمن الذي تُرجم فيه الكتاب إلى العربية»[1] !!!. وهو وهمٌ شنيع.

والذي أُشيع حتّى الآن أنَّ مؤلف *عجائب الهند* هو بزرك بن شهريار الرامهرمزي، وهو أمر ليس لدينا أي دليل عليه، على أنْ نسجِّل للمستعرب الفرنسي المرموق أندريه ميكيل قوله إنَّ *عجائب الهند* نُسب خطأً إلى بزرك بن شهريار، وأضاف: «لعل اسم بزرك بن شهريار يظهر في النص ذاته بصيغة شهرياري الرُّبّان»[2]. غير أنَّ مفاجأة كانت بانتظارنا لدى ابن فضل الله العُمَرِيّ الذي ذكر في كتابه *مسالك الأبصار* (الجزء الأول من مخطوطة مكتبة أحمد الثالث) هذا الكتابَ خلال حديثه عن البحار وعجائبها وذكر اسم مؤلفه أبي

---

(١) *عجائب الهند*، مقدمة الترجمة الفارسية الصادرة بطهران سنة ١٣٤٨ الشمسية (١٩٦٨م)، ص١٢.

(٢) *جغرافية دار الإسلام البشرية*، ١(٢)/٢٧ ـ ٢٨.

عمران الأوْسيّ الذي كان سيرافياً ـ كما سننقل عن ابن المرتضى ـ مما يجعل صلته بالكتاب أكثر طبيعيةً بعد أنْ علمنا أنَّ أغلب رواته وصانعي وقائعه سيرافيون.

أدرج ابن فضل الله العُمَريّ هذا الكتاب ضمن مؤلّفه الضخم ويبدأ ذلك بقوله: «وأما ما ذكره أبو عمران موسى بن رباح الأوْسيّ في كتاب صنعه لكافور الإخشيدي وسماه *الصحيح من أخبار البحار وعجائبها*...». وهكذا علمنا للمرة الأولى اسمَ المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب وعنوانَه الحقيقي أيضاً. فمن هو أبو عمران الأوْسيّ هذا؟

هو أبو عمران موسى بن رباح بن عيسى بن رباح الأوْسيّ السيرافي، ترجم له ابن النديم الذي ألّف كتابه *الفهرست* سنة ٣٧٧ هـ، ضمن جمع من علماء المعتزلة فقال: «أبو عمران موسى بن رباح المتكلّم على مذهب أبي علي الجُبّائي، قرأ على أبي بكر بن الإخشيد وعلى الصّيمري وغيره من المتكلّمين؛ وقيل يحيا في زماننا هذا بمدينة مصر وقد جاوز الثمانين»[1]. وترجم له ابن حجر فقال: «موسى بن رباح المعتزلي... انتقل إلى مصر فسكنها إلى أن مات على حدود الأربع مئة»[2]. وترجم له الحاكم الجُشَمي(تـ ٤٩٤هـ) فقال: «وقد كان

---

(١) *الفهرست*، ٢٢١. وأبو علي الجبائي هو مُحَمَّد بن عبد الوهاب (٢٣٥ – ٣٠٣ هـ)، أما ابن الإخشيد فهو أبو بكر أحمد بن علي بن بيغجور (٢٧٠ – ٣٢٦ هـ)؛ وقال ابن حجر في *لسان الميزان* «ابن الأخشاد، ويقال له ابن الإخشيد، فكأنَّ الشين ممالة» (١/ ٢٣١)؛ والصيمري هو أبو عبد الله بن مُحَمَّد بن عمر المتكلّم المتوفى سنة ٣١٥ هـ، من معتزلة البصرة وإليه انتهت رئاستهم بعد وفاة أستاذه أبي علي الجبائي، وكان خرج إلى بغداد فالتقى به أبو بكر بن الإخشيد مُدَيْدَةً وأخذ عنه (*الفهرست* لابن النديم، ٦٨، ٢١٩؛ «طبقات المعتزلة» للقاضي عبد الجبار، ٣٠٩).

(٢) *لسان الميزان*، ٦/١١٧.

أبو عمران بن رياح السيرافي ممن يدرس عليه[1]، ثمَّ فارقه واختلف إلى أبي بكر بن الإخشيد وجعل ينصره الزمان الطويل، وكان يدعو الناس إلى التوحيد، ولحقه في ذلك المحن العظام. ولما ورد أبو هاشم بغداد عرف حقَّه لمكان علمه وفضل سلفه»[2]. ففضلاً عن المعلومات القيمة التي قدَّمها الحاكم الجشمي عن حياة الأوْسيّ، فقد علمنا أن الرجل يُلقب بالسيرافي أيضاً. ولمَّا كنا نعلم أنه عاش بين البصرة وبغداد ـ كما هو واضح من دراسته لدى أساطين المعتزلة ومصاحبته لهم في هاتين الحاضرتين ـ فذلك يعني ضمناً أن لأسرته صلة ما بمدينة سيراف التي كان أهلها ـ سوى القليل منهم ـ يعتنقون المذهب المعتزلي[3]. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن بعض الأعلام كانوا يحملون لقبي البصري والسيرافي معاً، ومنهم أبو بشر محمد بن يوسف السيرافي ثُمَّ البصري[4]، وأبو العباس أحمد بن علي بن نوح البصري السيرافي[5].

ويبدو أن لقب السيرافي تُخُلِّيَ عنه لدى المشاهير من أبنائه، حيث نجد حفيده القاضي رياح بن علي بن موسى الذي قدم إلى بغداد وعاش بها والمتوفى سنة ٤١٨هـ يحمل لقب البصري فحسب[6]؛ كما أن ابن حفيده هذا وهو يوسف

---

(١) أي على أبي هاشم الجبائي وهو نجل أبي علي الجبائي المذكور آنفاً، وهو أيضاً من كبار علماء المعتزلة.

(٢) «شرح عيون المسائل»، ٣٣١؛ «طبقات المعتزلة» لابن المرتضى، ص١٠٨، وذكره أيضاً بلقب السيرافي.

(٣) «مقالات الإسلاميين» لأبي القاسم الكعبي البلخي، ١١٣.

(٤) *تهذيب الكمال*، ٢٤/ ٢٣٥.

(٥) *الرجال* للشيخ الطوسي، ٤٥٦؛ وفيه: أحمد بن محمد.

(٦) *تاريخ مدينة السلام*، ٩/ ٤٢٥؛ *تاريخ مدينة دمشق*، ١٨/ ٢٩، وفيه: «أحسب أنه مات بالبصرة».

ابن رياح الذي أقام بمصر وسمع الحديث بها[1]، وأقام ببغداد أيضاً وغادرها إلى الأهواز ليتولى القضاء فيها ومات بها سنة ٤٤٠هـ، كان يُلقّب بالبصري[2].

وفي سندٍ ورد في مقدمة *جمهرة اللغة* روى فيه بَلَدِيُّهُ الذائع الصيت يوسف النَّجَيْرَمي عنه، نجد أن لقبيه الأوْسيّ والسيرافي قد أُسقطا عنه واكتُفي باسمه وكنيته، حيث نقرأ ما يلي: «أخبرنا الشيخ أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن خُرَّزاد النَّجَيْرَمي قال: قرأت هذا الكتاب على أبي عمران موسى بن رياح بن عيسى من نسخته بخطِّ أبي علي القالي، في شهور سنة خمس وسبعين وثلاث مئة بمصر في القرافة، قال...»[3]. وقد دلّتنا هذه الرواية على منزلة أبي عمران العلمية التي جعلت أحد جهابذة اللغة يقرأ عليه كتاباً من مشاهير كتب اللغة، فضلاً عن دلالتها على وجوده بمصر سنة ٣٧٥ هـ.

ولو عُدنا إلى الوراء قليلاً فسنجد موسى بن رياح الأوْسيّ ببغداد في مجلس الوزير ابن الفرات سنة ٣٢٦ هـ، وهو مما سيلقي الضوء على حياته الآتية في مصر وعلاقته بكافور الإخشيدي، يقول التوحيدي في *الإمتاع والمؤانسة*: انعقد في شعبان ٣٢٦ هـ مجلسٌ للنقاش بين أبي سعيد السيرافي ومتّى بن يونس القنائي في دار الوزير ابن الفرات وهو أبو الفتح الفضل بن جعفر بن مُحَمَّد المعروف بابن حنزابة في جمع من أعلام المعتزلة وغيرهم ممن ذكر التوحيدي أسماءهم بقوله: «قال الوزير ابن الفرات للجماعة وفيهم الخالدي وابن الأخشاد[4] والكتبي وابن

---

(١) *تاريخ مدينة السلام*، ١٠/ ١٣١، ١٤/ ١٥٧، ١٥/ ٤٢٤.

(٢) *تاريخ مدينة السلام*، ١٦/ ٤٨٠.

(٣) *الجمهرة*، ١/٢.

(٤) هو أبو بكر بن الإخشيد نفسه كما نقلنا ذلك عن ابن حجر آنفاً.

أبي بشر وابن رياح[1] و... ورسول ابن طغج حاكم مصر»[2]. وكان هذا الوزير قد استأذن المقتدر العباسي في أنْ يتقلّد الإشراف على مصر والشام فأذن له[3].

إنَّ صلة الوزير أبي الفتح بن الفرات بمصر وصلة مصر به ـ كما لاحظنا فإن رسول حاكم مصر ابن طغج كان في مجلسه المذكور آنفاً ـ مَهَّدَ السبيل لولده أبي الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن ليذهب إلى هناك ويتقلّد الوزارة لعدد من الحكام فيها ومنهم كافور الإخشيدي الذي تولّى حكم مصر في السنوات من ٣٥٥ ـ ٣٥٧ هـ. وكان أبو الفضل هذا «أحد الحفاظ، حسن العقل كثير السماع مائل إلى أهل العلم والفضل... وكان يقول: من جاءني أغنيته؛ وكان يملي الحديث بمصر»، فقصده كثير من العلماء وتحلّقوا حوله[4].

ويبدو أنَّ هذه الروح العلمية لدى الوزير أبي الفضل والكرم الذي اشتهر به، والعلاقة التي كانت تربط الأوْسيّ بوالده الوزير أبي الفتح ببغداد، هي التي دعت الأوْسيّ للذهاب إلى مصر والإقامة فيها خاصة وأنه كان يلقى «المحن العظام» عندما كان في العراق بسبب آرائه في «العدل والتوحيد» (مما كان مثاراً للنقاش المحتدم آنذاك في العراق وغيره بين المعتزلة أنفسهم، فضلاً عن تلك الناشبة بينهم وبين خصومهم. ونذكر أنَّ أستاذه أبا بكر بن الإخشيد قد ذهب إلى مصر أيضاً[5]، وإن كنا لا نعلم زمن ذهابه إلى هناك ولا الفترة التي عاشها فيها.

---

(١) هو مؤلف الكتاب موسى بن رياح الأوْسيّ.

(٢) *الإمتاع والمؤانسة*، ١/١٠٨؛ ونقلها ياقوت في *معجم الأدباء*، ٢/٨٩٤ من *الإمتاع والمؤانسة*.

(٣) *تجارب الأمم*، ٥/٣١٠.

(٤) *معجم الأدباء*، ٢/٧٨٢.

(٥) *معجم الأدباء*، ٥/٢١١٥.

كانت إذن فرصة ثمينة للتلميذ (الأوْسيّ) والأستاذ (ابن الإخشيد)، ليتخلّصا من تلك الأجواء المتوترة في العراق بفعل الصراعات العقائدية، والتوجه إلى مصر للعيش في كنف الوزير المحب للعلم الذي ربما كان قد دعاهما إلى مصر؛ فبقي الأوْسيّ هناك إلى أنْ تولّى الحكمَ سنة ٣٥٥ هـ كافورٌ الإخشيدي الذي وصفه المؤرخون بالعلم حيث قال عنه الذهبي: «له نظر في الفقه والنحو»[١]، وقال ابن تغري بردي: «كان له نظر في العربية والأدب والعلم»[٢] — فألّف كتابه *الصحيح من أخبار البحار وعجائبها* وأهداه إليه. وكان النَّجَيْرَميون الذين سبقوا الأوْسيّ بالذهاب إلى مصر أو عاشوا معه فيها يشكّلون جالية ذات نفوذ علمي وما يشبه أن يكون كارتلاً اقتصادياً يلقي بثقله في تجارة الخشب، يقول ابن خلكان مترجِماً لواحد من أعلامهم ممن ذكرناه آنفاً: «أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خُرَّزَاد النَّجَيْرَمي اللغوي البصري نزيل مصر (٣٤٥ ـ ٤٢٣هـ)، هو من بيت فيه جماعة من الفضلاء الأدباء ما منهم إلاّ من هو ماهر في اللغة كامل الأدوات متقن لها. وكان يوسف أمثل أهل بيته وله خط ليس بالجيد في الصورة وهو في غاية الصحة وكذلك خطوط جماعته قريبة منه. ولأهل مصر رغبة وتنافس في خطه...، وأكثر ماتروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية وأيام العرب في الديار المصرية من طريقه، فإنه كان راوية لها عارفاً بها. وكان أهل بيته يرتزقون بمصر من التجارة في الخشب»[٣].

---

(١) *سير أعلام النبلاء*، ١٦/١٩٢.

(٢) *النجوم الزاهرة*، ٤/٦.

(٣) *وفيات الأعيان*، ٧/٧٧. لمعرفة أسماء جمع آخر من الأدباء والمحدِّثين النَّجَيْرَميين من قاطني مصر، راجع: *وفيات قوم من المصريين...*، فهرست الكتاب، ص١٩٥، تحت عنوان النَّجَيْرَمي.

بين ظهراني هذا الحشد من النُّجَيْرَميين بمصر عاش مؤلف كتابنا أبو عمران الأوْسيّ واتصل ببلاط حاكمها كافور الإخشيدي الذي اشتهر عنه أنه «كان يجري على من يقصده من الجرايات التي تُسمًّى الراتب»[1].

وقد سبق الأوْسيَّ إلى بلاط كافور وحظي بإكرامه ورفده، صديقُهُ النحويُّ واللغويُّ البارز إبراهيم بن عبد الله النَّجَيْرَمي (توفي حوالي سنة ٣٥٥ هـ)، الذي كان قد درس ببغداد لدى الزجَّاج ثمَّ غادرها إلى مصر ليفد على كافور[2]، وهو الذي كتب للأوسي رسالة في القلم ذاع صيتها بين الكتَّاب والأدباء آنذاك[3].

وكان يعيش بمصر في تلك الفترة عالِما اللغة و النحو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن خُرَّزَاد النَّجَيْرَمي (٣٤٥ ـ محرم ٤٢٣ هـ)، ونجلُهُ بهزاد النَّجَيْرَمي (المتوفى في شوال ٤٢٣ هـ)[4].كما نجد هذا الوجود النجيرمي السيرافي بمصر في سماع مدوَّن يطالعنا على إحدى مخطوطات *الجمهرة* مؤرَّخ في ٩ شعبان سنة ٤١٨ : «بلغتُ سماعاً على الشيخ أبي يعقوب بن خرزاد بقراءة الشيخ أبي الحسين عبد الوهاب بن علي بن أحمد السيرافي[كان قاضياً بتنيس]، وسمع معي... أبو محمد عبد الله بن علي بن سعيد النَّجَيْرَمي»[5].

لكنَّ كافوراً الإخشيدي توفي سنة ٣٥٧ هـ، ونحن نجد في مخطوطة *الصحيح من أخبار البحار وعجائبها*، حوادثَ يرجع تأريخ إحداها إلى سنة ٣٦٧ هـ.

---

(١) *الفرج بعد الشدّة*، ٤/ ٦٣.

(٢) *معجم الأدباء*، ١/ ٨٧؛ *زهر الآداب*، ٣/ ٣٧؛ *النجوم الزاهرة*، ٤/ ٦؛ *الأعلام*، ١/ ٤٩.

(٣) *زهر الآداب*، ٣/ ٣٥.

(٤) *معجم الأدباء*، ٢/ ٧٦٨.

(٥) *الذريعة*، ٥/ ١٤٧.

لا مفرَّ أمامنا ـ وقد ثبت لدينا كون هذا الكتاب لأبي عمران الأوْسيّ ـ من القول إنَّ الرجل قد كتب نسخة ثانية للكتاب أتمَّها بعد وفاة كافور، وضمَّنها الإضافات التي شكَّلت الجزء الأخير من الكتاب من مخطوطة أحمد الثالث المكتشفة، فنحن نعلم أن الأوْسيّ كان حياً بمصر سنة ٣٧٧ هـ في الأقل كما في *فهرست* ابن النديم. وعلى هذا تكون بين أيدينا نسختان لهذا العمل:

الأولى: المطبوعة المتداولة التي تحمل عنوان *عجائب الهند* والمنسوب تأليفها لبزرك بن شهريار الرامهرمزي والتي يصل آخر تاريخ في وقائعها إلى سنة ٣٤٢ هـ المستندة إلى مخطوطة مكتبة آيا صوفيا، وهي ناقصة.

الثانية: النسخة الأكمل المكتشفة حديثاً والمدرجة ضمن مخطوطة *مسالك الأبصار* لابن فضل الله العُمَريّ المتضمنة إضافات يصل تاريخ إحدى وقائعها إلى سنة ٣٦٧ هـ، التي تحمل عنوان *الصحيح من أخبار البحار وعجائبها*، وذُكر في أولها اسمُ مؤلفها وهو أبو عمران موسى بن رباح الأوْسيّ، الذي عَرَفنا أنَّه هو نفسه أبو عمران السيرافي المعتزلي الذائع الصيت.

لكن ألا يُحتمل أنْ تكون الإضافات التي في آخر مخطوطة *الصحيح من أخبار البحار وعجائبها* هي من صنع أحد النُّسَّاخ ألحقها في ختام مخطوطة *عجائب الهند* بسبب كون موضوع الحكايات والأخبار في كلا الكتابين واحداً، أي القصص البحري؟

إنَّ هذا الاحتمال مرفوض للأسباب التالية:

١. يوجد في كل واحد من الكتابين أخبار وقصص موجودة بنصِّها في الكتاب الآخر، وقد بلغ مجموع هذه الأخبار والقصص المشتركة ٥٥ خبراً وقصة.

٢. إن رواة الأخبار والقصص في *الصحيح من أخبار البحار* هم أنفسهم الرواة في *عجائب الهند*، فمن بين رواة الأقسام المضافة الموجودة في آخر *الصحيح من أخبار البحار وعجائبها* نجد ابن لاكيس[١] وهو نفسه الذي نجده في *عجائب الهند* باسم جعفر بن راشد المعروف بابن الأكيس (ص١٧٣ – ١٧٥، ١٧٨ – ١٧٩)، ونجد عبد الواحد بن الحسن الفسوي، وهو نفسه الموجود في *عجائب الهند* باسم عبد الواحد بن عبد الرحمن الفسوي، وليس مهماً التغيير الطفيف في اسم أبيه الذي يحدث كثيراً في أمثال هذه المؤلفات[٢]، حيث يختصر اسم الأب أحياناً، أو يُستبدل باسم الجد؛ ونضرب مثلاً باسم مؤلّف النصف الثاني من *أخبار الصين والهند*؛ فاسمه الوارد في كتابه هو أبو زيد الحسن السيرافي[٣]؛ وقد ورد اسمه لدى المؤرّخ المسعودي الذي التقاه بالبصرة سنة ٣٠٣ هـ، وروى عنه كثيراً في *مروج الذهب* بالشكل التالي: «وأخبرني أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي بالبصرة، وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك في سنة ثلاث وثلاث مئة؛ وأبو زيد هذا هو ابن عمر بن زيد بن محمد بن مزد (مرد؟) بن ساسياد السيرافي، وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز...»[٤]؛ هذا هو اسمه كما ورد في المخطوطات التي اعتمدها الدكتور يوسف داغر؛ غير أننا نقرأ اسمه في المخطوطات التي اعتمدها شارل

---

(١) اسمه بحسب مخطوطة آيا صوفيا، : ابن لاكيس؛ بينما ورد في جميع المواضع من مخطوطة *الصحيح من أخبار البحار*: ابن الأكيس. وقد أبقينا على الرسمين لعدم وجود ما يرجّح أحدهما على الآخر.

(٢) *عجائب الهند*، ٧٩ – ٨٥. نشير إلى أننا اعتمدنا في مقدّمتنا هذه على الطبعة التي حققها فان ديرليث.

(٣) *أخبار الصين والهند* (ص٥٩).

(٤) *مروج الذهب* بتحقيق يوسف داغر، ١٦٤/١.

بلاّ، كما يلي: «أبو زيد محمد بن يزيد السيرافي... وهو ابن عمٍّ مزيد [بن] محمد بن أبرد بن بستاشا صاحب سيراف، وكان من أهل التحصيل والتمييز ...»[1]. على أن ذلك لايغيِّر شيئاً من حقيقة كون الرجل هو نفسه، برغم التصحيف والتحريف الذي أصاب اسمه بأيدي النُسَّاخ الذين لم يكونوا متعمِّدين بكل تأكيد.

٣. إنَّ موضوعات الحكايات والأماكن التي تدور فيها الحوادث في كلا الكتابين واحدة.

٤. لدينا خبران مثلاً يتحدَّثان عن نفس الوقائع مع اختلاف في بعض الألفاظ والطول والقصر والتفاصيل والمكان أيضاً، لكن باختلاف في سند الرواية؛ فالحديث عن تنبؤ الهنود استناداً إلى صياح الوزغ، نجد سنده في روايةٍ هو[2]: وحدَّثني أبو يوسف بن مسلم قال: حدَّثني أبو بكر الفسوي بصيمور قال: حدَّثني موسى الصندابوري قال: كنت عند صاحب صندابور يوماً ما أتحدث إذ ضحك، فقال: أتدري لِمَ ضحكت؟ قلت: لا. فقال: على الحائط وزغة، وتقول الوزغة: الساعة يجيء ضيف غريب...

ونجد سنده في آخر الكتاب هو[3]: وحَدَّثَني أحمد بن محمد الكِناني، أنه كان بمندريتين عند عليٍّ بن محمد اللؤلؤيّ وهو يومئذ رئيس الفُرس وزعيمهم، وأنه كان يأكل معه فصاح وَزَغٌ من السقف، فقال علي بن محمد اللؤلؤي: يقدم غائب...

---

(١) *مروج الذهب*، تحقيق شارل بلاّ، ١/١٧٢.

(٢) الخبر رقم 112.

(٣) الخبر رقم 157.

والحديث عن تماسيح جزيرة سربزة التي قام أحد السَّحَرة بعمل طلسم لها فلم تعد تهاجم أحداً، هو نفسه في الخبر 113 والخبر 155، حيث ينتهي الأمر بطَلْسَمَة التماسيح وإصدار ملك سربزة أمراً بقتل الساحر غيلةً، لكن توجد تفاصيل صغيرة ينفرد بها أحد الخبرين عن الآخر.

وبدَورنا نرجّح هنا أن الأوسي قد سمع كلاً من هذين الخبرين بروايتين إحداهما تلك التي كان أثبتها أوّلاً، وحين جاءته الرواية الثانية للخبرين أثبتهما في آخر الكتاب، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الأوسيّ قد ألّف كتابه في مرحلتين شملت الثانيةُ منهما إضافاته للنسخة الأولى منه.

٥. نجد فيما انفردت به مخطوطة *الصحيح من اخبار البحار وعجائبها* من نصوص، اسمَ الراويةِ أبي مُحَمَّد الحسن بن عمرو، وهو نفسه أبو مُحَمَّد الحسن بن عمرو بن حمويه بن حرام (حزام؟) النُّجَيْرَمي راوية أغلب الأخبار والقصص في *عجائب الهند* (ص٢، ٨، ١٦، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٧، ٦١، ١٠٣، ١١٥).

كما أعانتنا المخطوطة المكتشفة في إكمال الناقص من أسانيد المخطوطة القديمة، فقد حذف ناسخ *عجائب الهند* إما اسمَ الراوية بكامله أو أنّه حذف شيئاً من وسطه أو آخره. ونقدم هنا أمثلة على ذلك:

عجائب الهند	*الصحيح من اخبار البحار*
ص٥٠ وحدثني إسماعيلويه وجماعة من البحريين...	وحدثني مُحَمَّد بن بابشاد وإسماعيلويه وجماعة من البحريين...

ص١١٨ وحدثني قال رأيت بسندان رجلاً من الهند...	وقال: حدَّثني عن مُحَمَّد بن سعيد أخي إسحاق الخطيب لأمه، أنَّه قال رأيت بسندابور رجلاً من الهند...
ص١٣٠ حدَّثني البلوجي المتطبب بعُمَان...	وقال: حدَّثني موسى بن ميمون الرَّيان، قال: حدَّثني البلوجي المتطبب بعُمَان...
ص١٣٣ حدَّثني عن كاوان هذا أنه قال: أدخلني بغبور ملك الصين إلى بستان بخانفو...	وقال: حدَّثني موسى بن نهرويه التاجر وغيره قال: حدَّثنا من دخل الصين أنه رأى بستاناً لبغبور ملك الصين...
ص١٥٠ وحدثني يزيد العُمَاني ناخوذة الزَّنج قال رأيت في نواحي بلاد الزَّنج...	وقال: حدَّثني علي بن الحسين بن يزيد الخلال العُمَاني قال: رأيت في نواحي بلاد الزَّنج...
ص ١٧٢ وحدثني العُمَاني مُحَمَّد...	حدَّثني أبو الحسن مُحَمَّد بن حرب العُمَاني ...
ص١٧٨ وحدثني ابن لاكيس أنه كان بسفالة عند بعض ملوك الزَّنج...	وقال: قال ابن لاكيس إن رجلاً حدَّثه بقنبلة، أنه كان عند بعض ملوك الزَّنج...
ص١٣٧ ومن ظريف الأخبار ماحدَّثني به بعض أصحابنا قال...	وقال: ومن طرائف الأخبار ما حدثني به بعض أصحابنا قال...

ففي المثال الأخير، يكتسب الفعل «وقال» أهمية لإعلامِهِ أن سند الرواية يرجع إلى نفس الراوي في الرواية السابقة: يونس السيرافي، التاجر الذي جاب البحار فحدَّثنا بماشاهده أو سمعه من أشخاص مثلِهِ سواء أكانوا تجاراً أم بحارةً؛ مما يمنح الرواية مصداقية لاتتمتع بها لو تُركت لتبدأ بـ «ومن طريف الأخبار» التي تشعرنا أننا نسمع حكاية فولكلورية يمكن لخيال شعبي خصب أن يحبك نسيجها.

وحتّى الرواة الذين نصادفهم في الروايات التي انفرد بها ***الصحيح من أخبار البحار*** ، فهم ليسوا بعيدين عن المذكورين في ***عجائب الهند*** من حيث التشابه في الأسماء والألقاب والبلدان، وهم: شاهان بن حمويه المعروف بدود؛ إبراهيم بن مُحَمَّد السيرافي الأعرج؛ أبو العباس أحمد بن موسى البصري؛ علي ابن سعيد السيرافي المعروف بابن أبي سهل أو ابن سهل؛ أحمد بن مُحَمَّد الكناني؛ أبو الخير المتطبب المعروف بابن القطان؛ أبو الحسن مُحَمَّد بن حرب العُمَاني؛ يعقوب بن حوان؛ علي بن مُحَمَّد اللؤلؤي؛ أحمد بن مُحَمَّد الملوي.

كما أكملت مخطوطتنا ما سقط من مخطوطة آيا صوفيا أو أصابه الطمس:

عجائب الهند	***الصحيح من أخبار البحار***
ص١٨٠ : وسمعت من حكى أنَّ رجلاً من أهل البصرة كان ينزل في وسط سكة قريش خرج من البصرة قبل الزابج أو ما قاربه (فراغ في المخطوطة) فتخلص ووقع إلى جزيرة ...	وقال: سمعت غير واحد يحكي أنَّ رجلاً من أهل البصرة كان ينزل في وسط سكة قريش بالقرب من المعترض الذي يخرج سالكه إلى المتومين، خرج من البصرة قبل الزّنج إلى الصين واختلف إلى البحر، ثُمَّ كسر به بعض كرّاته بنواحي الزابج أو ما قاربه، فتخلص ووقع إلى جزيرة ...

واضح أنَّ ما سقط من مخطوطة *عجائب الهند* قد أدّى إلى غموض في النص وبشكل خاص العبارة «خرج من البصرة قَبْل الزابج»، فالزابج هي جزيرة جاوة الإندونيسية، ولا معنى للعبارة، وصوابها في مخطوطة *الصحيح من أخبار البحار*: «خرج من البصرة قَبْل الزَّنْج» أي قبل اندلاع ثورة الزَّنْج في البصرة سنة ٢٥٥ هـ، وهو ما يعيننا على تحديد زمن تقريبي لوقائع هذه الحكاية.

وحدث في أحيان أخرى أنْ أكملت مخطوطتنا المكتشفة ما اختصرته مخطوطة *عجائب الهند* بشكل مخلّ، فآخر قصة في *عجائب الهند* المطبوع بلغ عدد كلماتها ١٢٢ كلمة، بينما بلغ عدد كلمات نفس القصة ٣٨٩ كلمة في مخطوطة *الصحيح من أخبار البحار*.لكن ذلك لا يعني أن *الصحيح من اخبار البحار* خالٍ من النقص، إذ حدث أحياناً أنْ حذف ابن فضل الله العُمَريّ حكاياتٍ بكاملها عندما نقل ما في هذا الكتاب إلى كتابه، نضرب مثلاً على ذلك قصة الشاب الذي انتهى به المطاف إلى معاشرة زوجة الوزير (القصة 49 من هذا الكتاب)، حيث اكتفى العُمَريّ بنقل عبارة من أولها وهي: «وللقرود أحاديث طريفة» ثم انتقل إلى خبر آخر، بينما وردت كاملة في *عجائب الهند*، وهي طويلة جداً. ويبدو أنَّ السبب الذي دعاه إلى أن يضرب صفحاً عنها هو عدم توفر عناصر القصص البحري فيها حيث تدور وقائعها في الحواضر (بغداد وأصفهان) البعيدة عن البحر، وليس في البحر أو الموانئ المطلّة عليه.

ونُفاجأ عندما لا نجد فيما اقتبسه ابن فضل الله العُمَريّ من كتاب أبي عمران الأوْسيّ، حشداً من القصص الوارد في شتى المواضع من كتاب *عجائب الهند*، ولا نعلم السبب في ذلك مما يفتح باب الاحتمالات على مصراعيه وأقواها أنَّ ابن

فضل الله اعتمد مخطوطة تنقصها ـ لسبب من الأسباب ـ تلك القصص، أو أنّه قام بعمل انتقائي (وهو أمر مارسه كثيراً في مؤلّفه الضخم ***مسالك الأبصار***)، ولا نعلم حتّى الآن المعيار الذي اتخذه فيه. ونشير في الإحصائية التالية إلى ما انفردت به كل من المخطوطتين أو ما اشتركتا فيه من الحكايات والأخبار:

- ❖ ما انفردت به مخطوطة ***عجائب الهند***: ٨٧ خبراً وقصة.
- ❖ ما انفردت به مخطوطة ***الصحيح من أخبار البحار***: ٢٣ خبراً وقصة.
- ❖ ما هو مشترك بين المخطوطتين: ٥٥ خبراً وقصة.

وخلال تحقيقنا للكتاب واجهنا معضلة المشترك من الأخبار والحكايات في المخطوطتين، فآثرنا أنْ نتخذ من النسخة التي رواها ابن فضل الله العُمَريّ أصلاً، على أنْ نستعين بمخطوطة آيا صوفيا المطبوعة تحت عنوان ***عجائب الهند*** لنملأ الفراغات الموجودة في مخطوطة ابن فضل الله أو لننقل الأخبار والحكايات التي حَذَفَها، ويرجع السبب في اتخاذنا مخطوطة ابن فضل الله أصلاً إلى كونها متضمنة لجميع أسانيد الروايات، وهو أمر ذو أهمية بالغة لتوثيق نصوصها بعد أنْ حَذَفَ ناسخ مخطوطة ***عجائب الهند*** بعضاً منها وبَتَرَ الآخر مما أشرنا إلى أمثلة منه آنفاً؛ فضلاً عن اختصار ناسخ ***عجائب الهند*** لبعض الأخبار والروايات بشكل أخلَّ بها كثيراً مما نشاهد مثلاً له في الحكاية رقم 146 التي ملخَّصها أنَّ مركباً عصفت به الأمواج العاتية بين سربزة والصين وأشرف مَن فيه على الهلاك ثُمَّ لاحت ـ بعد أيام على مكوثهم في البحر ـ جزيرة رسوا على شواطئها، فخرج إليهم بعض سكانها فكلموهم بالإشارة فلم يكلّموهم واستمر الحال هكذا حتّى اليوم الخامس حيث نزل منهم حوالي ٣٠ رجلاً حاملين الأسلحة في قارب صغير لحاجتهم إلى الماء وإلى معرفة الطريق، ففرَّ سكان الجزيرة أمامهم ولم يبق سوى

رجل واحد كان يعرف لغة ركاب السفينة، فكلّمهم مبيّناً حقيقة الحال. ويوضّح ختام هذه الحكاية أنّ ناسخ مخطوطة *عجائب الهند* ، سئم الكتابة أو أحسّ بالتعب فبتر الخاتمة وفوّت على القارئ الاستمتاع بتفاصيل الحكاية حتّى نهايتها.

النص في *عجائب الهند* :

فسألناه عن الجزيرتين فحكى أنهما (في الأصل: أنها) من جزائر الواقواق وأن ليس بقربها بلد إلا على مسيرة ثلاث مئة فرسخ، وهي جزيرة ليس فيها أحد سواهم، وعدتهم أربعين (كذا) نفساً. وسألناه عن طريقنا إلى الصَّنْف فعرّفنا ودلّنا، وملأنا الماء وشرعنا نحو الصَّنْف على ما قال، فأقمنا خمسة عشر زاماً وأشرفنا سالمين إلى الصَّنْف والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل. تمّ الكتاب.

أما النص في *الصحيح من أخبار البحار* فهو:

وجعلنا نسائله بترجمة ذلك الرجل على الجزيرتين فحكى لنا أنهما من جزائر الواقواق ليس يقربهم إلى مسيرة ثلاث مئة فرسخ جزيرة فيها أحد سواهم، وأن عددَ جميعِهم نحو أربعين نفساً، فسألناه عن طريقنا فذكر أنّا نريد أن نأخذ عرضاً أياماً إلى أن نرجع إلى الطريق، فضمنّا له شيئاً نهبه له وكسوناه فوطتين فردّ علينا ذلك وقال: خذوا طريق كذا حتى تروا جبلاً من حاله كذا وأخذ يصف الجبل صفة من يعرفه، وامتنع أن يرشدنا وهو معنا في المركب، فقبضنا عليه وأدخلناه المركب وأوثقناه وأقمنا يومين نطوف الجزيرة لنظفر بمن بقي فنسألهم عما نحتاج إليه فلم نتمكّن من أحدٍ منهم ولم نجد بالجزيرة شيئاً مما يؤكل على وجه ولا سبب، فعجبنا من ذلك وقلنا للرجل: إنّا نحملك معنا إلى الصين ونردّك إلى بلادنا ونحسن إليك ونفعل بك ونصنع، وهو لا يزيدنا على البكاء والتضرّع أن نردّه إلى الجزيرة وقال لنا: إن له جوزة (زوجة) بالجزيرة وإنه

يحبها ولا يصبر عنها ولا عن مولده (مسقط رأسه) وموطنه، فسألناه: ما الذي يأكلون في الجزيرة؟ فقال: أكثر ما نأكل الحيات والفأر، وفي الأوقات السمك، لا يعرفون غير ذلك. فحملناه معنا وأخذنا في الرجوع إلى الطريق وسلّم الله ورجعنا ووصلنا إلى الصين. قلت له: فما فعل الرجل؟ فقال: إنه كان يمضي به اليوم واليومان والثلاثة لا يطعم شيئاً، وأنهم إذا خافوا عليه التلف أكرهوه حتى يأكل، إلى أن رموا به في بعض الجزائر في الطريق.

فأي بون شاسع هذا الذي بين الروايتين؟

وإذا كانت مخطوطة *عجائب الهند* تقف بنا ـ بهذا الشكل المبتور ـ عند هذه الحكاية كي تنهي الكتاب، فإنّ رواية العُمَريّ لكتاب الأوسيّ *الصحيح من أخبار البحار*، تمتد إلى أبعد من ذلك، حيث يمضي الكتاب ليضيف لنا خمس عشرة حكاية ما كنا نعلم عنها شيئاً لولا النسخة التي أتحفَنَا بها العُمَريُّ، وإنها لإضافة ثمينة حقاً ومهمة لدى عُشّاق هذا اللون من الفن القصصي.

على أنّ لا ننسى أيضاً أنّه حدث العكس أحياناً إذ نجد النصّ مختصراً لدى العُمَريّ وكاملاً في *عجائب الهند* كما حدث في القصة رقم35؛ أو أنها حذفت بكاملها وأُبقي على نصف سطر منها كما حدث في القصة الطويلة رقم 50 التي لم يُبْقِ العُمَريُّ منها سوى عبارة واحدة هي: «وللقرود أحاديث طريفة».

رواة الكتاب:

أشهر رواة أخبار الكتاب وقصصه هو أبو مُحَمَّد الحسن بن عمرو بن حمويه ابن حرام (حزام؟) بن حمويه النَّجَيْرَمي (نسبة إلى نجيرم المحلة التي بالبصرة التي يسكنها مهاجرون من نَجَيْرَم)؛ ولما كانت نَجَيْرَم بلدة من بلاد سيراف تقع دونها مما يلي البصرة، فلا فرق إذن أن يُدعى النَّجَيْرَمي أو السِّيرافيّ (كما سنرى من

رواية المؤرِّخ حمزة الأصفهاني عنه)، وإن الفعل «قال» أو «حدَّثني» مما نجده في أوائل النصوص يعود الضمير فيه غالباً إلى الحسن هذا أو إلى مَن حَدَّثه، وأما ما بقي - وهو الشطر الأقلّ - فهو لرواة أقلّ شأناً منه لما سنعرفه عن شخصيته؛ فمن هو الحسن بن عمرو النَّجَيْرَمي هذا؟

من خلال الكتاب نعلم أنَّه كان بمدينة المنصورة (من مدن السند وتقع في الجنوب الشرقي من باكستان الحالية) سنة ٢٨٨هـ، وأنه كان مقيماً في البصرة عندما حدَّث أبا عمران الأوْسيّ بهذه الأخبار[1]. وتوالت القصص والأخبار وبعضها يحمل التواريخ، لنجد خبراً يحدثه فيه إبراهيم بن مُحَمَّد السيرافي الأعرج عن واقعة رآها بمدينة كَلَه في سنة ٣٦٧ هـ...، و هو آخر تاريخ ذُكر في المخطوطة[2]، لكننا بطبيعة الحال نعلم أن العمر قد امتدَّ بمؤلِّفنا الأوْسيّ بعد هذا التأريخ بكثير ليعيش بمصر حتَّى سنة ٣٧٧ هـ.

ويرغم ضآلة معلوماتنا عن أبي محمد الحسن بن عمرو النَّجَيْرَمي (أو السيرافي)، لكننا علمنا منها أن الرجل كانت له مكانة اجتماعية مرموقة وصلات بكبار شخصيات عصره، وفوق كل ذلك كونه رحَّالةً جَوَّابَ آفاقٍ؛ ففضلاً عن ذهابه إلى المنصورة (في بلاد السند)، فقد ذهب إلى بلاد أفريقيا - كما هو مستفاد من رواية حمزة الأصفهاني عنه - وعاش بالعراق كما ورد في الخبر الأول من الكتاب عندما حدَّث أبا عمران السيرافي بخبر ملك الرا، ثمَّ نشاهده ببلاد الأندلس، مما يجعلنا نفترض مروره بمصر ليلتقي ربما بمواطنيه النَّجَيْرَميين أو السِّيرافيين المقيمين هناك.

---

(١) الخبر رقم 1 من كتابنا هذا.

(٢) الخبر رقم 153 من كتابنا هذا.

أما النص الخاص بوجوده في أفريقيا فقد ورد في *طبائع الحيوان* «وحكى حمزة بن الحسن الأصفهاني عن الحسن بن عمرو السيرافي أنّه رأى ببلاد السودان أشجاراً عظيمة، ورأى ببلد يقال له كانم شجرتين تُظِلاّن ثلاثين ألف فارس...»[1]؛ فقد التقى إذن بالمؤرخ والأديب المعروف حمزة الأصفهاني الذي لا نعلم على وجه التحديد السنة التي توفي فيها، وإن كنا نعلم أنّه كان حياً سنة ٣٣٤ هـ كما رجّحنا[2]. وينفعنا هذا الخبر في كون الحسن بن عمرو قد سافر إلى بلاد السودان، فبلاد الكانم مجاورة لبلاد النوبة[3].

وعن وجوده ببلاد الأندلس، نجد القاضي المحسّن بن علي التنوخي يروي عن واحد من مشاهير علماء الكلام الروايةَ التالية: «حدّثنا أبو الحسن محمد بن عمر بن شجاع المتكلّم البغدادي المعروف بجُنَيد[4] قال: حدّثنا أبو محمد الحسن ابن عمرو النَّجَيْرَمي قال: كنتُ بالأندلس فقيل لي إن هاهنا تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ يُعرف بسلام بن زيد ويُكنى أبا خلف، فأتيته فرأيت شيخاً هِمّاً...»[5].

أما الأجواء التي نشأت فيها قصص وأخبار *الصحيح من أخبار البحار* للأوسيّ، فهي ـ بكلّ تأكيد ـ نفسها التي نشأت فيها من قَبْلُ الأخبار والقصص التي في كتاب *أخبار الصين والهند* لسليمان التاجر وأبي زيد السيرافي، وقصص السندباد من *ألف ليلة وليلة*، وهي نفس البيئة التي أنتجت في نفس

---

(١) *طبائع الحيوان*، الورقة ٣٩ب.

(٢) راجع مقدمتنا لكتاب *فارس نامه* (ص ٤).

(٣) *نزهة المشتاق*، ٢٩/١.

(٤) *الفرج بعد الشدة*، ٣٠٠/٤؛ *معجم الأدباء*، ٢١١٦/٥؛ *نشوار المحاضرة*، ٢٠٢/٨.

(٥) *معجم الأدباء*، ٥/ ٢١١٦ ـ ٢١١٧.

العصر القصص والأخبار البحرية التي نجدها في كتابي القاضي التنوخي *الفرج بعد الشِّدَّة* و *نشوار المحاضرة* بل إننا نجد فيما نقله الزهري من كتاب يحمل عنوان *الفرج بعد الشِّدَّة* ، نصاً يتطابق تماماً في عناصره مع القصص البحري الذي في قصص السندباد ومع ما في *الصحيح من اخبار البحار* ، ونعني به قصة جمع الألماس بواسطة الذبائح وإلقائها في الوادي ليلتصق الألماس بها وتأتي النسور وتحملها إلى قمم الجبال[١]، مما يجعله ـ إن صحّت نسبة هذا النص إلى هذا الكتاب ـ من النصوص الضائعة لكتاب التنوخي الذي نشأ وتوأمُه *النشوار* في نفس هذه البيئة التي تبحث عن العجيب والغريب في أخبار البحار.

لقد حظيت قصص السندباد بعناية خاصة خلال استفادتنا منها في تحقيق الكتاب لما ذكرناه آنفاً من هذه العلاقة الحميمة بين هذه القصص وقصص وأخبار كتابنا *الصحيح من اخبار البحار*[٢].

وكما هو الحال في قصص السندباد فإن الروح العراقية تهيمن على مجمل ألفاظ كتاب الأوْسيّ وتراكيب جمله، وهو أمر بالغ الأهمية لفهم بعض ألفاظه بشكل خاص، فلو أخذنا مثلاً العبارة التالية الواردة في القصة 145 من كتابنا التي أخذ فيها الرجلُ العملاقُ شاةً فـ «سخَّمَها وهي تصيح»، كما وردت في مخطوطة آيا صوفيا[٣]، حيث علّق الأستاذ الشاروني على الكلمة بقوله: «فسخمها: وصحتها: فسّخها. وقد ترجمها مارسيل ديفيك بالمعنى المعروف

(١) *الجغرافيّة* (ص ٢٣ـ ٢٦) .

(٢) انظر مثلاً القصص والأخبار ذات الأرقام 18، 21، 40، 46، 53، 62، 88، 145.

(٣) العبارة كما وردت في مخطوطة *الصحيح من أخبار البحار* هي: فأتاها وهي تصيح .

دون تصحيح» (ص١٤٧). انتهى تعليقه.قلت: الصواب مافعله ديفيك ذلك أن الفعل «سخَّمَ» يستخدم في اللهجة العامية العراقية لحالات الاغتصاب وما يزال متداولاً في العراق اليوم للاعتداء الجنسي، ويُلفظ بالصاد بدل السين، كناية عن سواد الوجه (العار) بعد هذا العمل الشنيع. والسخم يعني السواد. ينقل دوزي عن *الف ليلة وليلة* (طبعة برسل، ٧٦/٣)، النص التالي: «إن لي ولد (كذا) هو شيطان ما خلّى صبية في الحارة حتّى سَخَّمَها»[1].

ومن ذلك ماحدث لكلمة المينة التي وردت خلال الحديث عن القلادة المطعَّمة بها التي عَرَضَهَا التاجر على ملك لوقين و طبعها فان ديرليث بشكل المنية (ص١١٣)، فتابعه الأستاذ الشاروني على ذلك وطبعها المنية أيضاً وشرحها في الهامش بقوله: «المُنية أو المِنية: وجمعها مُنىً أو مِنىً بمعنى البُغية أو المقصد» (ص١٠٤). والحقيقة هي أن القصة كانت تدور حول الحليّ والمجوهرات وأطواق الذهب والزبرجد، والمينة أو المينا الواردة فيها هي خليط اللازورد والذهب وغيرهما يُوضع في الفرن لينصهر ويخرج شفّافاً كالزجاج لتُطَعَّم به بعض الحلي.واسم المينة معروف اليوم لدى الصاغة العراقيين،والكلمة موجودة بهذا المعنى في كتب التراث، حيث نقرأ في *الدرر الكامنة* «عمل الخواتم ونقشها وإجراء المينا عليها»[2]، ونقرأ لدى ابن تغري بردي «كل مركب مصوغ من ذهب وفضة أو من ذهب منزّل فيه المينا»[3].

---

(١) *تكملة المعاجم العربية*، ٤٢/٦ .

(٢) *الدرر الكامنة*، ٩١/٢ .

(٣) *النجوم الزاهرة*، ٨٢/٤ .

ومن ذلك أيضاً تعقيبه على النص القائل: «فإذا هو برجل يسوق ثورين عليهما اثنا عشر قربة مملوءة ماء، فصبّها بأسرها في ذلك الخِبّ...، وتأمّل الخِبّ فوجده أملس حسن الصقال لايشبه الخزف ولاالزجاج، فسأل عنه، فقال هذا أصل ريشة طائر، فلم يصدق الرجل حتى قام فمسح الخِبّ من داخل وخارج فوجده يشفّ ووجد في جنبيه آثار أسافل ريشة» (ص٩٧). فعلّق الأستاذ الشاروني قائلاً: «خَبٌّ: المستنقع من الماء». انتهى. قلت إن المستنقع لايكون حسن الصقال، كما أنه لاتوجد له جوانب شفافة. وصواب الكلمة هو الحُبّ (وقد طبعها فان ديرليث بشكلها الصحيح: الحُبّ كما في ص٩٨، ٩٩)، وهو كوز الماء الكبير المصنوع من الفخار الذي مايزال مستخدماً حتى اليوم في العراق لتبريد مياه الشرب. فضلاً عن أن الخِبّ لاتعني المستنقع بل العاصفة البحرية.

أما هوامش الكتاب فقد سعينا إلى أن تكون مختصرة إلاّ في الحالات التي استدعت ذلك ويشكل خاص الأماكن الغامضة التي ظل بعضها غامضاً أو مجهولاً في كتابنا أو في المصادر الجغرافية التراثية، مستعينين ـ كلما أمكن ذلك ـ بالخرائط الجغرافية الحديثة ذاكرين الاسم الحالي لها.والسبب الرئيس في ذلك هو أن رسم الكلمة في بعض هذه المواضع يغري الناسخَ والمحقّقَ حيناً بالوقوع في التحريف والتصحيف كما هو الحال في «بلاد الرّانَج» و«بلاد الزابج»، و«سربوة» و«سربزة»؛ فمثلاً في النسخة المطبوعة من *الجغرافيا* لابن سعيد نقرأ: «ويتلو هذه الجزائر المصاقبة لكلوة جزائر الزابج وهي مشهورة على ألسن المسافرين، وأعظمها جزيرة سربزة»[1]. وقد علّق محققه الفاضل بهامشه أن

---

(١) *الجغرافيا*، ١٠٤، المتن والهامش.

الموضعين وردا في المخطوطة بشكل: «الرمح، الرابح، سريرة». انتهى كلامه.
والحقيقة هي أن وجود «كلوة»[1] هو الذي يحدد تماماً موقعهما؛ فكونهما قريبتين من «كلوة»، الميناء المجاور لميناء سُفَالة في موزمبيق، يجعلنا نبحث عنهما في السواحل الشرقية للقارة الأفريقية؛ فنقول إن الصواب هو «جزائر الرَّانَج»، والرَّانَج هو شجر النارجيل (الجوز الهندي) وسُمِّيت به لكثرته فيها، . أما صواب الموضع الثاني فهو جزيرة سَرَنْتَوَة الواقعة إلى الجنوب من ميناء سُفَالة بموزمبيق التي وصفها المهري بقوله: «جزيرة سَرَنْتَوَة وهي آخر البرّ من الجنوب، والصحيح أن جزيرة سَرَنْتَوَة لم تكن آخر البر، بل آخر الولاية السُّفالي»[2]. وعليه فلا علاقة للموضعين بالزابج (وهي جزيرة جاوة الإندونيسية)، ولا بسربزة التي رجَّحنا أنها سورابايا Surbaya الواقعة إلى الشمال الشرقي من جاوة [3].

وكان سبب الإطالة أحياناً هو اجتهادي في تحديد موضع لم يُحدَّد من قبلُ كما هو الحال في بيولوتينك الذي جرت العادة أن يُطبع بشكل بلولوبيلنك[4]، مِمَّا استلزم تقديم نصوص وأدلة على ذلك جعلت الهامش طويلاً نسبياً. وفي

---

(١) تُدعى كلوة الملوك، ربما لمقام ملوك بلاد الزَّنْج فيها. يذكر صالح حسن شهاب أنها تُدعى اليوم كلوة كيسيواني Kilwa Kisiwani (*البعد الجغرافي...*، ٢٣٦؛ انظر أيضاً: *جهينة الأخبار*، ١٣٢).

(٢) يقول المهري: «سرتوة، وهي آخر البرّ من الجنوب، والصحيح أن جزيرة سرتوة لم تكن آخر البرّ، بل آخر الولاية السفالي» (*العلوم البحرية عند العرب، مصنَّفات سليمان المهري*، ١/٩٠؛ وقال ابن ماجد في الأرجوزة السفالية إنها ثلاث جزر تقع إلى الجنوب من سُفَالة الزَّنْج (*أراجيز ملاحية*، ٣٨).

(٣) انظر هامش الخبر رقم 38.

(٤) انظر: *عجائب الهند*، طبعة فان ديرليث، ١٢٥؛ طبعة الطريحي، ٧٨؛ طبعة الشاروني، ١١٢.

الكتاب الكثير من المواضع التي تمسّ الحاجة لمعرفة مواقعها، حيث فضَّلْنا أن نعرِّف بها على الخرائط الحديثة حيثما أمكن ذلك.

كما تمَّ التركيز على التعريف بالحيوان والنبات الذي يُذكر في القصة أو الخبر من غير تحديد للموضع، إذ وجدناه مُعيناً في تحديد بعض المواضع النائية المجهولة، من ذلك مثلاً بلاد البخم[1] التي رجَّحنا أنها بلاد البقَّم نسبة إلى نبات البقَّم المعروف في تلك الأصقاع؛ ومن ذلك مثلاً الإشارة إلى المواضع التي يعيش فيها طائر الرُّخ الذي لم يُذكر بالاسم في كتابنا واكتُفيَ بذكر أوصافه وهي معروفة في كتب التراث والذي توسَّعت بعض الروايات في مواضع إقامته فوصلت به إلى الصين أحياناً، بينما نعلم اليوم من خلال هياكله العظمية التي عُثر عليها أنه كان يعيش في جزيرتي موريشيوس ومدغشقر وماجاورهما من الجزر الواقعة إلى الشمال الشرقي من مضيق موزمبيق، ولذا فإن القصص التي تتحدث عن رؤيته في بحر الصين الجنوبي مثلاً هي من قبيل التوسُّع فيما حِيكَ حوله من أساطير.

وأخيراً نأمل أن لاتؤدي المبالغة والتهويل في بعض قصص وأخبار هذا الكتاب إلى وضعه في مصاف كتب الأساطير والقصص الشعبي النابع من الخيال المحض؛ ففي الكتاب معلومات فريدة في الجغرافيا والتاريخ والإنثروبولوجيا وعادات الشعوب وتقاليدها، فضلاً عن تلك التي يشترك فيها مع مؤلفات أخرى مما دعَّم الكثيرَ من أخباره. فبعض نصوصه عن الهند مثلاً يؤيدها ما ورد في أثر البيروني الخالد *تحقيق ما للهند*، وما ورد فيه من معلومات عن السواحل الشرقية لأفريقيا وجزر المحيط الهندي والجزر الإندونيسية ومضيق ملقا وبحر

---

(١) انظر الخبر 28.

الصين الجنوبي والصين نفسها والهند وعن أهلها ونباتاتها وحيواناتها، يتطابق وما ورد في كتابات معاصريه كالمسعودي وأبي زيد السيرافي.

كما أن كثيراً مما في الكتاب من موادّ يتطابق ومعطيات الجغرافية الحديثة ومع معرفتنا بعادات وتقاليد شعوب المناطق المذكورة فيه، وكذلك بمواقع وجود حيواناتها ونباتاتها؛ فحين يتحدّث الأوسيّ في الخبر 70 عن المياه التي يجوبها القراصنة الذين عُرفوا بالبوارج وعن النمور التي في بلادهم التي قد يبتلى بها من يقع إلى تلك البلاد، فإذا كُتبت له النجاة من القراصنة مزّقته النمور، وهو الوصف الذي ينطبق على جزر سوندربان في دلتا الغانج من بنغلادش الحالية، نجد المعطيات الجغرافية الحديثة تتحدث عن هذه المنطقة بوصفها ملاذ أكبر مجموعة من النمور في العالم، والتي تقول الإحصاءات الرسمية إن عدد ضحاياها يبلغ مئة ضحية سنوياً ، كما يجوب اللصوصُ الآنَ بعضَ أحراش وغابات هذه الجزر والمناطق الشرقية من خليج البنغال حتى مضيق ملقا، حيث تناقلت وكالات الأنباء في ١٧/ ٣/ ٢٠٠٥م تصريح وزير الدفاع الماليزي الذي قال فيه إن بلاده والحكومة الإندونيسية ستكثّفان من دورياتهما العسكرية في مضيق ملقا عقب مهاجمة قراصنةٍ ثلاثَ سفنٍ فيه؛ وهو الأمر الذي تحدّث عنه في أوائل القرن ١٦م السفّاح البرتغالي دلبوكيرك عندما قال إن القراصنة كانوا يتخذون من مضيق ملقّا مأوى لهم يضعون فيه البضائع التي يسرقونها[1].

وإذا قرأنا فيه عادة قطع رؤوس الأعداء والمفاخرة بكثرتها في جزيرة النيان (نياس الحالية، وهي من جزر إندونيسيا)، وأن أهالي جزائر براوه التي تلي

(١) *السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك*، ٣/ ١٤٠.

نياس يأكلون الناس ويجمعون رؤوسهم يتعاملون بها ويقتنونها[1]، نجد اليوم سكان بعض القرى في هذه المنطقة يمارسون طقوساً رمزية لاشكّ في كونها تمثّل أصداءً لتلك العادة التي كانت تُدعى صيدَ الرؤوس؛ ففي تراث أهل قرية بيروان في إندونيسيا يوجد اليوم طقس يُدعى نابو، حيث يُنصب مذبح وُضعت عليه ثمار جوز الهند، وهم يقولون إن كل واحدة منهنّ تُمثل رأسَ إنسان، ثم يقوم كاهن في يده رمح شُدَّت في رأسه خصلات شعر إنسان أُخذت من رأس عدوّ برشٍ شراب مستخلص من الرُّزّ عليهنّ، وهم يقولون إن هذا الطقس كان يُمارس في الماضي لدى عودة صائدي الرؤوس البشرية من صيدهم؛ ويذكرون أن عادة صيد الرؤوس هذه قد أبطلها البريطانيون عندما قدموا إلى البلاد. ويقولون إنهم يمارسون هذا الطقس اليوم لدفع الأرواح الشريرة. كما تُؤدي هذا الطقس اليوم قبيلة إيبن في ماليزيا، ولهم رقصة يؤدّيها جمعٌ من فتيات وشبّان بينما عُلِّقت في سقف المنزل مجموعة جماجم بشرية.

وحتى الحيوانات العملاقة تجد لها مكاناً في عالم الحقيقة مع شيء من المبالغة التي تصل بها أحياناً درجة الخرافة والأسطورية؛ فنحن نعلم مثلاً أن أكبر السلاحف البرية تعيش في جزيرة الدبراء في المحيط الهندي (قبالة الشواطئ الموزمبيقية: ميناء سُفالة قديماً)، وفي جزر الغالاباغوس في المحيط الهادئ، ويبلغ طولها متراً ونصف المتر، ويصل وزنها إلى ٢٥٠ كغ؛ وهناك السُّلَحْفَاة البحرية الجلدية الظهر التي قد يصل طولها إلى مترين ونصف، وتزن حوالي ٦٨٠ كغ؛

(١) الخبر رقم 85.

وقد شاهد عالم البحار المصري الدكتور أنور عبد العليم خلال عضويته في البعثة الدولية التي استكشفت المحيط الهندي خلال السنوات ١٩٦٠ – ١٩٦٥م، على جزر سيشل وجزيرة ليثام «السلاحفَ العملاقة وهي تسير في طابور منتظم من الغابة نحو البحر، وتستطيع الواحدة منها أن تحمل على ظهرها عدة رجال»[١]. والأسطوري هو المبالغة بهذه السُّلَحْفَاة إلى حدِّ القول إن ظهرها كان يشكِّل جزيرة رسا إليها مركبٌ ونزل بحّارته عليها، فلمّا أوقدوا ناراً لذعت ظهرها تحرَّكت فسارع البحارةُ للسباحة إلى مركبهم والنجاة[٢]. وهناك تنين كومودو (إحدى الجزر الإندونيسية)، الذي يوجد أيضاً في أحراش سوندريان، وهو أضخم أنواع السحالي، و يصل طوله إلى ٣ أمتار، ووزنه إلى ٢٠٠ كيلوغرام.

وحين تتحدَّث إحدى قصص الكتاب عن أهل قرية بالقرب من شيراز ماتوا بأسرهم لأكلهم لحم طائر ضخم سقط فيها[٣]، وأن السامعين فسَّروا ذلك بأن هذا الطائر قد أكل شيئاً مسموماً انتشر في لحمه فأحدث تلك الحالة المميتة؛ نجد ما يماثل ذلك مما حدث في أوائل ديسمبر ٢٠٠٢ في قرية ميتافياب الساحلية بكمبوديا، فقد توفي ثلاثة أشخاص وأصيب أكثر من تسعين آخرين بالتسمم جرّاء تناولهم سُلَحْفَاة بحرية ضخمة (تزن زهاء خمسين كيلوغراماً) تمَّ اصطيادها من خليج تايلاند، حيث أصيب أغلب الضحايا بالقيء والإسهال عقب تناولهم وجبة عشاء في أحد المطاعم. وقال رئيس المجلس المحلّي في البلدة إنه مندهش

---

(١) *مذكرات عالم بحار*، ٢٣٦؛ مقالة له أيضاً في مجلة *الدوحة* القطرية، العدد ١٠٩، يناير ١٩٨٥م.

(٢) القصة رقم 21.

(٣) القصة رقم 39.

لتسبب هذه السلحفاة بتسميم هذا العدد الكبير من الأشخاص خاصة وأن هذا النوع من السلاحف لايسبب ضرراً في العادة[1].

وحين يذكر الخبر 42 وجود الذهب في بلاد الزّنج نجد مايؤيد ذلك حيث يقول المؤرخ ماكيفيدي إنه عندما أسست قبيلة الشونا (فرع من قبائل البانتو) بداية القرن ١٣م إمبراطورية في مرتفعات هضبة روديسيا عثرت على ترسيبات متناثرة من خام الذهب على سطح بعض تلك المرتفعات، فبدأت باستغلالها بطريقة منتظمة، وكانت تقوم بتسويق الذهب في مدينة سفالة (ميناء بييرا الحالي) التي أنشأها العرب الذين كانوا يعيشون في مدينة كلوة[2]. ويقول المؤرخ زيربو: «الظاهر أن طريق الذهب كان يعبر المناطق الداخلية فيمر بنهر زامبيز عند تيلي، ثم يغوص إلى مواقع الذهب؛ والظاهر أيضاً أن طريقاً آخر يصل كلوة ببحيرة نياسا ومنها إلى مناجم النحاس في شابا (كاتنغا)»[3].

أما توثيق الكتاب، فإذا كانت المصادفة قد هيّأت أبا زيد الحسن السيرافي لينظر في كتاب *اخبار الصين والهند* الذي كتبه سليمان التاجر حوالي سنة ٢٣٧ هـ، وليعطيه الدرجة المقبولة من التوثيق، لكون أبي زيد السيرافي شخصية مرموقة في الأقلّ لدى مؤرخ كالمسعودي الذي التقاه سنة ٣٠٣هـ وروى عنه مجموعة روايات ورد بعضها بنصّه في *مروج الذهب*؛ فإن كتابنا *الصحيح من اخبار البحار* يمكن أن يجد مصداقيته في الأقل لدى علَمين اثنين:

الأول: مؤلّفه أبو عمران الأوسي العلَم المعتزلي المعروف.

---

(١) صحيفة *تشرين* السورية في ٨/ ١٢/ ٢٠٠٢، نقلاً عن وكالة رويترز.

(٢) *أطلس التاريخ الأفريقي*، ٩٢.

(٣) *تاريخ أفريقيا السوداء*، ٢٩٩.

الثاني: أشهرُ رواته أبو محمد الحسن بن عمرو النَّجَيْرَميّ السيرافي الذي استطعنا بعد جهد جهيد ولأول مرّة تجميعَ ترجمة لحياته من شظايا معلومات تناثرت في زوايا مصادر متباعدة وكأنها تحكي سنيَّ عمره التي نثرها على مساحات شاسعة من البراري والبحار امتدّت لتشمل شطراً من آسيا وآخر من أفريقيا، وبلادَ الأندلس التي رجّحنا أنه ذهب إليها مروراً بمصر.

ولو كان بقية رواة الكتاب من طبقة الحسن بن عمرو لأمكن العثور على معلومات أو إشارات عنهم في كتب التأريخ والتراجم، ولكن أنّى لنا ذلك والرواة والأبطال هم تجارٌ أو ربابنةٌ أو ملاّحون لاتعبأ بهم كتب التأريخ ولا كتب تراجم الرجال، فلم نجد منهم في المظان التي لدينا إلاّ واحداً هو موسى الصندابوري[1] الذي رآه المؤرخ المسعودي بمدينة صيمور ببلاد الهند عندما دخلها سنة ٣٠٤ هـ، ووصفه بأنه كان من وجوه التجار[2].ولو هُيِّئ لأيٍّ من هؤلاء الربابنة والملاّحين والتجار أن يكون جليساً للمسعودي و من هو في طبقته أو رفيقاً له على متن إحدى السفن لكان بالإمكان العثور على اسمه ضمن بعض أسماء ذلك الجمع ممن لم يكن المسعودي يأنف من ذكرهم.

ونشير إلى إحدى وقائع كتابنا لندرك أهميته، وهي وصول الواقواقيين إلى سواحل أفريقيا الشرقية سنة ٣٣٤هـ [3] فإن المؤرخ ب. فيرن أحد كبارالباحثين في التأريخ الأفريقي يقول: «اتفق المؤرخون أمثال ج. و. فوبليه، و ر. موني ـ وهم

(١) المذكور في الخبر رقم 112.

(٢) *مروج الذهب*، ١/ ٢٤٨.

(٣) الخبر رقم 139.

محقّون في ذلك ـ على أهمية النّص لأقصى حدّ إلا أنهم اختلفوا في تفسيره»[1].

لقد استغرقت بعض هوامش الكتاب الأوقات الطويلة حيث كنت أقنعُ أحياناً بما وجدتُ، ولكنني أكتشف بعد زمنٍ معلومةً يمكن أن تثري ذلك الهامش فأعود لأضيف إليه ما وجدته في كتاب أو صحيفة أو مجلّة أو ما سمعته من إذاعة.

والأمر الآخر هو احتفائي بعثوري على هذا الأثر العراقي بألفاظه وتراكيب عباراته مما جعلني أشعر بعلاقة خاصة به، فلا أبخل عليه بالوقت الذي يمكّنني من الدقّة في تحقيقه، فلعلّي أردُّ بعضَ الدّين للوطن الذي لم يبخل عليَّ بشيء.

يا وطني الشامخ دوماً بالأنين

علّمتنا الصمتَ الحزين، فالأسى آيتُكَ التي تكلِّمُ الناسَ بها في مقلتيكْ

يا أيُّها العزيزُ، مسّني وأهليَ الضُّرُّ الذي أخْنى بليلِهِ عليكْ

بضاعتي المُزْجاةُ هذه بين يديكْ

أوفِ لقلبي نظرةً أُلْهِبُ فيها نارَ ما ألقاهُ من شوقٍ إليكْ

﴿فأمَّا الزَّبدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأرْضِ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ﴾.

يوسف الهادي

دمشق في ٣٠/ ١/ ٢٠٠٥

---

(١) مقالته: «مدغشقر»، المنشورة في *تاريخ أفريقيا العام* (٢/ ٧٢٢).

اسود فاحم اثيث طويلة الذوايب من يتخطر حتى القت بنفسها في البحر
فظننتها من اهل قرية هناك جاءت تغتسل فلما دخلت اللجة نمت ورآءها
اصيح واقول لا لا ها هنا عميق وهي لا تلتفت وبازاي رجل بحري براني ويضحك
فقلت له مم تضحك فقال منك فقلت له ولم ذا فقال لي انظر هنا قرية او
ان هذه جارية فقلت وهل الا هذا فضحك ثم قال اعلم ان هذه من بعض مخلوقات
هذا البحر على هيئة النساء كانت هذه قد خرجت تستروح ثم عادت وان
في هذا البحر لخلقا على هيئة الرجال ومنهم مرد وشيوخ وصبيان ومن
النساء عجايز وغير عجايز فسكت وانا والله غير مصدق ثم جعلت اسال
البحارة فكلهم قالوا ذاك وانا مع هذا اشك واقول هذا لا يكون حتى رايت
هذا بعيني في لجة البحر وعلى شطوط منه في غير موضع منه غير مرة وان
فيهم لسودا وبيضا والوانا مختلفة واما ما ذكره ابو عمران موسى بن رباح
الاوسي في كتاب صنعه لكافور الاخشيدي وسماه الصحيح من اخبار البحار
وعجايبها وما يتعلق بذلك ان ملك الرا وهو اكبر ملوك الهند والناحية
التي هو بها بين قشمير الاعلى وقشمير الاسفل وكان يسمى مهروك بن رايق
كتب في سنة سبعين ومايتين الى صاحب المنصورة وهو عبد الله بن
عمر بن عبد العزيز يسله ان يفسر له شريعة الاسلام بالهندية فاحضر
عبد الله رجلا كان بالمنصورة واصله من العراق جيد القريحة حسن الفهم
شاعرا قد نشا بناحية الهند وعرف لغاتهم على اختلافها فعرفه ما سال الملك
الرآء فعمل قصيدة ذكر فيها ما يحتاج اليه وانفذها اليه فلما قريت على ملك
الرآء استحسنها وكتب الى عبد الله يساله حمل صاحب القصيدة فحمله اليه
واقام عنده ثلث سنين ثم انصرف عنه فساله عبد الله عن امر ملك الرآء

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة الكتاب

جماعة حضروا من الغرس الساعة يطمع الهند في الغرس ويقطعون عليهم الطريق
وتنفسد احوالهم وهو يسمع الكلام فقال لي زيد اسمع ما يقولون واذا تفرقوا
نسيوا ما تكلموا به فقلت له قد سمعت وسكت اياما فلما كان بعد ذلك بنحو
عشرين يوما بكرت يوما الى سلامه واذا بقوم مكتفين فلم ادر ما لهم فصبحته
وجلست عنده وجاء الناس للسلام عليه على الرسم فلما اجتمعوا قال زيد يا اصحابنا
قد علمتم ما جري على جوامرد وهو رجل فارسي وقد اخذت خصمائه فليقم كل واحد
منكم فليقتل واحدا منهم كما قتلوا صاحبكم وقد وجدنا بعض رجله وحسابه فليتسلم
ذلك واحد منكم يبلغ به الى اهله وتخلصني منه ونظر الي مذكرا الى ما كانوا تكلموا
به في الاول فسكت الجماعة وما رد عليه احد جوابا فقال يا اصحابنا ليس هذا بمستو
تو تعرفون وتنبزون تجتمعون وتتكلمون بما تشتهون فاذا حقت الحقائق اخذ
كل واحد منكم في طريق ما انصفوني الله المستعان ووجه الى دار السلطان فطلب
الذي بيده القتل فقتل السراق وصلبهم على ساحل البلد واتفق ان السلطان كان
مجتازا في الماء في عسكر كبير فراي رؤسا على خشب وقوما مصلبين على الساحل
فقال السلطان ما هذا قالوا لصوص قطعوا على اصحاب زيد فوجه خلفهم فوقعوا
بيده فقتلهم فقال السلطان بارك الله فيه ما علمت ان في الغرس من يحمي منه هذا
من يلومني على محبة زيد وهو نوء من الغرس في بلدي ويحمل عني مثل هذا وصار له عند
السلطان بذلك يد فهذه جملة كافية فيما يحكى عن العجائب ولو لم اجدها من
تصنيف جليل الجليل لما نقلتها لكثرة ما يقال في مثل هذا مما يكاد يبين سقما ويباقط
وضعا على ان البحر لا حرج على من حدث عن عجائبه واخبر عن غرائبه وتلك الاقطار
الشرقية كثير ما يحدث عنها وانما الاقتصار اجمل والاقتصار احري بالتصديق
وابرا لناقله من جاهل حاسد او عالم معاند ∴ تم ∴ ∴

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة الكتاب

رموز ومختصرات

س : مخطوطة *الصحيح من أخبار البحار* للأوسي السيرافي التي اتخذناها أصلاً.

ع : مخطوطة آيا صوفيا لكتاب *عجائب الهند*، التي اعتمدها فان ديرليث و اعتمدناها بدورنا.

ف : طبعة فان ديرليث.

ع ، ف : ما ورد في مخطوطة *عجائب الهند* وأبقاه فان ديرليث على حاله في طبعته.

[ ] : ما وضع بينهما هو زيادة أخذت من مخطوطة *عجائب الهند* التي في آيا صوفيا.

‹ ›: ما وضع بينهما، أضفناه لإكمال معنىً أو سياق.

... : فراغ في أصل المخطوطة.

لم نغيِّرْ في رسم كلمات المخطوطات المعتمدة، إلاّ في الحالات التي تستدعيها كتابة العربية المعاصرة مثل ثلاثمائة وثلثمائة التي كتبناها : ثلاث مئة.

الصحيح من أخبار البحار وعجائبها

لأبي عمران موسى بن رياح بن عيسى الأَوْسيّ السِّيرافيّ

(من اعلام القرن الرابع الهجريّ)

[١٧٧] ما ذكره أبو عمران موسى بن رباح الأوْسيّ في كتاب صنعه لكافور الإخشيديّ وسمّاه *الصحيح من أخبار البحار وعجائبها* وما يتعلّق بذلك:

[بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي

الحمد لله ذي العزة والجلال، والإنعام والإفضال، خالق الأمم أطواراً والأجيال، ومنوّعهم بفطرته في الأخلاق والأشكال، ومصرّفهم بقدرته من حال إلى حال، ومعلمهم بحكمته ما يصنعون من غرائب الأعمال؛ فأتقَنَ وأحكمَ، وسدَّدَ وقوَّمَ، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق، ٣ ـ ٥).

شهدت آياته المختلفة في الأقطار، وعجائب مصنوعاته في البراري والبحار، وبدائع محكماته في الآفاق والديار، أنه تبارك وتعالى فردٌ صمد قهّار، فاعتبروا يا أولي الأبصار؛ أرسل محمداً بالهدى ودين الحق، إلى كافة الخلق، صلى الله عليه وعلى آله ما لمع برق، وأشرقت شمسٌ من شرق.

وبعد، فإن الله تبارك اسمه وجلّ ثناؤه خلق العجائب عشرة أجزاء، فجعل تسعةً منها في ركن المشرق، وجزءاً في ثلاثة أركان الأرض التي هي المغرب والشمال والجنوب، ثُمَّ جعل في الصين والهند ثمانيةَ أجزاء، وجزءاً في باقي المشرق.

1. فمما في الهند، ما حدّثنا به أبو محمد الحسن بن عمرو بن حَمُّوْيه بن حرام بن حَمُّوْيه النَّجَيْرَميّ بالبصرة قال: كنت بالمنصورة في سنة ثمان وثمانين ومئتين وحَدَّثَني بعض مشايخها ممن يوثق به] أن ملك الراء ـ وهو أكبر ملوك الهند، والناحية التي هو بها بين قشمير[1] الأعلى وقشمير الأسفل، وكان يسمى

(١) وتكتب: كشمير أيضاً، كما هو اسمها في يومنا هذا.

مهروك بن مالق[1][a] ـ كتب في سبعين ومئتين إلى صاحب المنصورة [2] ـ وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[3] ـ يسأله أن يفسر له شريعة الإسلام بالهندية، فأحضر عبدُ الله رجلاً كان بالمنصورة وأصله من العراق، جيّد القريحة حسن الفهم شاعراً، قد نشأ بناحية الهند وعرف لغاتهم على اختلافها، فعرّفه ما سأله ملك الراء؛ فعمل قصيدة ذكر فيها ما يحتاج إليه وأنفذها إليه. فلما قُرئت على ملك الراء استحسنها، وكتب إلى عبد الله يسأله حمل صاحب القصيدة، فحمله إليه وأقام عنده ثلاث سنين ثُمَّ انصرف عنه. فسأله عبد الله عن أمر ملك الراء [١٧٨] فشرح له أخباره وأنه تركه وقد أسلم قلبُهُ ولسانُهُ، وأنه لم يمكنه إظهارَ الإسلام خوفاً من بطلان أمره وذهاب مُلكه.

---

(١) قوله: ملك الراء أعظم ملوك الهند، فإن سليمان التاجر وابن رسته والمسعودي يجمعون على أن أعظم ملوك الهند هو بَلْهَرَى وتدعى البلاد التي هو فيها باسم الكُمْكُم وأن سكّان بلاده يتعاملون بالدراهم الطاطرية، (خصص ابن رسته التعامل بها في بلاد الجرْز فقط وليس الكُمْكُم)؛ وينص الثلاثة على أن رسله إذا قدموا على سائر ملوك الهند، صلى هؤلاء لرسله تعظيماً له (*أخبار الصين والهند*، ٤١؛ *الأعلاق النفيسة*، ١٣٤؛ *مروج الذهب*، ٩٧/١، ١٩٧، ٢٠٢؛ *حدود العالم*، ٨٢ — ٨٥).

(٢) المنصورة: مدينة في بلاد السند (جنوب شرقي باكستان الحالية)، زارها المسعودي بعد سنة ٣٠٠هـ بقليل وقال إنها سميت باسم منصور بن جمهور الكلبي عامل بني أمية (*مروج الذهب*، ٢٠٠/١؛ *المسالك والممالك* للبكري، ٢٧٣/١؛ *صورة الأرض*، ٣٢١). وردت أقوال في تسميتها و اسم بانيها (*الجماهر*، ١٢٣؛ *معجم البلدان*، ٦٦٣/٤؛ *تقويم البلدان*، ٣٥٠؛ *آثار البلاد*، ١٢٤). دُعيت قديماً «برهمناباد» و«بَمَنْهُوا» (*القانون المسعودي*، ٥٢٢/٢؛ *تحقيق ما للهند*، ٢٦٩).

(٣) يقول المسعودي الذي دخل المنصورة بعد سنة ٣٠٠هـ، بقليل: إن ملوكها آنذاك كانوا من ولد هبّار بن الأسود، و يُعرفون ببني عبد العزيز القرشي، وليس هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي (*مروج الذهب*، ٢٠٠/١).

وكان فيما حكاه عنه أنه سأله أن يفسر له القرآن بالهندية، ففسّره له، قال فانتهيت إلى سورة يس، ففسَّرتُ له قوله[b]: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ، قُلْ يُحْيِيها الَّذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيْمٌ﴾(سورة يس، ٧٨-٧٩).

قال: فلما فسَّرتُ له[c] هذا وهو جالس على سرير من الذهب[d] مرصَّع بالجوهر، لا تعرف[e] له قيمة قال: أعِدْ عَلَيَّ، فأعدتُ ونزل عن سريره ومشى إلى الأرض – وكانت قد رُشَّت بالماء وهي وسخة[f] – فوضع خدَّه على الأرض وبكى حتى تلوَّث وجهه بالطين، ثُمَّ قال[لي]: هذا هو الربُّ المعبود الأول القديم الذي ليس يشبهه أحد. وبنى بيتاً لنفسه و أظهر أنه يخلو فيه لمهمِّهِ، وكان يصلي فيه سراً من غير أن يطَّلع على ذلك أحدٌ، وأنه وَهَبَ له في ثلاث دفعات ست مئة مناً ذهباً[١].

2. ثم قال: وحدثني أن لأهل قشمير الأعلى يوم عيدٍ في كل سنة يجتمعون فيه ويصعد خاطِبٌ لهم على منبر معه جرَّةٌ من طين غير مطبوخ فيخطب[c] ثُمَّ يقول: وَقُّوا أنفسَكم وأموالَكم واحفظوها. ويعظهم ثُمَّ يقول: انظروا إلى هذه الجَرَّة من طين وُقيت وحُفظت فبقيت. وإن لتلك الجرة على ما يقولون أربعة آلاف سنة.

3. وقال: حَدَّثَني أبو عبد الله محمد بن بابشاد بن حرام بن حَمُّوْيه السِّيرافِي ـ وكان وجه النواخذة[٢] الذين سافروا إلى بلد الذهب، وأعرف خلق

---

(١) المنا: يقول الأب الكرملي: وزان عصا كان يساوي في أول وضعه ٧٩٤غراماً و٥٢سنتغراماً، وإن الكلمة هي من اليونانية MNA (هوامش على *نخب الذخائر*، ١٩)

(٢) مفردها الناخوذاه، ويقال اليوم: النوخذه، من الفارسية وتعني ربّان السفينة. وكُتبت في *تاريخ المستبصر* (ص١٢٧، ١٢٨): الناخوذه؛ وجُمعت على نواخيذ (*سلوة الغريب*، ٦٣).

الله بأمر البحر[١]، ومن جلّة[a] البحريين ومستوريهم ـ أن بأغباب[٢] سرنديب بلداً يقال له أبرير[b]، عظيم[٣] فيه نيِّف وثلاثون سوقاً كل سوق منها طوله نحو نصف ميل، وبه الثياب الغُبّيّة[c] المرتفعة الحسنة. وهو بلد راكب على نهر كبير يصب في بحر الأغباب. ولأهل هذا البلد نحو ست مئة بُدّ جليلة[٤] سوى الصغار

(١) بلد الذهب أو بلاد الذهب: المنطقة التي تبدأ من الجزر الإندونيسية (ومنها جاوة) لتشمل البلدان المطلّة على بحر الصين الجنوبي، يقول البيروني: «جاوة هي أول الأرض التي يسميها العرب أرض الذهب» (*الصيدنة*، ١٠٨)، ويقول: «فأما الجزائر الشرقية في هذا البحر وهي إلى حدِّ الصين أقرب فإنها جزائر الزّابَج ويسميها الهندُ (يعني أهل الهند) سُورَن ديب أي جزائر الذهب» (*تحقيق ما للهند*، ١٦٩).

(٢) سرنديب: سري لانكا الحالية؛ أما الأغباب فمفردها: الغُبّ، يقول البيروني: «الغب هو كالزاوية والعطفة يدخل من البحر إلى البر ويكون للسفن فيه مخاوف وخاصة من جهة المد والجزر» (*تحقيق ما للهند*، ١٦٧). وقال أبو زيد السِّيرافِيّ: «الغب: الوادي العظيم إذا أفرط في طوله وعرضه وكان مصبه إلى البحر» (*أخبار الصين والهند*، ٨٥). وفي *نزهة المشتاق*: «الأغباب هي أجوان (جمع جُوْن) تقع فيها أنهار وتسمى أغباب سرنديب» (٧٤/١). وفي *بسط الأرض* (ص١٨): «أغباب سرنديب المشهورة فتجوز إلى الجنوب وهي أربعة يصب في كل منها نهر من أنهار جزيرة القمر». يحدِّد المسعودي الذي زار سرنديب موقعها بقوله: «خلجانات الأغباب، وهي أغباب تلي جزيرة سرنديب» (*مروج الذهب*، ١١٣/١) وسرنديب هي جزيرة سيلان التي أصبح اسمها سري لانكا.و في *معجم البلدان* (٧٧١/٣): «الثياب الغبية وهي خِفاف رقاق من قطن».

(٣) يحتمل أن تكون مدينة أرين التي ذكرت ضمن مدن جزيرة سرنديب في *الجَعْرافِيّة* للزهري (ص٢٧)، وأن تحريفاً أصاب الكلمة، كما يمكن أن تكون المدينة الواقعة على مصب نهر أربوس التي ذكرت ضمن جزيرة سرنديب في *صورة الأرض* للخوارزمي (ص٩٧) وفي *عجائب الأقاليم* (ص٧٦، وبهامشه وردت قراءات أخرى للكلمة مثل: ابرس، ايرس، اروس، انوس...).

(٤) البُدّ: الصنم، جمعها: البدود.و تدل الكلمة على الموضع الذي فيه الصنم أي المعبد كما في *نزهة المشتاق*: «البدود هي الكنائس بلغة أهل الهند» (٨١/١). وهي متداولة في الفارسية اليوم بشكل: بُت. وفي *فرهنگ فارسي* (مادة بت) تكتب أيضاً: بُغ، فُغ. وفي *مفاتيح العلوم* (ص١٥٤): «البد: صنم الهند الأكبر الذي يحجُّونه، ويُسمى كل صنم بُدّاً».

وهي نحو أربع مئة بُدّ[d]. وبظاهر [١٧٩] البلد جبل تجري تحته عين ماء، وإلى جانب الجبل شجرة من نحاس وصُفَّة[e] عظيمة[١] فيها شوك مثل السفافيد والمسالّ، وبإزائها صنم عظيم في صفة[f] زنجي عيناه من زمرّد[g].

ولهم يوم عيد في كل سنة عند ذلك الصنم، فيخرجون إليه ويصعدون فوق الجبل، فمن أحبَّ بزعمه التقرُّب إلى الله عز وجل[h]، شرب وغنّى وسجد للصنم مراراً ورمى بنفسه من فوق الجبل على تلك الشجرة فيتقطّع فيها[i] قطعاً[٢]، ومنهم من يرمي بنفسه على دماغه فوق حجر عظيم يجري[j] عليه ماء العين تحت الصنم الأسود فَيَتَطَحَّنُ[k] فوق الحجر إلى نار الله الموقَدَة.

---

(١) الصُفَّة: المصطبة المرتفعة.

(٢) يقول المقدسي في *البدء والتاريخ* (١٨/٤) إنها من الحديد. وفي *نزهة المشتاق* (٢١٣/١) ذُكرت شجرة عظيمة باسقة من حديد على نهر خمدان (في الصين) يلقي البعض أنفسهم عليها فيسقطون ويموتون في ماء نهر يقع فيه الغانج. وهي شجرة حقيقية لدى البيروني «على ملتقى نهري جمن وگنگ وهما نهرا الغانج (Ganga) وأحد روافده وهو جمنا (Jumna)، و تُعرف بـ (پرياك)...وعند هذه الشجرة المذكورة يقتل أولئك أنفسهم بأن يصعدوا ويرموا بأنفسهم إلى ماء گنگ...عندها يمثّل الهند بأنفسهم بالمثلات». و يساعد على موتهم، أغصانها التي كالسفافيد (*تحقيق ما للهند*، ١٥٩، ٤٨٠). وفي *بسط الأرض* (ص٦٨) أنها من شجر القنا. ونقرأ في *مروج الذهب* عن قتل الهنود أنفسهم في هذا الموضع: «وهنالك جبال عالية وأشجار عادية ورجال جلوس، وحدائد وسيوف منصوبة على تلك الأشجار، وقِطَعٌ من الخشب، فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية، فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتّبين على هذا النهر وما يقولون من تزهيدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه، فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الأشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة، فيتقطعون قطعاً ويصيرون إلى هذا النهر أجزاء» (١/ ٢٤٦). ثُمَّ وَصَفَ شجراً عجيباً تظهر أغصانه فيرتفع شطر منها في الهواء إلى الأعلى ويتجه شطر آخر نحو الأسفل بحيث يغيب تحت الثرى؛ وهو وصف ينطبق على شجرة (پرياك) التي قال عنها البيروني: «عند هذه الشجرة المذكورة يقتل أولئك أنفسهم بأن يصعدوها ويرموا بأنفسهم إلى ماء گنگ» (*تحقيق ما للهند*، ٤٨٠).

4. وحَدَّثَني أن بقَنُّوْج[1] من بلدان الهند من تأخذ الفوفلة[2] بين شَفْريها فتكسرها قطعاً من شدة ما تضغطها.

5. وقال: حَدَّثَني أبو محمد الحسن بن عمرو أن الزِّنى لا يتحاشى بسائر بلاد الهند[3]، وأن الزِّنى في كل بلد في أهل بيت بأعيانهم ينسبون فيه: فلانة بنت فلانة زانية بنت زانية. فأما مَن سواهم فإنهم يضبطون أنفسهم غاية الضبط، ويعاقبون على الزِّنى أشد العقوبة مَن زنى بغير زانية، أو امرأةً زنت ليست من

(١) بلاد القَنُّوْج: قال الإدريسي إن بينها وبين كشمير الداخلة سبع مراحل ووصفها بقوله: «مدينة كبيرة حسنة كثيرة التجارات» (١/٩٣). وفي تحقيق ماللهند أنه بلد كبير واقع غربي نهر الغانج «أكثره الآن خراب معطل لزوال مقر الملك عنه إلى بلد باري وهو في شرق گنگ (الغانج)» (*تحقيق ما للهند*، ١٥٨؛ انظر أيضاً: *تقويم البلدان*، ٣٦١)، وفي *التنبيه والإشراف* (ص٤٩) أن القَنُّوْج من مملكة بوورة.

(٢) ثَمَر نبات وصفه الدينوري بقوله: «نخلة كنخلة النارجيل لها كبائس فيها الفوفل مثل العراجين والشماريخ بالتمر... وليس من نبات العرب ولكن من نبات الصين والهند» (*عمدة الطبيب*، ٤٨٨/٢). يستخدم حبُّهُ لتطييب رائحة الفم ويخلط بأوراق التنبول، ويمضغ لفوائده الطبية كما يقولون (*مروج الذهب*، ٢٤٧/١؛ *الصيدنة*، ١٤٢، ٤٦٨، *آثار وأحياء*، ٨٥) وثَمَرته هذه صلبة جداً.

(٣) من أوائل من ذكر المعلومة الخاصة بالزِّنى في الهند كان ابن رسته الذي نقل قول أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسحاق الذي ذهب إلى تلك البلاد وأقام فيها وهو: «إن عامَّة ملوك الهند يرون الزِّنى مباحاً ما خلا ملك قِمَار فإني دخلت مدينته وأقمت عنده بها سنتين، فلم أرَ ملكاً أغيرَ ولا أشدَّ في الأشربة منه، يعاقب على الزِّنى والشرب بالقتل» (*الأعلاق النفيسة*، ١٣٢؛ انظر أيضاً: *الروض المعطار*، ٤٧٥؛ *المسالك والممالك*، ٦٦؛ *حدود العالم*، ٨٠؛ *البلدان* لابن الفقيه، ٧١؛ *آثار البلاد*، ١٠٥). غير أن البيروني يقول: «ويظن الناس بالزِّنى أنه مباح عندهم – كما شرط إصفهبُد كابل أيام فتحها وإسلامه أن لا يأكل لحم بقر ولا يتلوَّط – وليس الأمر عندهم كما يُظن ولكنَهم لا يشدِّدون في العقوبة عليه»، ويفسر زنى فتيات المعابد من المغنيات والراقصات بقوله: «الآفة فيه من جهة ملوكهم، فإن اللواتي يكنَّ في بيوت الأصنام هنَّ للغناء والرقص واللعب لا يرضى منهنَّ برهمن ولا سادنٌ بغير ذلك، ولكنَّ ملوكهم جعلوهنَّ زينة للبلاد وفرحاً وتوسعة على العباد، وغرضهم فيهنَّ بيت المال ورجوع ما يخرج منه إلى الجند إليه من الحدود والضرائب» (*تحقيق ما للهند*، ٤٧١ – ٤٧٢).

الزواني المعروفات المكتوبات في ديوان المتملّك بالناحية[١]. فإن المرأة من غير الزواني إذا أحبّتْ أن تدخل في الزواني، انتفى أهلُها منها وكتبوا الكُتُبَ بذلك، وطردوها ولم يسلّموا عليها أبداً، وصارت من جملة الزواني، إلاّ أن محلّها دون من تنقّلت في الأمهات الزواني. وأن الشهود في كل بلد من بلدان الهند عجائز زواني بنات زواني ينسبون في الزِّنى، وقولهم المقبول في كل شيء[٢]. وأن الزانية إذا وافقها الرجل على المبيت عنده دفع إليها رَهْناً ثُمَّ جاء ما بعده من يبذل لها أضعاف ما بذل لها الأول لم تُجِبْهُ وَوَفَتْ للأول.

6. وحَدَّثَني أنه سمع في حداثته أن مردويه بن زرابخت[a] وكان أحد رُبّانية الصين وبلاد الذهب، ذكر أنه كان مجتازاً بناحية جزيرة الزَّابَج[٣] وأنه سلك في بعض الأيام بين قرنين ظاهرين في البحر قَدَّرَ أنهما جَبَلان[b] في الماء، وأنه لما جاوزهما غاصا في البحر، فقدّر أنهما ظفرا[c] سرطان.

---

(١) يقول أبو زيد السِّيرافِيّ عن الصين: «فيهم نساء لا يردن الإحصان ويرغبن في الزِّنى. وسبيل هذا أن تحضر مجلس صاحب الشُّرَط فتذكر زهدها في الإحصان ورغبتها في الدخول في جملة الزواني، وتسأل حملها على الرسم في مثلها. ومن رسمهم فيمن أراد ذلك من النساء، أن تكتب نسبها وحليتها وموضع منزلها، وتُثبت في ديوان الزواني ويُجعل في عنقها خيط فيه خاتم من نحاس مطبوع بخاتم الملك ويدفع إليها منشور يُذكر فيه دخولها جملة الزواني وأن عليها لبيت المال في كل سنة كذا وكذا فلساً، وأنَّ من تزوَّجها فعليه القتل. فتؤدي في كل سنة ما عليها... فيصرن إلى من طَرَأ إلى تلك البلاد من الغرباء من أهل الفسق والفساد وأهل الصين فيقمن عندهم وينصرفن بالغدوات» (*أخبار الصين والهند*، ٦٢).

(٢) يقول التنوخي: «وهنَّ العدول هناك، يشهدن في الحقوق ويقمن الشهادة فيقطع بها حاكمهم في سائر الأمور» (*الفرج بعد الشدّة*، ١٥١/٤؛ *نشوار المحاضرة*، ١٠٩/١).

(٣) الزَّابَج: جزيرة جاوة الإندونيسية، وكُتبت في المصادر التراثية باسمها الحالي أيضاً: جابة، جاوة، الجاوة (*جَهانْ نامَه*، ٢٠، ٤٠؛ *الصيدنة*، ١٠٨؛ *تقويم البلدان*، ٣٦٨؛ *بسط الأرض*، ٤٠)؛ وملكها يدعى المَهْرَاج (*الأعلاق النفيسة*، ١٣٧؛ *الآثار الباقية*، ١٠١؛ *بسط الأرض*، ٣٩).

فقلت لأبي محمد: أحكي عنك هذه الحكاية؟ فقال لي: قد سمعتُ بها وهو شيء عظيم ما أدري ما أقول فيه، إلاّ أن السرطان يعظم في البحر جداً.

7. وقال: حَدَّثني إسماعيل بن إبراهيم بن مرداس الناخُذاه وكان من بيته[a] نواخذة بلاد الذهب، وهو المعروف بإسماعيلويه خَتَن[١] أشكينان[b]، أنه في بعض سفراته إلى بلاد الذهب قَرُبَ من البر[c] بقرب لامري[٢] لعيبٍ لحق المركب أو لسبب احتاج معه إلى أن يمسك المركب، وأنه[d] رمى [١٨٠] بالأنْجَر[٣] [الكبير] في البحر فلم يقف به المركب ومشى[f] على حاله، فلم يعرف السبب في ذلك فقال للغائص ينزل مع حبل الأنْجَر ويعرف[g] خبره؛ وأن الغائص لما أراد النزول نظر وإذا الأنْجَر بين ظفري سرطان وهو يجرّ المركب ويلعب بالأنْجَر، وأنهم[h] صاحوا وطرحوا في الماء حجارة[i] ورفعوا الأنْجَر ثُمَّ طرحوه في موضع آخر. وكان[j] وزن الأنْجَر ستة مئة مناً أو أكثر.

---

(١) الخَتَن: الصِّهْر.

(٢) لامري أو لامبري أو لمبوري، ويعتقد أيضاً أن اسم جزيرة الرَّامْنِي هو تحريف لامبري أو لمبوري: ينقل إبراهيم خوري عن عالم الصينيات يول قوله إنها «مقاطعة قريبة من أتشيه (من الأقاليم الإندونيسية) في طرف سومطرة الشمالي الغربي. ونشر غروينفلدت حولياتٍ صينية أيّدت وجهة نظر يول جاء فيها: تقع بلاد لمبري غربي سومطرة على مسافة ثلاثة أيام منها بريح طيبة ... ويقع البحر إلى جنوب غرب لامبري، وفيه على بعد نصف يوم جبل مستوٍ يُسمّى جزيرة القبعة التي يمتد المحيط الكبير المسمّى محيط لامبري إلى غربها، وتعتبر السفن القادمة من الشرق هذه الجزيرة علامة لها. ويرى غروينفلدت أن جزيرة القبعة هي جزيرة فولوبراس ... ويقول مارسيل ديفيك وسوفاجيه إن العرب يطلقون اسم رامني على جزية سومطرة بأجمعها» (تعليقاته على *أخبار الصين والهند*، ١٠٤). اشتهرت بإنتاج البَقّم والخيزران (*القانون المسعودي*، ٥٤٨/٢، *الصيدنة*، ١٢٢). مرّ بها ماركوبولو (٣٦/٣).

(٣) الأنْجَر: المرساة، جمعها: الأناجر.

8. وحَدَّثَني أبو محمد الحسن بن عمرو أن بعض النواخذة حدَّث[a] أنه جَهَّزَ مركباً إلى الزَّابَج[b] فوقعوا إلى قرية من قرى جزائر الواقواق لأن الريح طرحتهم إليها[١]، فلما رآهم أهل القرية هربوا في الصحارى بما أمكنهم أن يهربوا به من أموالهم، وأن أهل المركب أيضاً تهيَّبوا النزول[c] لأنهم لم يعرفوا البلد ولا عرفوا سبب هرب[d] القوم ما هو. ومكثوا في مركبهم يومين لا يجيئهم أحد ولا يخاطبهم على وجه ولا سبب. وأحدروا رجلاً من أهل المركب يعرف لغة الواقواقيين[e] ومضى مغرِّراً وخرج من القرية إلى الصحارى فوجد رجلاً قد صعد شجرة وأخفى نفسه فيها، وكلّمه ورفق به فأطعمه قطعة تمر كانت معه وسأله عن سبب هرب أهل القرية وآمنه على نفسه ووعد بشيء يهبه له إن صدقه، فقال له: إن أهل القرية لما بصروا بالمركب قدَّروا[f] أنهم يريدون أن يغيروا عليهم وهربوا مع ملكهم في الصحارى والغياض. قال فجاء بالرجل إلى المركب وأنفذوه[g] مع ثلاثة نفر من أهل المركب إلى ملك القوم برسالة جميلة وآمنوه على نفسه وأهل بلده وحمّلوه إليه ثوبين وشيئاً من التمر[h] والسَّقَط[٢] هدية، وطابت نفسه وعاد مع سائر أهل البلد وأقاموا معهم وتسوّقوا بما في المركب من الأمتعة.

---

(١) قدَّم العلاّمة دي خويه أدلّة مدعَّمة بالحجج أن الواق واق هي اليابان، وذلك لأن اسم اليابان في لهجة كانتون (المدينة الصينية التي تدعى خانفو قديماً) هو: وُو ـ كْوُك wo – kwok، وما أقربه إلى الوقواق (*العرب والملاحة*، ٢٣٢)؛ و مما استند إليه قول ابن الفقيه الهمذاني: «وخلف الصين أمة يقال لها واق واق» (*البلدان*، ٥٩)، لكن هول يرى أن الواقواقيين هم إندونيسيون جوَّابون للبحر، وأن هذا الاسم ربما كان مجرد تقليد ساخر من أعدائهم للصوت الذي يصدرونه لدى حديثهم، ويضيف: «الأمر الأكثر احتمالاً هو أن هذا الاسم يتمثل في واكا وهو الاسم الذي يُطلق في إندونيسيا على نوعية القوارب ذات الامتداد الخارجي التي استخدمها الواقواقيون» (*إمبراطوريات الرياح الموسمية*، ٥٠).

(٢) السَّقَط: الرديء من المتاع، وهو هنا بمعنى الزهيد القيمة من المتاع.

ولم يمض عشرون يوماً حتى وافى أهل قرية[i] أخرى مع ملكهم لمحاربة هذا الملك. فقال لهم الملك: اعلموا أن هؤلاء القوم قد جاؤوا لمحاربتي وأخذ مالي لأنهم قدروا أنه قد صار إليّ من هذا المركب جملة، فعاونوني عليهم وادفعوا عن أنفسكم وعني.

قال: وصبّحنا[j] القوم على باب القرية وخرج إليهم هذا الملك وسائر أهل القرية مع بانانية[k] المركب[1] ومقاتلته ومن نشط للحرب من تجاره وأهله، وكان في جملة أهل المركب رجل أصله من العراق خبيث[2]، فلما اشتد الحرب بين القوم أخرج الرجل من حُجْزَتِهِ[l] ورقة كبيرة[3] فيها حساب له ونشرها ورفعها بيده إلى السماء وتكلم بكلام يرفع به صوته.

قال: فلما رآه القوم تركوا الحرب وجاءت طائفة منهم إليه وقالوا: لا تفعل هذا ونحن ننصرف عنكم ولا نأخذ شيئاً. وجعل بعضهم يقول لبعض: لا تحاربوا[m] فإن القوم قد رفعوا أمرهم إلى ملك السماء، والساعةَ يغلبوننا ويقتلوننا[n] ولم يزالوا يضرعون إلى الرجل حتى ردّ الرقعة إلى حجزته. وانصرفوا بعد أن أثخنوا القول، كأني والقوم يملكون القرية وما فيها.

قال الناخذاه: ولما كفينا أمرهم رجعنا إلى بيعنا وشرائنا وتسوّقنا على الرسم واستخدمنا ملك القوم، ولم نزل نحتال[o] على أهل القرية ونسرق أولادهم ونشتري[p] بعضهم من بعض بالفوطة والتمر[q] والشيء اليسير، حتى صار معنا

---

(١) البانانية: مفردها الباناني وتعني البحّار أو الملاّح.

(٢) خبيث هنا تعني الداهية والماكر.

(٣) الحُجْزة: معقِد الإزار من وسط الجسم، موضع الحزام.

في المركب نحو مئة رأس من الرقيق كباراً وصغاراً[1]. فلما مضت علينا أربعة أشهر وقرب وقت الرجوع قال لنا القوم الذين اشتريناهم وسرقناهم: لا تحملونا واتركونا في بلدنا فإنه لا يحل لكم أن تستعبدونا وتفرقوا بيننا وبين أهلنا. فلم نلتفت[r] إليهم وكانوا في المركب منهم مقيّد ومنهم مشدود وصغارهم مطلقون، وفي المركب البانانية خمسة أنفس يرون أمر المركب ويقومون بإطعامهم وبقية أهل المركب في القرية، فعمدوا إلى البانانية في بعض الليالي فشدّوهم بالحبال ورفعوا الأنْجَر والشروع وسرقوا المركب في جوف الليل، وأصبحنا فلم نجد المركب، فبقينا وقد طلع بنا ليس معنا شيء ولا لنا حيلة[s] إلاّ الشيء اللطيف[2] الحقير الذي في القرية مما يخلف في الأيام ولم يجئنا أحد بخبر للمركب، فأقمنا ضرورةً شهوراً إلى أن بنينا قارباً لطيفاً يحملنا وخرجنا على أقبح صورة فقراً.

9. وقال: حَدَّثَني أحمد بن علي بن منير الناخذاه السِّيرافِيّ، وكان أيضاً من بقية النواخذة الذين سافروا البحار ومضى لهم الاسم [والصيت][a] في البحر، أن بعض شيوخ الهند حَدَّثه بسرنديب، أن مركباً كُسِرَ به، فسلم نفرٌ من أهله في

---

(١) لقد ظُلم هؤلاء البائسون واستُرقوا على مدى العصور بأيدي شتى الأمم والنِّحَل، يقول إميل لودفيغ: «مما رواه مبشّرون حوالي سنة ١٨٥٠م مشاهدتهم نخّاسين من نصارى البرتغال هدموا قرى بأسرها وذبحوا ١٥٠ زنجياً ليغنموا ٥٢ امرأةً، وكانت الفتاة الغَلاّوية (من أفراد قبيلة الغَلاّ في الحبشة) المليحة تساوي ثمناً يترجّح بين ٢٥ و ٤٠ تاليراً في أسواق الشمال... وكانت أسواق النخاسة علنية في أديس ابابا حتى سنة ١٩١٣م» (*النيل*، ١٩٣، ٢٠١). ويقول المستكشف ريتشارد بيرتون الذي وصل زنجبار سنة ١٨٥٦م: «كانت أسوأ الحِيَل تُستخدم لاستمرار تدفق العبيد، فبزجاجة من الخمر أو فتاة ساقطة كان الأهالي يُستدرجون إلى المركب في مرفأ زنجبار ثم يُحبسون» (*النيل الأبيض*، ٢٠)

(٢) الشروع: جمع شراع، ويبدو أنه جمع خاص بلغة أهل البحر. اللطيف: الصغير.

القارب[١] ونزلوا على الأرض وأوقدوا ناراً على الأرض فانسكبت لهم الفضة من الأرض وجرت، فعلموا أنها من جملة المعادن، فاحتملوا منه ما أرادوا وركبوا في قاربهم، فاشتد عليهم البحر، فرموا بجميع ما أخذوه ونجوا بأنفسهم؛ ثُمَّ إنهم بعد ذلك تجهزوا في مركب عظيم، وعادوا إلى المكان فلم يعرفوه[٢].

10. وحَدَّثني أحمد بن علي بن منير الناخذاه السِّيرافِيّ وكان أيضاً من بقية النواخذة الذين سافروا البحار ومضى لهم الاسم والصيت في البحر، أن بعض شيوخ الهند حدثه بسرنديب أن مركباً كُسِرَ له[a] فسلم نفر من أهله في القارب ووقعوا إلى جزيرة بقرب الهند، فبقوا بها مدة إلى أن مات أكثرهم وبقي[b] منهم سبعة، وكانوا في مدة مقامهم قد رأوا طيراً عظيماً[c] يقع في الجزيرة[d] ويرعى، فإذا كان وقت العصر، طار، فلا يدرون إلى أين يمضي.

---

(١) إلى هنا تتطابق بداية هذا الخبر مع بداية الخبر الذي يليه مما يجعلنا نحتمل ضياع أسطر من أحد الخبرين.

(٢) نحتمل أنها الجبال التي ذكرها سليمان التاجر (ص٣٣) بعد جزر أندمان، فقال: «جبال على الطريق يقال إن فيها معادن الفضة، وليست بمسكونة، وليس كل مركب يريدها يصيبها. وإنّما دلَّ عليها جبل يقال له الخشنامي، مرَّ به مركبٌ، فرأوا الجبل فقصدوا له. فلما أصبحوا انحدروا إليه في قارب ليحتطبوا، وأوقدوا ناراً، فانسكبت الفضة، فعلموا أنه معدن. فاحتملوا ما أرادوا منه. فلما ركبوا، اشتدَّ عليهم البحر، فرموا بجميع ما أخذوا منه. ثُمَّ تجهَّز الناس بعد ذلك إلى هذا الجبل فلم يعرفوه».

قوله: «جبال على الطريق»، يمكن أن تكون جبالاً في جزر على الطريق المتَّجه نحو الجنوب الشرقي حيث نفترض أنهم متَّجهون إلى شمالي سومطرة أو إلى خليج ملقا إن كانوا ينوون الالتفاف عبر ماليزيا للدخول إلى بحر الصين الجنوبي. فإن صحَّ هذا الافتراض فإن جزر نيكوبار التي في أقصى جنوب خليج البنغال ستكون محطَّتهم وهي التي يفترض وجود الفضَّة فيها. بشأن الفضة في بعض الجزر يقول إبراهيم خوري: «ليست هذه الظاهرة وهمية لأن الهولنديين عثروا في جزر الكوريل (من جزر المحيط الهادئ) على جبل تعطي تربته فضة متى أذيبت بالنار» (تعليقات على *أخبار الصين والهند*، ١٠٢).

ومن المحتمل أن تكون «جزيرة الفضة التي في بحر الصين» التي ذكرها قدامة في *الخراج* (ص١٥٢).

فأجمع رأيهم على أن يتعلق واحد منهم برجليه[e] ليحمله، لما ضاقت صدورهم وعلموا أنه لا بد من الموت، وتعلقت نفوسهم[f] بأمر الطائر، وإن[g] كان يطرحهم بقرب بلدٍ فهو[h] الذي يتمنونه، وإن قَتَلَهُم فهو الذي يتوقعونه[١]. فطرح واحد منهم بنفسه بين الشجر، وجاء الطائرعلى الرسم فرعى؛ فلما جاء[i] وقت انصرافه تلطّف الرجل في الدنوّ منه وتعلق آخذ‹اً›[j] برجليه وشدّ نفسه مع ساقيه بقشور الشجر، فطار به في الهواء[k] وهو متعلق بفخذيه وقد جعل رجليه مشتبكة برجليه، فعبر بحراً وطرحه وقت غروب الشمس على جبل، فحلَّ نفسه وسقط كالميت مما تَعِبَ وَكَلَّ ومرَّ به وما عاين من الأهوال، فمكث لا يتحرك إلى أن طلعت الشمس من غد، فقام ينظر فإذا راعي غنم، فسأله بالهندية عن الموضع فذكر قرية من قرى الهند، وسقاه لبناً فتحامل حتى دخل القرية.

---

(١) برغم أن النّص لايذكر اسم هذا الطائر، لكن يمكن الجزم أنه الرُّخ (Aepyornis)، الطائر الحقيقي الذي حوّلته المبالغات في النصوص التراثية إلى كائن أسطوري؛ قالت عنه *دائرة المعارف البريطانية* المعروفة بـ *Britannica* (مادة Aepyornis): «يدعى طائر الفيل أيضاً. وقد انقرض هذا الطائر الضخم الذي وجدت أجزاء مستحاثة منه ترجع للعصر الحديث وما بعده في جزيرة مدغشقر حيث كانت بقاياه كثيرة. تمّت إعادة تركيب ما عُثِرَ عليه من عظام وبقايا فإذا هو طائر ذو منقار معقوف ساقاه قصيرتان وأجنحته قصيرة نسبياً بحيث لا يمكنه الطيران، وهذا خلاف ما نعهده في كتب التراث وفي قصص *ألف ليلة وليلة* التي تتحدث عن شدّ الغرقى الناجين على الجزر المنعزلة أنفسَهم إلى إحدى ساقيه ليحلّق بهم وينقلهم إلى مكان آخر.البقايا المتحجرة لبيوضه تشير إلى أنها الأكبر حجماً عند جميع الحيوانات، فإحدى أكبر النماذج السليمة يبلغ قطرها الطولي ٨٩ سنتمتراً ويمكن تخزين ٩ لترات من الماء فيها. كانت بعض أنواعه ضخمة جداً حيث كان نوع Tinta منه يبلغ ٣ أمتار طولاً ويصل وزنه إلى ٤٥٠ كيلوغراماً». ونعتقد أنه هو نفسه الطائر الذي وردت عن ضخامته وعِظَم ساق ريشه تفاصيل في الأخبار37, 40, 41, 59, 142, 145 من هذا الكتاب.

ولم يزل الطائر ينقل القوم من تلك الجزيرة على تلك الصورة حتى اجتمعوا بأسرهم في تلك القرية. وتسبّبوا إلى النفوذ إلى بعض بلاد الهند التي يوجد فيها المراكب وركبوا في مركب، وأنهم حدّثوا بأمرِ كسرِ[l] مركبهم والجزيرة التي وقعوا إليها ومقدار مسافة ما حملهم الطائر إلى تلك القرية فوجدوه زيادة على مئتي فرسخ.

11. وحَدَّثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر السِّيرافِيّ أنه رأى بعُمَان في سنة ثلاث مئة، سمكة وقعت ببعض سواحل عُمَان وجَزَرَ[a] الماءُ عنها فصيدت فسحبت إلى البلد. فركب أحمد بن هلال[1] الأمير والعسكرُ معه وحضر الناس للنظر إليها، وكان الفارس يدخل في فكّها ويخرج من الجانب الآخر وهو راكب لعظمها[2]، فإنها ذُرعت فكان طولها زيادة على مئتي ذراع، وارتفاعها نحو خمسين ذراعاً، وأنه بيع من دهن عينيها على ما قيل ببضعة عشر ألف درهم[b].

---

(١) هو أمير عُمَان، وكان ما يزال أميرها عندما زارها المسعودي سنة ٣٠٤هـ ووصفه بأنه: «ابن أخت القيتال» (*مروج الذهب*، ١/١٢٣). وقد دأب على إرسال هدايا طريفة ونادرة إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله، ففي سنة ٣٠١هـ أرسل بغلة بيضاء وغزالاً أسود (*البداية والنهاية*، ١١/١٣٧)، وفي ٣٠٥هـ أرسل إليه هدايا فيها طير صيني أسود يتكلم أفصح من البيغاء بالهندية والفارسية، وفيها ظباء سود (*صلة تاريخ الطبري*، ٤٧)، وأرسل من عجائب البحر، قروداً ذوي لحى وسبال كبار وشيوخ وشبان، وحيات عظام وأنواع الهدايا (*مروج الذهب*، ١/٢٣٣).

(٢) في الخبر أن أبا عبيدة بن الجراح ذهب في سريّة ومعه ٣٠٠ رجل، ثم إنهم جاعوا ـ وكانوا قريبين من البحر ـ فألقى لهم البحر دابّةً يقال لها العنبر (هو حوت العنبر بكل تأكيد)، فظلّوا يأكلون منها نصف شهر؛ ثم أخذ أبو عبيدة «ضلعاً من أضلاعه، فنظر إلى أطول جَمَلٍ وأطول رجلٍ في الجيش فمرّ تحته» (*السنن الكبرى* للنسائي، ٣/ ١٦٤؛ *القند في ذكر علماء سمرقند*، ١٧٦؛ *نخبة الدهر*، ١٣٤).

12. وحَدَّثني إسماعيلويه الناخذاه أن هذا السمك كثير ببحر الزَّنج[١] وبلُجّة قَصْرقَنْد[٢]، ويقال له الوال[c] وهو بكسر المراكب مولع[٣].

---

(١) هو جزء من البحر الأعظم أو الكبير الذي قال مؤلف *حدود العالم* إن كل مكان منه يدعى باسم المدينة أو البلاد التي تحاذيه، كبحر فارس وبحر البصرة وبحر عُمَان وبحر الزَّنج وبحر الهند وما شابه ذلك» (ص٢٦). فبحر الزَّنج هو المنطقة التي تقابل سواحل زنجبار (تؤلف مع تنغانيقا دولةَ تنزانيا الحالية). ويضيف إليه أبو الفداء جزر القمر (Comores) وجزيرة أندرابه (ربما تكون جزيرة الدبراء Aldabra) (*تقويم البلدان*، ٣٦٨). ويقول النويري: «بحر الزنج وبحر بربرا، ويُسمَّى ساحله الزَّنجبار» (*نهاية الأرب*، ١/ ٢٤٢). ويحدِّده أندريه ميكيل: «بلاد الزَّنج أو زنجستان: البلدان الواقعة على سواحل بحر الهند الغربي من خليج عدن حتَّى مشارف مسنبيجي، وتجمعها في هذه التسمية الواحدة التي تشير إلى الأقوام التي تتكلم لغة البانتو» (*جغرافية دار الإسلام*، ٢ (١)/٢٢٨).

(٢) في الأصل: سمرقند، ولاعلاقة بين سمرقند التي في ماوراء النهر وهذا الموضع، ورجَّحنا أن الصواب: قَصْرقَنْد وهي إحدى مدن مكران قديماً (*المسالك والممالك* للإصطخري، ١٠٥؛ *صورة الأرض*، ٣١٩؛ *أحسن التقاسيم*، ٣٥٩). وهي اليوم جزء من ميناء جاه بهار المطل على خليج عُمان، وأن تحريفاً حدث للكلمة بسبب جهل الناسخ بها، وسيرد في الخبر رقم 61 أن لجة سمرقند (كذا) هي البحر الذي يلي هَرْكَنْد (خليج البنغال)، أي لمن هو قادم من خليج البنغال باتجاه خليج عُمان.

(٣) هو سمك الوال أو البال أو الفال أو الأُوَال الذي سيرد في الخبر التالي، ذُكر بكثرة في كتب التراث، وهو حوت العنبر؛ تقول *دائرة المعارف البريطانية* المعروفة بـ *Britannica* (مادة Sperm Whale) إنَّه الحيوان الأكثر اكتنازاً من بين الحيوانات البحرية، له زعانف شبه مجدافية صغيرة ومجموعة سنامات مكورة الشكل. وله فك سفلي ضيق وصغير مزوَّد بأسنان مخروطية. ولون حوت العنبر رمادي مزرق أو بني، وبطنه شاحبة اللون. وإن الحوت المعروف باسم موبي ديك في رواية هرمان ملفيل من هذه الفصيلة. وللذكر جسم ضخم يصل طوله إلى ١٩ متراً، غير أنَّ الأنثى أصغر حجماً. يوجد في المياه المعتدلة والاستوائية، ويسير عادة في مجاميع تتكون كل واحدة منها من ١٥ – ٢٠ حوتاً. من مفرزاته مادة شمعية موجودة في خَطْمِهِ، والعنبر وهي مادة توجد أحياناً طافية على سطح البحر ويعتقد أنها تتشكل من إفراز متجمع حول مادة صلبة. يستخدم العنبر كمثبِّت للرائحة في العطور.

فإذا تعرّض للمركب ضربوا الخشب بعضه ببعض وضربوا الطبول، وأنه ربما نفخ الماء فيرتفع مثل المنار ويبين من بُعد مثل شُرُعِ المراكب وأنه ربما لعب بذنبه وأجنحته فيُرى عن بعد أيضاً مثل شُرُعِ القوارب.

13. وحُدِّثْتُ عن بعض العراقيين ممن يضبط(١) أنه رأى باليمن عند بعض إخوانه رأس سمكة قد ذهب لحمُه وبقي عظمُه صحيحاً، فدخل الرجل من إحدى حدقتيها[a] وخرج من الجانب الآخر وهو قائم من غير أن ينحني. وكان حُمل[b] في سنة عشر وثلاث مئة من عُمَان إلى المقتدر(٢) من ذلك السمك، وأن فك سمكة رفع من الرَّوْشَن(٣) ولم يدخل من الأبواب(٤).

وحَدَّثَني أن هذه السمكة التي حُمِلَ فكُّها إلى بغداد نزف من عينها مئة جرّة أو زيادة عليها دهناً.

14. وحدَّثني أبو محمد الحسن بن عمرو أنه سمع بعض البحريين يحكي أنه خرج في مركب من عدن إلى جُدَّة، وأن سمكة نطحت بحذاء زيلع(٥) المركب نطحةً منكرةً لم يشك أهل المركب أنها قد كسرته. وانحدر البانانية إلى الجَمّة(٦)

---

(١) ممن يضبط: ممن يدقق في كلامه ولا يلقيه على عواهنه، كي لا يُتّهم هذا الراوي بالمبالغة.

(٢) المقتدر بالله الخليفة العباسي، تولى الحكم سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠هـ.

(٣) الرَّوْشَن: فارسية تعني المضيء، ثُمَّ أطلقت على الكوَّة لأنها تجلب الضوء، ثُمَّ أطلقت على ما نسميه البالكون (تعليقات الشالجي على *نشوار المحاضرة*، ١/ ٦٩).

(٤) يتحدَّث ابن بطوطة عن زيارته مدينة من جزر هرمز تدعى جرون وصفها بأنها مرسى الهند والسند: «ورأيت من العجائب عند باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كأنه رابية وعيناه كأنهما بابان، فترى الناس يدخلون من إحداهما ويخرجون من الأخرى» (١/ ٢٩٩).

(٥) زيلع: ميناء في الصومال، من مدن الحبشة التي على خليج عدن (*مروج الذهب* ٢/ ١٢٧).

(٦) الجمة: قعر السفينة.

فلم يجدوا الماء قد زاد على رسمه، فعجبوا من ذلك إذ كانت هذه النطحة العظيمة لم تؤثر؛ فلما وصلوا إلى جُدَّة، نجلوا[١] المركب وأنزلوه وتركوه إلى البر، ووجدوا[a] رأس السمكة في جوف المركب قد سُجِنَ وسدَّ الموضعَ حتى ليس فيه خللٌ، وإذا هي نطحتِ المركبَ ولم يمكنها الخلاص فانقطعت من حَلْقِهَا وبقي رأسها في موضعه.

وذكر لي أنه لم يزل يرى السمك الكبار والصغار يصاد فيشق جوفه فيوجد فيه سمك فيشق جوفه فيوجد فيه سمك[٢]؛ وهذا يتفق أن تأكل السمكةُ سمكةً قد أكلت سمكاً.

15. ومن طريف ما حَدَّثَني به محمد بن بابشاد بن حرام، أنه كان بسيراف وقد خرج منها مركب إلى البصرة ووقع فيها[a] خِبٌّ بعد خروجه بأيام، فانقطعت المراكب[٣]، وتعلّقت القلوب بأخبارِ البحرِ وتأخُّرِ المراكب. وكان في ذلك المركب خلق من الركاب وغيرهم وأمتعة لها قدر، وأن امرأة اشترت سمكاً وكانت تنظفه[b]، فوجدت في واحدة منهم خاتماً[c] فنظرت إليه فإذا هو خاتم أخيها وكان ممن ركب في ذلك المركب، فارتفع الصراخ وشاع الخبر فصارت منازل جميع من كان له في المركب قريب أو حميم أو صديق مأتماً.

---

(١) نجلوا: حملوا، ماتزال مستخدمة اليوم في العراق بلفظها أو بتحويل الجيم إلى كاف فارسية (گ).

(٢) يقول سليمان التاجر «وفي هذا البحر [بحرالزَّنج] سمكة اصطدناها، يكون طولها عشرين ذراعاً، فإذا في بطنها مثلها.وكل هذا في بطنها مثلها.وكل هذا حي يضطرب، يشبه بعضه بعضاً في الصورة» (*أخبار الصين والهند*، ٣٠؛ انظر أيضاً: *نزهة المشتاق*، ١/٦٥، عند ذكره بحر هَرْكَنْد).

(٣) الخِبّ: ريح خبيثة مخوفة (*الروض المعطار*، ٥٦٩)، وفي *مروج الذهب* (١/١٨٣): «الخِبّ: الشدّة العظيمة في البحر». وفي *البلدان* لابن الفقيه (ص٦٨): «الخِبّ: أخبث الرياح».

ثُمَّ جاء الخبر بعد أيام أن المركب انكسر ولم يسلم منه أحد[1].

16. وحَدَّثَني بعض الرَّبَّانِيَّة أن سمكة سارت مع مركبه بنواحي اليمن يوماً وليلتين وبعض يوم لم تفارقه ولم تتقدم عنه ولم تتأخر عنه، قدَّر مسيرهم معها زيادة على مئة وسبعين فرسخاً، وأنها كانت بطول المركب سواء، وكان طول مركبه خمسين ذراعاً بذراع العمل من مشعر الإبط إلى طرف الإصبع الوسطى. فسألته عن السبب في ملازمة[a] دوابِّ البحرِ الجزيرةَ مع المراكب ومحاذاتها.

---

(١) سِيراف: ميناء تجاري مهم ازدادت أهميته في القرون الإسلامية الأولى. أطلال مدينته ما تزال قائمة اليوم قرب ميناء طاهري الإيراني (*فرهنگ فارسي*، مادة سيراف). كان يشكل منطلقاً للسفن القادمة من البصرة وإيران، إذ أن «المسافة بين البصرة وسيراف في الماء، مئة وعشرون فرسخاً. فإذا عُبِّيءَ المتاعُ بسيراف، استعذبوا منها الماء، وخَطَفوا (أبحروا) إلى موضع يقال له مسقط وهو آخر عُمَان» (*أخبار الصين والهند*، ٣٥). ومن هناك تمخر عباب المحيط الهندي وخليج البنغال لتصل من ثُمَّ إلى سواحل جاوة وسومطرة عبر خليج ملقا وتنطلق بعدها في بحر الصين الجنوبي لتصل الصين. اشتهرت بأنها فرضة (ميناء) إقليم فارس بإيران (*حدود العالم*، ١٤٥). قال عنه أبو زيد البلخي: «إنها الفرضة العظيمة لفارس وهي مدينة عظيمة ليس بها سوى الأبنية وليس بها شيء من مأكول ولا مشروب ولا ملبوس إلا ما يحمل إليها من البلدان ولا بها زرع ولا ضرع ومع ذلك فهي أغنى بلاد فارس» (*معجم البلدان*، ٢١٢/٣).انظر أيضاً عن ثراء أهل سيراف آنذاك: *تقويم البلدان*، ٣٢٧؛ *نزهة المشتاق*، ٤١٠/١؛ *صورة الأرض* لابن حوقل، ٢٩٠). فقدت أهميتها فيما بعد حتّى قال ابن البلخي: «كانت سيراف فيما مضى مدينة كبيرة وعامرة ملأى بالخيرات ... وقد بلغ الحال حداً لم يعد معه أي تاجر يأتي بسفينة إلى سيراف فقد خربت المدينة ...» (*فارس نامه*، ١٢٦)، يقول ياقوت: «منذ عَمَرَ ابنُ عُمَيرة جزيرة قيس، صارت فُرضة الهند وإليها منقلب التجار، خربت سيراف وغيرها، ولقد رأيتها وليس بها قوم إلا صعاليك ما أوجب لهم المقام إلا حبُّ الوطن» (*معجم البلدان*، ٢١٢/٣).وقال المستوفي: «كانت في القديم مدينة كبيرة ذات نعمة» (*نزهة القلوب*، ١١٧، ٢١٧؛ انظر أيضاً: *هَفْتْ كِشْوَر*، ٤٤).

فقال: ذلك يختلف، فمنها ما يحاذي المراكب ليسقط منها شيء فتلتقمه، أو تكون قد وقعت قبل ذلك بمركب قد عطب فنالت منه فصارت إذا رأت مركباً حاذته[b] طمعاً أن يحدث منه ما حدث من غيره وظناً منها أن المراكب كلهم يكونون كما وَجَدَتْ في الأول، فصارت كأنها ضارية على ذلك. ومنها ما يرى المركب فيتعجب من شكله ويظنه حيواناً بعضُهُ في الماء وبعضُهُ في الهواء فيمرح معه ويجاريه[c] عشقاً له وتأنساً به مدةً مدى قوته واستفراغ نشاطه إلى أن يعيا فيفارق. ولا صبر للحيوان على مضاهاة الحمار. ومنها ما يجاري المركب على سبيل المغايرة والمعاندة والمقاواة، فإذا أعيا وقصر ورأى المركب تتقدمه رجع إليه فحمل عليه حملة واحدة، فإن سلم وإلاّ فنسأل الله العفو، ومنها ما إذا رأت المركب لا يحول بينها وبينه شيء لشدة ضراوتها وجسارتها ودربتها على المراكب، فتحمل عليه حملات حتى تقلبه فتلتقط ما فيه لعادةٍ واستمرار، نسأل الله العافية. ومنها ما إذا رأى المركب، نَفَرَ[d] منه وهرب وذعر، خوفاً على نفسه واستيحاشاً[e] منه. وأخلاقها تختلف باختلاف مواضعها المسلوكة والمعهودة[f] بعبور السفار والصيادين وقرب السواحل المعمورة والبحار المنقطعة المهجورة والبعد من السواحل المعمورة وعمق البحار وعدم البر والجزائر والسواحل، وهو عالم آخر، تبارك الله أحسن الخالقين.

17. وحَدَّثني أبو الزهر البرختي الناخذاه، وكان من عظماء أهل سيراف وكان مجوسياً على دين الهند، وكان عندهم أميناً يقبلون قوله ويستودعونه[a] أموالهم وأولادهم، فأسلم وحسن إسلامه وحج بمخاطبته[b] امرأة[1] من جزيرة

(١) بمخاطبته: ظاهر الكلام يوحي بأنها تعني: بتزوُّجِهِ امرأةً.

النساء[١]، وذلك أنه سافر رجل في مركب له عظيم ومعه فيه خلق من أخلاط التجار من كل بلد وهم يسيرون في بحر ملاتو[٢] وقد قربوا من أطراف أرض صين وأبصروا بعض جبالها فلم يشعروا إلاّ وريح قد خرجت عليهم من الجهة التي يقصدونها، فلم يسعهم إلاّ الانصراف معها حيث توجهت، وركبهم من هول البحر ما لا طاقة لهم به، ومرّت بهم الريح إلى سمت سُهَيْل، ومن اضطر في ذلك البحر إلى أن يصير سهيل[٣] على قمة رأسه، فقد دخل بحراً لا رجعة له منه وتنكّس[c] في لجة هابطة إلى الجنوب مصوبة إلى تلك الجهة، فكلما مرت المركب، علا ما وراءها من جهتنا وهبط ما بين يديها من تلك الجهة فلا تستطيع[d] الرجوع بريح عاصف ولا غيره وهوت في لجج البحار المحيطة.

فلما رأوا أمرهم يؤدي إلى الدخول تحت سهيل، ودخل عليهم الليل وأظلمّ وادلهمّ وحال بخارُ الماء ودُجنّتُهُ ونَداه وزَخْرُهُ[e] بينهم وبين النجاة[f] فلم يروا ما يهتدون به، وهول البحر وأمواج ترفعهم إلى السحاب وتخفضهم إلى التراب وهم يجرون في قُتار[g] وضباب[٤] طول ليلهم وأصبح عليهم فلم يشعروا به لشدة ظلمة ما هم فيه واتصال قُتار[g] البحر مع ضباب الجو وغلظ الريح وكدورته.

---

(١) يرجِّح تيم سفرن أن يكون أحد المصادر عن جزيرة النساء قد نشأ في جزيرة مينيكوي (في منتصف المسافة بين جزر المالديف وجزر لكاديف)، حيث كان الحصول على الطعام المهمةَ الوحيدة المكلّف بها الرجال، بينما تقوم الزوجة بجميع الأعمال واتخاذ القرارات، فهي صاحبة المنزل، وتورث الأملاك من خلال النساء. وحين يتزوج الرجل، ينتقل للمعيشة في بيت الزوجة ويتّخذ اسم زوجته. ويضيف: يبدو أن الأمر كما هو الحال الآن، لأن عدد النساء يفوق عدد الرجال كثيراً (*رحلة السندباد*، ١٤٣).

(٢) بحر ملاتو: لم يرد هذا الاسم في كتب الجغرافيا ،لكن سياق القصة يدلُّ على أنه بحر الصين الجنوبي.

(٣) عدة نجوم في نصف الكرة الجنوبي يستعان بها في معرفة جهة الجنوب (*معجم الفولكلور*، ١٤٦).

(٤) الدُّجنّة: الظُّلمة؛ زَخَرَ البحرُ: طمى وامتلأ؛ القتار: الدخان.

فلما طال عليهم الليل وهم يجرون في قبضة الهلكة[h]، قد حكمت[i] عليهم[١] الريح العاصفة والبحار الزاخرة[j] والأمواج الهائلة ومركبهم ينطّ ويئن ويتقعقع ويتتعتع، توادعوا وصلى كل منهم إلى جهة على قدر معبوده لأنهم كانوا شِيَعاً[k] من أهل الصين والهند والعجم والجزائر واستسلموا للموت وجروا كذلك يومين وليلتين لا يفرقون فيهن بين الليل والنهار. فلما كانت الليلة الثالثة وانتصف الليل رأوا بين أيديهم ناراً عظيمة قد أضاء أُفقُها؛ فخافوا خوفاً شديداً وفزعوا إلى ربّانهم[l] وقالوا له: يا ربان[m]! ما ترى هذه النار الهائلة التي ملأت الأفق ونحن نجري إلى سَمْتها وقد أحاطت بالأفق[٢]، والغرقُ أحب إلينا من الحريق. فبحق معبودك ألا قلبتَ[n] بنا المركب في هذه اللجة والظلمة، لا يرى أحد منا الآخر ولا يدري ما كانت ميتته، ولا يتجرّع لوعة صاحبه وأنت في حِلٍّ

---

(١) حكمت عليهم: تحكّمت بهم.

(٢) يمكن أن يكون هذا الضوء الأحمر انعكاساً للأضواء المنبعثة من نيران البراكين سواء في بدء انطلاق الرحلة من الجزر الإندونيسية أم في جزيرة هاينان الصينية في أقصى بحر الصين الجنوبي. يفسِّر الدكتور أنور عبد العليم ذلك: «ينبعث من سطح البحر ليلاً ضوء فسفوري جميل يبلغ من الشدّة أحياناً أننا كنا نستطيع قراءة صحيفة أو كتاب تحته. وهذا الضوء تشعُّه كائنات كثيرة في البحر كالبكتريا وبعض الأحياء البلانكتونية والديدان، وهي إضاءة باردة لاتنجم عنها حرارة ... وهي الإضاءة التي ذُكرت في *عجائب الهند*. وفي بعض الأماكن تخرج في الليالي حالكة الظلمة عندما يكون القمر في المحاق، أنواع من الديدان البحرية تنتشر على سطح الماء بالملايين، وهي ديدان تحمل خاصية الإضاءة الفسفورية لتتعرف الأجناس إلى بعضها وقت التزاوج الجنسي» (*مذكرات عالم بحار*، ٢٣٩). يقول العالم ل.ف. تاراسوف: «إن تألُق البحر هو دائماً تألق الأجسام الحية، أما الاعتقاد الذي كان سائداً في الماضي بأن تألق البحر ناجم عن ذوبان الأملاح أو الفسفور المتأكسد في مياه البحر، فقد تبين أنه كان خاطئاً جداً. ويمكن بكل ثقة أن نطلق على الضوء الذي يولد في البحر اسم الضوء الحيّ. وفي الوقت الحاضر نعرف زهاء ٨٠٠ نوع من الأجسام البحرية المضيئة، بدءاً من البكتريا المضيئة والسوطيات وحيدة الخلية، وانتهاءً بالسرطان والأسماك المضيئة» (*الفيزياء في الطبيعة*، ١٩٠؛ انظر أيضاً النص 26).

ويلٌ[1] مما يجري علينا، فقد مِتْنا في هذه الأيام والليالي ألف ألف ميتة، فميتة واحدة أرْوَح.

فقال لهم: اعلموا أنه قد يجري على المسافرين والتجار أهوالٌ هذه[o] أسهلها وأرحمها. ونحن معشر الرَّبانِيَّة علينا العهود والمواثيق أن لا نعرِّض سفينة إلى العطب وهي باقية لم يجرِ عليها قدر. ونحن معشر ربانية السفن لا نطلعها إلاّ وآجالنا وأعمارنا معنا فيها، فنعيش[p] بسلامتها ونموت بعطبها؛ فاصبروا واستسلموا لملك الريح والبحر الذي يصرِّفهم كيف يشاء.

قال: فلما أيسوا من الرَّبان، ضجّوا بالبكاء والعويل ونَدَبَ[q] كل منهم شجوه[r]. وصار الرَّبان إذا أمر مناديه أن ينادي رجاله بجذب حبلٍ أو إرخائه يصلح شأن المركب، فلا تسمع الرجالُ ذلك من دويّ البحر وحِسّ[2] تلاطم الأمواج وهدير الزياح في القلوع والشرع والحبال وضجيج الخلائق؛ فأشرف المركب على التلاف بعطلة الرجال وعُدة المركب من غير حادث عليهم من بحر أو ريح.

قال: وكان في المركب شيخ مسلم من أهل قادس[3] من الأندلس قد طلع المركبَ[4] في ازدحام الناس عند طلوعهم ليلة السفر ولم يشعر به ربّان المركب، وكان في زاوية[s] من المركب مهجورة، وهو مختفٍ[t] فيها خوفاً أن يعلم به

---

(١) حلّ وبلّ: مباح (*الإتباع والمزاوجة*، ١١٥).

(٢) الحس: الحركة والصوت الخفي، و في العامية العراقية: مطلق الصوت خفيضاً كان أم مرتفعاً.

(٣) قادس: جزيرة غربي الأندلس قرب أعمال شذونة (*معجم البلدان*، ٤/٦).

(٤) طَلَعَ المركبَ: صعد إليه.

فيؤنّب[1] ويوبّخ[7]، فلما رأى القومَ وما نزل بالناس وما هم عليه من الإخطار بأنفسهم[2] ومركبهم وأنهم قد صاروا عوناً مع أهوال البحار على نفسهم[3] مسرعين لهلاكهم، رأى أن يخرج إليهم فيكون من حاله معهم ما كان. فخرج إليهم وقال لهم: ما شأنكم؟ أنْفَتَحَ المركب[4]؟ قالوا: لا. قال: فانكسر السُّكّان[5]؟ قالوا: لا. قال: فَرَكِبَكُم البحر؟ قالوا: لا. قال: فما شأنكم؟ قالوا له: كأنك ليس معنا في المركب؟ ما تنظر[6] هول هذا البحر وأمواجه وظلمة الهواء الذي لم نرَ معه نهاراً ولا شمساً ولا قمراً ولا نجوماً نهتدي بها، وقد دخلنا تحت سُهَيْل وحكمت البحار والرياح علينا، وأشدّ ما علينا هذه النار التي نحن نجري إليها وقد ملأت الأفق، والغرقُ أهون علينا من الحريق، وقد سألنا الربّان أن يقلب المركبَ بنا في البحر والظلمة لا يرى واحد منا إلى صاحبه[7]ونموت غرقاً ولا نموت حرقاً يرى بعضنا بعضاً ونسمع ما تفعل النار فيه؟

فقال: أوصلوني[7] إلى الربّان، فأطلعوه إليه فسلم عليه بالهندية فردّ عليه، ويعجب منه لإنظاره له، وقال له: من أنت؟ من التجار أم من أتباعهم، فلا نعرفك في رجال المركب؟ قال له: ما أنا من التجار ولا من أتباعهم.

---

(١) في الأصل: فيوبث. ورجّحنا أنها يؤنب، إذ الفعل أَبَثَ يعني نَشَرَ وأذاعَ، وفي لسان العرب: أَبَثَ على الرجل: سبّه عند السلطان خاصة. وكلاهما بعيد عمّا هو أعلاه.

(٢) الإخطار بأنفسهم: المخاطرة بأنفسهم.

(٣) نفسهم: أنفسهم، مستخدمة في العاميّات العربية ومنها العامية العراقية.

(٤) انفتح المركب: انفلق، انكسر.

(٥) السكّان: الدفّة.

(٦) ما تنظر؟: أما تنظر؟.

(٧) جعل الفعل «يرى» متعديا بحرف الجر «إلى»، وهو متعدٍّ بنفسه.

قال: فمن أطلعك وما بضاعتك؟ قال له: أما من أطلعني، فإني طلعت في جمهور الناس ليلة الإسراء[W] وأويت إلى مكان في المركب.

قال: من أين تأكل ومن أين تشرب؟

قال: كان بانيان المركب يضع كل يوم قريباً مني صَحْفَةَ أرزٍّ بسمن لملائكة المركب و‹في› منشل[١] المركب ماءً، فكنت أتقوَّتُ بذلك، وأما بضاعتي فقربة عجوة[٢].

قال: فتعجب الرُّبَّان منه، واشتغل الناس بسماع حديثه عما كانوا فيه من الضجيج. وأصلحَ الرجالُ أدواتِ المركب ومشى فيهم منادٍ[X] بتدبير الإقلاع، واهتدى المركب.

فقال الشيخ: يا ربّان! ما لهؤلاء القوم كانوا يبكون ويُعْوِلون؟

قال له: أما ترى ما نزل بهم من هول البحار والظلمة، وأشدُّ من ذلك ما نحن مدفوعون إليه من هذه النار التي ملأت الأفق؟ واللهِ لقد ركبت هذا البحر وأنا دون البلوغ ومع أبي، وكان قد أذهب عمره في ركوبه، وها أنا اليوم قد رميت ثمانين سنة ورائي فما سمعت بمن سلك هذا المكان ولا خبّر عنه.

فقال: يا ربّان! لا بأس عليك ولا خوف نجوتم بقدرة الله؛ هذه جزيرة يحيط بها ويكتنفها جبال تكسر[Y] عليها الأمواج بالبحار المحيطة بالأرض، فتُنظر في الليل ناراً هائلة مرجفة يخافها الجاهل، فإذا طلعت الشمس ذهب ذلك المرأى وعاد ماءً. وهذه النار تُرى من بلد الأندلس وقد عبرت عليها مرةً وهذه الثانية.

---

(١) المِنشَل: حديدة معقوفة الرأس تُلتقط بها الأشياء، ويمكن أن يُعَلَّق فيه وعاء يوضع فيه ماء أو طعام.

(٢) قربة عجوة: وعاء من الجلد محشو بالتمر.

قال: فتباشر الناس وسكنوا إلى قول الشيخ، وتناولوا طعامهم وشرابهم وذهب عنهم ما كانوا فيه من الغمّ والخوف. وتناقص[z] الريح وصار البحر رهواً والريح رخواً. وقدموا على الجزيرة مع شروق الشمس، وأصحت السماء وأشرفوا[aa] على الجزيرة وتخيّروا مرسى كنيناً[bb]، ووردوا الجزيرة بجملتهم و‹هم› يطرحون أرواحهم على الرمال ويتمرّغون على الأرض شوقاً إليها، ولم يبق منهم في المركب أحد. فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم نسوان من داخل الجزيرة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، فوقع على كل رجل منهم ألف امرأة أو أكثر، فلم يلبثوا أن حملوهم إلى الجبال وكلّفوهم[cc] الاستمتاع بهن[1].

قال: فلم يزالوا على ذلك وكل من قويت على صاحبتها أخذت الرجل منهن، والرجال يتماوتون[dd] من الاستفراغ أولاً فأولاً، وكل من مات منهم يتواقعن عنه ... ... لنتن رائحته، فلم يبق منهم سوى الشيخ الأندلسي فإنه جاءته واحدة فكانت تزوره في الليل، فإذا أصبح أكَنَّتهُ في موضع قريب من البحر وجاءت له بشيء تقوته[ee] به. فلم يزل كذلك إلى أن انقلب الريح من تلك الجزيرة إلى الجهة التي خرج المركب منها من الهند، فأخذ الشيخ قارب المركب الذي يسمى الفُلُو[2] ووضع[ff] فيه في الليل ماءً وزاداً.

---

(١) عن كثرة النساء كثرة مفرطة في بعض الجزر المنعزلة في المحيط الهندي، يقول الدكتور أنور عبد العليم عن جزيرة سيشل إنه خلال زيارتهم لهذه الجزر سنة ١٩٦٤م كان معدّل النساء إلى الرجال هو ٧ إلى واحد أي بمعدل سبع نساء لكل رجل بحسب النشرة الرسمية للحكومة، بينما النسبة الطبيعية هي أنثى واحدة مقابل كل ذكر واحد مع زيادة طفيفة في عدد الإناث (مجلة *الدوحة* القطرية، ع ١١١، السنة ١٩٨٥م). الطريف أنه بحسب إحصاء متأخر فإن معدّل الأعمار في هذه الجزر كان ٧٠ سنة للنساء و ٦٣ للرجال (مجلة *المختار* من ريدرز دايجست، أكتوبر، ١٩٨٤، العدد ١٧، السلسلة الجديدة).

(٢) الفلو: القارب الصغير.

فلما فطنت به المرأة أخذت بيده وجاءت به إلى موضع فنبشت التراب بيديها عن معدنِ تِبر فنقلت هي وهو منه ما صبّرَ به القارب، وأخذها معه وأسرى عن عشرة أيام وهو بالبلد التي خرج المركب منها فأخبرهم الخبر[1].

وأقامت المرأة معه إلى أن تفصّحت وأسلمت ورزق منها الأولاد. وسألها عن تلك النسوان التي في الجزيرة وانفرادهم دون الرجال.

فقالت له: نحن أهل بلاد واسعة ومدن عظيمة محيطة بهذه الجزيرة، ومسافة ما بين كل بلد من جميع بلادنا وهذه الجزيرة ثلاثة أيام بلياليها، وكل من في أقاليمنا ومدننا من الملوك والرعايا يعبدون هذه النار التي تظهر لهم في الليل في هذه الجزيرة ويسمونها بيت الشمس، لأن الشمس تشرق من طرفها الشرقي وتغرب في جانبها الغربي، فيظنّون أنها تبيت في هذه الجزيرة. فإذا أصبح وشرقت الشمس من جانبها الشرقي خفيت نارها وماتت وارتفعت الشمس فيقولون: هِيَ هِيَ؛ وإذا غربت في جانبها الغربي وأمسى ‹المساء›، ظهرت النار، فيقولون: هِيَ هِيَ؛ فيعبدونها ويقصدونها بصلواتهم وسجودهم من سائر الجهات[2].

ثمَّ إن الله سبحانه وتعالى جعل المرأة في بلدنا تلد أول بطن ذكراً وثاني بطن

---

(١) صبّرَ القاربَ: ملأه إلى حافّته. وتوجد قصة مختصرة تشبه خبر هذا الرجل مع المرأة في *أخبار الزمان* خلال الحديث عن جزائر الكافور (ص٦٨): «وزعموا أن الذهب عروق عندهم مثل الخيزران، وتربتها ذهب وأنه وقع إليهن مرّةً رجل فهممنَ بقتله، فرحمته امرأة منهن وحملته على خشبة وسلمته في البحر، فحملته الأمواج والرياح حتّى أتت به بلاد الصين، فدخل إلى ملك الصين وعرّفه حال الجزيرة، فوجّه المراكبَ في طلبها، فطافت تطلبها ثلاثة أشهر فما وقفوا لها على خبر ولا أثر».

(٢) يقول الرّحّالة بنيامين التطيلي عن مدينة كولم (Quilon): «أهل هذه المدينة كفار يعبدون الشمس والنار، فتراهم عند مطلع الفجر يهرعون إلى معابدهم وهي على مسافة نصف ميل من البلد، فيستقبلون الشمس المشرقة سُجُداً، وعندهم في معابدهم صنم على شكل قرص الشمس يدور بحيلة سحرية فيسمع لدورانه ضجة عالية» (ص ٣٤١).

أنثيين وكذلك باقي عمرها، فما أقلّ الرجال في بلادنا وأكثر النسوان.

فلما كثروا وأرادوا يغلبون على الرجال صنعوا لهم المراكب وحملوا منهم آلافاً وطرحوهم في هذه الجزيرة، ويقولون للشمس: يا ربّهم أنت أحق بما خلقتَ وليس لنا بهم طاقة. فيبقون فيها ويتماوتون[gg] فيها بعضهم على بعض.

وما سمعنا ولا مرّ بنا أحد من الناس غيركم ولا يطرق بلادنا أحد على مرّ الأزمنة؛ وإن بلادنا في البحر الأعظم تحت سُهَيل لا يقدر أحد يجيء إلينا فيرجع، ولا يجسر أحد يفارق الساحل والبر، خوفاً من أن تشربه البحار. وذلك تقدير العزيز العليم؛ تبارك الله أحسن الخالقين.

18. وحَدَّثَني أبو الزهر البرختي الناخذاه، عن خال له يسمى ابن أنشرتو[a] قال: حَدَّثَني خالي[b] عن أبيه ــ وهو جد البرختي لأمه ــ قال: أسريت في مركب لي كبير، ونحن طالبون[c] جزيرة فَنْصُور[d](١)، فأسْقَطَنَا الريحُ إلى

---

(١) فَنْصُور: نرجِّح أنها بانشور الحالية. و هي ميناء على الساحل الغربي سومطرة (مينورسكي، تعليقاته على ترجمته الإنكليزية لـ *حدود العالم*، ٢٤٠ــ٢٤١). في *تقويم البلدان* (ص٣٦٩): «في جنوب جزيرة جاوة مدينة فَنْصُور التي ينسب إليها العود الفَنْصُوري». وفي *حدود العالم* (ص٨١): «مدينة كبيرة يؤمها التجار يؤتى منها بالكافور الكثير. مرفأ على ساحل البحر ملكها يدعى سطوها وهي بلاد مستقلة». وفي *الجغرافيا* لابن سعيد (ص١٠٨): «ينسب إليها الكافور الفَنْصُوري... قاعدتها مدينة الجاوة» (انظر أيضاً: *بسط الأرض*، ٤٠؛ *جَهَانْ نامَه*، ١٠٢). ذكرها الإشبيلي باسم «صنفور قرب جزيرة سرنديب» (!) (*عمدة الطبيب*، ٣٠٢/١). مرّ بها ماركوبولو، لكنه ذكرها باسم «فانفور» وقال إنها في نفس الجزيرة (أي سومطرة) (٣٧/٣). أدّت كتابتها بهذا الشكل إلى أن يقول مارسدن: «ظن بعضهم أن فانفور المقصود بها هو جزيرة بانشور التي يفصلها عن شاطئ سومطرة الشرقي مضيق ضيق. ومع أن هذا الظن لا يؤيده التشابه الصوتي، فإني أميل إلى الظن بأن المقصود منه هو كامبار التي ينطقها ربابنة العرب كانفار، التي تقع على نهر يصب بالمضيق نفسه» (١٧٧/٣).

قلت: نرجِّح أنها بانشور كما أسلفنا، وأن تحريفاً حدث فيها من ماركوبولو أو من مدوِّن رحلته.

جُون[١] أقمنا فيه ثلاثاً وثلاثين يوماً في ركود، لا ريح فيه ونحن متخلّيين[e] على وجه البحر ولا تلحق شباكُنا قرارَ البحر على عمق ألف باع، والتيار يصبي[٢] بالمركب ونحن لا ندري إلى أن دخلنا التيار[f] بين جزائر، فأسندنا المركب إلى واحدة منهن على ساحلها نسوة يعومون ويسبحون[g] ويلعبون، فأنسنا بهم وأسندنا إليهم، فلما قربنا منهم تهاربوا في الجزيرة.

وجاءنا رجال ونساء عُقّال عارفون فلم ندرِ لغتهم فأشرنا إليهم وأشاروا إلينا، ففهمنا عنهم وفهموا عنا، فأشرنا إليهم أ عندكم طعام تبيعوننا؟[h] قالوا: نعم. فجاؤونا بالأرز الكثير والدجاج والغنم والعسل والسمن والأُدُم[٣] وأشياء كثيرة من المأكولات والفواكه فاشترينا منهم بالحديد والنحاس والكحل والخرز والسقط والثياب.

وأشرنا أعندكم بضائع نشتريها منكم؟ فقالوا: ما عندنا إلاّ الرّقيق. فقلنا لهم: مباركٌ. أحضروا الرقيق، فأتوا بالرقيق ما رأينا أحسن منه، ضحوك السنّ يغنّون ويلعبون ويتهارشون[٤] ويتداعبون[i] بأبدانٍ عَبْلة[٥] وأجسام كأنها الزبد نعومة ويكادون يطيرون خِفّةً ونشاطاً، غير أن رؤوسهم صغار، وتحت كَشْح[٦] كلٍّ منهم جناحان[j]، كجناحي السُّلَحْفَاة لا تغادر. فقلنا لهم: ما هذا؟

---

(١) الجون: الخليج الصغير. والعبارة في الأصل: أقمنا فيه ثلاثاً وثلاثين.

(٢) يصبي: يلهو، والمقصود أنه يأخذ المركب إلى اتجاه غير معلوم.

(٣) الأدم: ما يؤتدم به من الطعام مع الخبز وغيره.

(٤) يتهارشون: يتواثبون على بعضهم البعض بهدف المزاح.

(٥) العبل: الضخم، أي أن أجسامهم سمينة.

(٦) الكشح من الجسم: ما بين السُّرّة ووسط الظهر.

فتضاحكوا وقالوا: أهل هذه الجزائر كلهم كذلك، وما عليكم من ذلك، وأشاروا إلى السماء ـ أي الله تعالى خَلَقَنَا كذلك ـ فأغضينا عن ذلك وقلنا هذه فرصة، ورأيناها غنيمة، فاشترى كل منا بجهد ما عنده من الأمتعة ومعظمه[k]، وفرغنا المركب من البضائع وشحنّاه رقيقاً وزاداً[l]، وكلما اشترينا شيئاً جاؤونا بما هو أنظف منه وأحسن، فشحنّا المركب بخلقٍ ما رأى الراؤون أحسن منه ولا أجمل، فلو تمَّ لنا لاستغنينا إلى عقب العقب[1].

قال: فلما حان وقت السفر وعصفت لنا الرياح من صوب[m] الجزائر إلى نحو بلادنا وشيّعونا وقالوا لنا: تعودون لنا من قابل[n] إن شاء الله[2]، وطمعنا وطمع ريّاننا في العودة بمركبه وحده بغير تجار، فكان ليلَهُ كلَّه هو ورجاله يوقفهم على النجوم والعودة. وفرحنا غاية الفرح والسرور، وسرينا من الجزيرة بريح عاصف من أول النهار؛ فلما غابت الجزيرة بكى بعض الرقيق الذي معنا

---

(١) يقول المروزي في *طبائع الحيوان* (٤٥ أ): «قرأت في *كتاب البحر* أن جزيرة الواق واق التي يكون فيها الأبنوس، لهم أجنحة يطيرون بها». ويجعل ابن الفقيه هذه المخلوقات في جزيرة الزّابَج (جاوة حالياً) ويقول: «بها من السنانير ألوان ولها أجنحة كأجنحة الخفاش من أصل الأذن إلى الذنب» (*البلدان*، ٦٦؛ نَقَلَ هذا النصَّ عن ابن الفقيه، القزوينيُّ في *آثار البلاد*، ٣٠). ويبدو أن الصواب هو «نسانيس» وليس «سنانير» وهو الوارد لدى ياقوت: «الزّابَج سكان شبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحش أشبه، وبها نسناس لهم أجنحة كأجنحة الخفافيش» (*معجم البلدان*، ٩٠٤). وفي قصص السندباد من *ألف ليلة وليلة* (٣٧/٢، الليلة ٥٦٥) تحطّم المركب الذي كان فيه قرب إقليم الملوك (ربّما كان أرخبيل الملوك Maluku الإندونيسي)، فنجا على لوح من ألواح السفينة ووصل إلى إحدى الجزر حيث رحَّبَ به أهلها الذين اكتشف أنه كانت «تظهر لديهم رأس كل شهر أجنحة يطيرون بها إلى عنان السماء، ولايبقى متخلّفاً بها غير الأطفال والنساء. فرجا أحدَهم أن يحمله معه فحمله وطار به وعلا حتّى كان يسمع تسبيح الأملاك في قبّة الأفلاك، ثُمَّ إنهم خلّوه على جبل...».

(٢) من قابل: في العام القادم.

فضاقت صدورنا على بكائهم، ثُمَّ قام بعضهم لبعض وقالوا: تبكون[o] لأي شيء؟ قوموا معنا نرقص ونغني، فقام الرقيق جميعه يرقصون ويغنُّون ويتضاحكون[p] فأعجبنا ذلك منهم وقلنا هذا أصلح من البكاء، واشتغلنا كل واحد منا بشأنه؛ فما لهؤلاء إلاّ أن أصابوا منا غفلة وتطايروا واللهِ في البحر تطاير الجراد، والمركب يجري في موج كالجبال كالبرق الخاطف، فما أشرفنا عليهم حتى تعدتهم المركب بنحو فرسخ ونحن نسمعهم يغنون ويصفقون ويتضاحكون.

فعلمنا أنهم ما فعلوا بنفوسهم ذلك إلاّ باقتدار لهم على هول ذلك البحر. ولم يمكنا الرجوع إليهم، وأيسنا منهم. فلم يبق منهم إلاّ واحدة عند أبي في بلنج[1] كبير[q]، فلما مضوا هؤلائك، نزل أبي إلى البلنج فوجدها تريد أن تنقب وتطرح نفسها في البحر، فضبطها وقيّدها، وسرنا إلى أن دخلنا بلاد الهند فبعنا الأزواد[2] التي كانت معنا وتقاسمنا أثمانها فصحّ لكل واحد عُشر رأس ماله.

فلما سمع[r] الناس بأخبارنا جاءنا رجل من أهل الجزائر بعينها قد أُخِذ صغيراً وبقي في الهند إلى أن هرم، فقال: أنتم وقعتم إلى جزائر تسمى جزائر الحوت وهي بلدي، ونحن قوم نَزَلَ رجالنا على إناث حيوان البحر، واضطجعت نساؤنا لذكران الحيوان بالبحر[3]، فتنتّج بينهم خلق مشتبهون بين هؤلاء

---

(١) البلنج: الحجرة في السفينة (*العرب والملاحة*، ١٩٨).

(٢) الأزواد: قُصد بها هنا ما كانوا تزوّدوا به من بضاعة؛ والمعروف أن الأزواد هي جمع الزاد وهو الطعام الذي يأخذه المسافر معه، حيث نقرأ في حكاية عربية فولكلورية كلام ريان إحدى السفن: «ياتجار، تصدّقوا بما في أزوادكم، فلعل الله تعالى أن يفتح علينا بابَه بوجهٍ. قال الشاب: فأعطى بعضنا بعضاً من زاده» (*حكايات عربية*، ٢٤ـ ٢٥). وهي هنا تعني الوعاء الذي يوضع فيه الزاد.

(٣) المقصود هو تزاوجُ ماتشابه من الذُّرية الناتجة من تزاوجِ الحيوان والإنسان (١) مع بعضه لإنجاب حوريّات البحر، والفعل يجتمع يعني يجامع، وقد استخدمه المؤلف في غير هذا الموضع من الكتاب.

وهؤلائك، فيجتمع المشتبهةُ مشتبهةَ المشتبهة وذلك في قديم الدهور، فجئنا صابرين[s] على طول المقام في البحار وعلى طول المقام في البر للسرّ المشترك فينا.

وأما المرأة التي بقيت مع أبي فاستولدها ستة أولاد أنا سادسهم، وأقامت عنده ثماني[t] عشرة سنة مقيّدة.

وكان هذا الشيخ الجزائري الذي أخبرنا عن السرّ[u] الذي فيهم قد قال لوالدي: لا تحلّ عنها فتطرح نفسها في البحر وتمضي فلا تراها أبداً، فإنا[v] نحن لا صبر لنا عن الماء. ففعل بها كذلك.

ولما كبرنا نحن وتوفي والدنا وكنا نلومه في تقييدها بغير علم، فلما مات ما كان لنا بعده عمل[w] إلاّ أن أطلقناها من القيد رحمة لها وإبراراً[x] وحنواً عليها، فخرجت كأنها الفرس السابق، وانطلقنا خلفها فلم ندركها، فقال لها بعض من قرب إليها: تمضين وتخلّين[y] أولادك وبناتك؟ فقالت: أنشرتو. معناه: ما أعمل لهم. وطرحت نفسها في البحر وغاصت كأقوى حوتٍ يكون[1].

سبحان الخالق البارئ المصور. تبارك الله أحسن الخالقين.

---

(١) ينقل ديرليث من *مختصر العجائب* المحفوظ في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٩٠١: «ومن ذلك أمة بجزيرة على شبه النساء يقال لها بنات الماء، في صور النساء الحسان ذوات الشعور السبط، لهنّ فروج عظام وثدي وكلام لا يفهم وقهقهة وضحك. وحكي عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم إلى جزيرة فيها شجر وأنهار عذبة وأنهم كانوا يسمعون جلبة وضوضاء وضحكوا (ضحكاً)، فكمنوا لهنّ وأخذوا منهنّ امرأتين فأوثقوهما، وأقاما مع الذين أخذاهما أياماً يقعان عليهما في كل وقت ويجدان لهما لذة عجيبة، وأن أحدهما وثق بصاحبته فأرسلها من وثاقها فهربت إلى البحر ولم يرها بعد ذلك. وبقيت الأخرى مع صاحبها مستوثقاً منها، فحملت منه وولدت ولداً ذكراً. وأنهم ركبوا البحر فلما حصلت في المركب رَحِمها وحلّ وثاقها وقد رأى أنها لا تزول عن ابنها. فتغفّلت ووثبت إلى البحر. فلما كان بعد ذلك بيوم ظهرت له وألقت إليه صَدَفاً فيه دُرّ» (تعليقاته على *عجائب الهند*، ٢٧٧).

19. قال أبو محمد الحسن بن عمرو: وشاهدت من أضلاع السمك ضلعاً حمله إلينا بعض أرباب المراكب، فقطع منه قطعة من جانبه الغليظ نحو خمسة أذرع، فطرحناه على نهر على باب بستان لنا بالجزيرة فقام مقام القنطرة، وكان طول ما بقي منه نحو عشرين ذراعاً[١].

وفي البحر سمك يحارب[a] السمك ولا يثبتون له، وله خراطيم تعمل كالمناشير إلاّ أنه من الجانبين مثل أسنان المنشار، فإذا ضرب السمك قَطَعَهُ. فإذا مات هذا السمك أو صِيد، أخذ أهل تلك الناحية هذه الخراطيم[b] التي كالمناشير يستعملونها[c] في الحرب بينهم فتعمل عملاً عظيماً أحدّ من السيوف[٢].

20. وحَدَّثني بعض أهل المراكب العارفين عن شيخ الرَّبَّانِيَّة أنه كان خارجاً من سيراف وكان معه في الكنبار رجل في مطيال[٣]، فخاصم في بعض الأيام رجلاً من أهل المركب وافترى عليه وأفرط، وأمسك الرجل عنه لأنه كان غريباً لم ينصره أحد ولم يعاونه، وكان المفتري[a] قد ركب معهم بوسيلة شفاعة وعناية قوية.

---

(١) في *نُزهَتْ نامه عَلائي*: سمك قسطا الهائل الحجم، الذي يُصنع من أضلاعه جسر يُعبر عليه (ص١٨٢)؛ وقد تحدث ابن بطوطة عن سمك تُبنى من عظامه البيوت (*الرحلة*، ١/ ٢٩٢).

(٢) هو سمك المنشار أو أبو منشار Sawfish. Pristis antiquorun (*معجم الحيوان*، ٢١٧). وهو أكثر أنواع السمك استهلاكاً في منطقة بحر العرب (*اقتحام المجهول الأعظم*، ١٣٤)؛ ويقول ابن الفقيه «وفي البحر سمكة يقال لها الخراطيم ... وفي منقارها من الشقين كالمنشار» (*البلدان*، ٦٥).

(٣) المطيال: يحتمل أن يكون القُفَّة التي كانت شائعة إلى عصرنا، نشاهدها ببغداد لنقل البضائع والناس على جانبي نهر دجلة، وهي مدوَّرة مطليَّة بالقار وحافاتها العليا متجهة إلى داخلها. أما الكنبار فهو ليف أشجار جوز الهند ويبدو أنه صُنع منه ما نسميه اليوم بالكابينات داخل السفينة في جزء منها. وأن المطيال (القفة) كانت في جانب من السفينة أيضاً.

قال: فما مضى بعد الخصومة ثلاث ساعات حتى طفرت من البحر كَنْعَدة[1] فبقرت برأسها بطن الرجل الجالس في المطيال، وتخلّصت من الجانب الآخر وسقطت في البحر؛ وكفّنوا الرجل ورموا به إلى الماء.

21. وكنت أسمع بأمر السلاحف فأستظرفه وأنكره لما يُحكى مّما لا يقبله العقل، فحَدَّثني أبو محمد الحسن بن عمرو أنه سمع بعض شيوخ المراكب يحدث أن مركباً خرج من بلاد الهند إلى بعض النواحي فذهب من يد صاحبه بقوة الشرتا[2] وعاب[a] المركب. فقدموا إلى جزيرة صغيرة لم يجدوا فيها ماء ولا شجراً ودفعتهم الضرورة إلى المقام فيها، ففرغوا حمولة المركب إلى الجزيرة، وأقاموا مدة حتى أصلحوا العيب وردّوا الحمل إلى المركب وعزموا على الخطوف[3]، فاتفق لهم يوم نوروز[4] فجمعوا من خشبيات معهم وخوص وقماش وأوقدوه، فتحركت الجزيرة من تحتهم، وكانوا بقرب الماء، فرموا أنفسهم إلى الماء وتعلقوا بالقارب والدونيج[5] وغاصت الجزيرة؛ فلحقهم من اضطراب البحر بحركتها ما أشرفوا ‹معه› على الغرق وسلموا بعد تعب شديد وهول عظيم؛ وإذا بها

---

(١) الكَنْعَد: سمك في البحر الأحمر وبحر عُمَان والمحيط الهندي، قال المعلوف إنه هو الشيرماهي Seirfish. Seerfish. Cybium Commersonii (*معجم الحيوان*، ٨٠، ٢٢٢).

(٢) الشرتا: الرياح الموسمية وقد عرّفنا بها في هامش ص ٢١٠.

(٣) الخطوف: الإبحار (*البلدان* لابن الفقيه، ٦٧؛ *غرر السير* للمرغني، ١٧٧).

(٤) يوم النوروز: عيد وطنيّ معظم لدى الفرس منذ ما قبل الإسلام، وهو اليوم الأول من بدء السنة الشمسية التي يؤرخون بها، ويعني اليوم الجديد ويصادف اليوم ٢١ من آذار. وإشعال هؤلاء الملاّحين النار في ذلك اليوم، يدلّ على كونهم من الفُرس الذين دأبوا على الاحتفال به بإشعال النار.

(٥) الدونيج: في *تاج العروس* نقلاً عن *العباب الزاخر* (مادة نهبوغ): النهبوغ من السفن البحرية الطويلة السريعة الجري شبهوها بالطائر، ويقال لها الدونيج وهو معرب دوني. وجمعها الدوانيج كما في *تاريخ المستبصر* (ص٢٩٩). قلت: هذا الوصف ينطبق على الزورق المعروف في العراق بالمشحوف.

سلحفاة قائمة على وجه الماء، ولما أحست بحرّ النار ولدغها[١] هربت[٢].

وسألت عن السبب في ذلك، فقال: إن السُّلَحْفَاة لها أيام[b] في كل عام تطفو فيها على وجه الماء على سبيل الاستراحة من طول مقامها في كهوف الجبال - وفي البحر غابات وشَعاري[٣] وأشجار هائلة[c] أهول وأعظم من شجرنا فوق الأرض - فتخرج على وجه الماء وتمكث أياماً وتسدر كالسكران، فإذا رجعت إليها نفسُها وسئمت ما هي فيه غاصت، وربما اجتمع الذكر بالأنثى فيكون بينهم السفاد[d] وهم طائفون[e] على وجه الماء[٤].

22. وحَدَّثَني أبو محمد الحسن بن عمرو عَمَّن حَدَّثه من شيوخ البحر أنه دخل الأغباب[٥] وجالس بعض ملوك الأغباب فقدّم إليهم طعاماً يأكلونه، وكان فيما قدم غضارة فيها ألوان مطبوخة برؤوس وأيدي وأرجل تشبه رؤوس الصبيان وأيديهم وأرجلهم.قال: فعافت[a] نفسي ذلك الطعام ورجعت عن أكل طعامه بعد أن كنت انبسطت، ففطن الملك لذلك فَأَمْسَكَ.

---

(١) يمكن أن تكون: ولذعها، يُقال: لذعته النار: لفحته وأحرقته.

(٢) شاهد عالم البحار المصري الدكتور أنور عبد العليم على جزر سيشل وجزيرة ليثام «السلاحف العملاقة وهي تسير في طابور منتظم من الغابة نحو البحر، وتستطيع الواحدة منها أن تحمل على ظهرها عدة رجال» (*مذكرات عالم بحار*، ٢٣٦، مجلة *الدوحة* القطرية، العدد ١٠٩، يناير ١٩٨٥م). ينقل ابن الفقيه عن موسى بن المبارك السِّيرافِيّ الذي دخل مملكة الواق واق أنه توجد بها سلاحف استدارة الواحدة منها عشرون ذراعاً يخرج من بطن الواحدة ألف بيضة (*المنتظم*، ١/ ٤٥).

(٣) الشِّعار: مكان ذو شجر كثيف متشابك الأغصان، جمعه المؤلف على شعاري.

(٤) من قصص السندباد في *ألف ليلة وليلة* (٢/ ٤، الليلة ٥٣٨) أن سفينتهم رست إلى جزيرة، وبعد أن أوقد مع رفاقه النار لطعامهم، تحرّكت وماجت بهم. وفسّرَ صاحب المركب ذلك بأنها كانت سمكة كبيرة رست في وسط البحر فبنى عليها الرمل فصارت مثل الجزيرة، وقد نبتت عليها الأشجار من قديم الزمان، فلما أوقدوا عليها النار أحست بالسخونة فتحركت.

(٥) الأغباب: جمع غُب، والموضع المقصود هو أغباب سرنديب (بلاد سري لانكا الحالية).

فلما كان من الغد حضرت عنده فكلَّمَ أصحابه بشيء، فوافوا بسمك يحملونه لولا أني رأيته يضطرب اضطراب السمك وعليه صَدَفُهُ ما شككت في أنه ابن آدم[b]، فقال لي الملك: الذي كرهتَ بالأمس أن تأكله هو هذا، هو أطيب من سمكنا وأعذب وأقل ضراً[c]. قال: فكنتُ آكله بعد ذلك[١].

23. وحَدَّثني بعض من دخل الزيلع[٢] وبلاد الحبشة، أن في بحر الحبشة[٣] سمكاً له وجه كوجه بني آدم وأجسامهم لها الأيدي والأرجل، وأن الصيادين المتعزِّبين الفقراء المتطرقين في أطراف السواحل المهجورة والجزائر والشعاب والجبال التي لا تُسلك[a]، المعالجين[٤] فيها طولَ أعمارهم، إذا وجدوا ذلك السمك المشابه لبني آدم اجتمعوا به، فيتوالدون[b] بينهم نسلاً شبيهاً لبني آدم يعيش في الماء والهواء. وربما كان الأصل في هذا السمك من بني آدم اجتمعوا

---

(١) يذكر ريتشارد هول أنه في البحر القريب من مدغشقر (وهي مجاورة للموضع أعلاه)، «تحيا سمكة السيلاكانث Coelacanth وهي إحدى المخلوقات الغريبة التي ترجع إلى مرحلة سحيقة من مراحل تطور الكائنات، وتبدو سمكة غريبة ذات حراشف ضخمة وزعانف تشبه الأرجل» (*إمبراطوريات الرياح الموسمية*، ٥١)، وقد وُجدت حيةً في المحيط الهندي بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠م شمالي مدغشقر وصُوِّرت (*اقتحام المجهول الأعظم*، ٧٩).

(٢) بلاد الزيلع: ميناء صومالي مطلٌّ على خليج عدن.

(٣) يتّخذ بحر الحبشة أحياناً حدوداً شاسعة جداً، يقول المسعودي: «البحر الحبشي هو بحر الصين والسند والهند والزَّنج والبصرة والأبلة وفارس وكرمان وعُمان والبحرين واليمن وأيلة والقُلْزُم من بلاد مصر، وليس في المعمور بحر أعظم منه، وهو مساوٍ في الطول لخط الاستواء، آخذ من أقصى بلاد الحبشان التي في المغرب إلى أقصى بلاد الهند والصين في المشرق» (*التنبيه والإشراف*، ٤٦، *مروج الذهب*، ١/ ١٢٤، ١٣١؛ *البلدان* لابن الفقيه، ٦٣)، بل إن صاعداً الأندلسي يسمي بحر عدن ببحر الهند الكبير (*التعريف بطبقات الأمم*، ٢٠٨)؛ ومع ذلك فالمقصود ببحر الحبشة هنا هو ما يقابل السواحل الصومالية في خليج عدن بدءاً من الزيلع ومروراً بميناء بربرا نزولاً إلى السواحل الشرقية للصومال.

(٤) المعالجون: الذين تحمَّلوا المشاقّ. وهو تعبير عراقي.

بجنس من أجناس السمك ويتوالد بينهم هذا السمك الشبيه لبني آدم[١]، ثُمَّ كذلك على مرّ الدهور والأزمنة، كما يجتمع الآدمي ببعض الوحش مثل الضبع والنمرة وغيره من حيوان البر[c]، فيتوالد بينهم القردة والنسانيس وغير ذلك مما يشبه ابن آدم، وكما تجتمع الخنازير والجواميس وكان بينهما الفيلة، وكما يجتمع الكلاب والمعز وكان بينهما الخنازير، وكما يجتمع الحمير والخيل وكان بينهما البغال. ولو ذهبنا نعدّ ما تَنَتَّجَ من الاجتماع للأجناس، لعددنا من ذلك ما يبهت القارئ ويخرج عما قصدنا إليه من عجائب الهند خاصة.

24. ويقال إن سمكاً[a] يقال له اللظلوم[b] على صورة الآدمي وله فرج كفرج الناس الذكر والأنثى[٢]، يُصاد وله جلد أثخن من جلد الفيل يدبغ ويستعمل للأخفاف.

25. ويقال إن كل طائر في الهواء وعلى وجه الأرض، في البحر من السمك مثلُه أو ما يشبهه. ولقد رأيت في جون أيلة[٣] من البلاد الشامية سمكاً صغيراً[a] لونه يشبه لون الشِّقِرَّاق[٤] لا يغادر‹هُ› يطير من الماء ويغوص فيه[٥].

---

(١) يذكر سليمان التاجر سمكة في بحر الزّنج يحكي وجهُها وجهَ الإنسان (*أخبار الصين والهند*، ٣٠).

(٢) في *نخبة الدهر*: «في هذا البحر سمكة يُقال لها اللظم لها وجه خنزير وبدن إنسان وفرج امرأة ويَدَنْها مشعر كثير الشعر» (ص ١٥٨). وفي *تاريخ المستبصر*: سمكة تُدعى الطويلة «يكون لها فرج على هيئة فروج النساء، ولم تُشترَ من الصياد حتّى يحلف أنه لم يطأها» (ص٢٤٣).

(٣) جون أيلة: ميناء إيلات الأردني الواقع على البحر الأحمر شمالي العقبة.

(٤) أو الشِّقِرّاق: و في الشام، شُقُرُق، Roller. Coracias، طائر أصغر من الحمامة وأعظم من الوروار بين خضرة وحمرة وزرقة وسواد، والخضرة غالبة فيه. (*معجم الحيوان*، ٢١٠-٢١٢).

(٥) قال الدكتور أنور عبد العليم الذي شاهد هذه الأسماك في المحيط الهندي إنها «أنواع كثيرة، وهي تدفع الماء بعضلات ذيلها القوية لتخرج منه، ثم تفرد زعانفها التي تشبه جناحي الطائر وهي في الجوّ... فتطير لمسافة قد تصل ٣٠ متراً وأحياناً تزيد على ٥٠ متراً ثم تقع في الماء» (*مذكرات عالم بحار*، ٢٣٨).

26. ومن عجيب أمر بحر فارس ما يراه الناس فيه بالليل، فإن الأمواج إذا اضطربت وتكسر[a] بعضها على بعض، انقدح منه النار، فيخيّل إلى راكب البحر أنه يسير في بحر نار.

27. وحُدِّثت أن في البحر حيّات يقال لها التِّنّين عظيمة هائلة[1]، إذا مرّ[a] السحاب في كبد الشتاء على وجه الماء، خرج[b] هذا التِّنّين من الماء ودخل فيه لما

---

(١) ينقل سوفاجيه عن لوبريدور تفسيره لهذه الظاهرة فيقول: «عندما يُشاهد تشكّل إعصار عمودي على مسافة قريبة، يظهر مخروط مقلوب يتجه رأسه نحو البحر، نازلاً من الغيوم الداكنة. وفي الوقت ذاته يرتفع مستوى البحر تحته ويندفع منه مخروط صغير يتصل بالمخروط العلوي. فتنشأ حركة دائرية في موضع صغير من وجه البحر من جراء تأثير قوة كهربائية أو زوبعة صاعدة. وفي تلك الأثناء ينتثر الجانب الأعظم من ماء الإعصار ذراتٍ دقيقةً إلى أقصى حدّ، تشبه الدخان أو البخار محدثةً ضجيجاً عظيماً. ولا تتسم هذه الأعاصير بالخطورة التي يتصور بعض الناس أنها تسكب عند انحلالها ما يكفي من الماء لإغراق السفن. أنا لا أوافق على هذا الرأي، وأظن المركب الصغير وحده يترنّح إذا كانت أشرعته مرفوعة» (خوري، تعليقاته على *أخبار الصين والهند*، ١٢٠). أقدم ما ورد عنه كان في كتاب *التوحيد* للمفضّل بن عمر الجُعفي (كان حياً في١٤٥هـ): «إن السحاب كالموكّل به (بالتِّنّين) يختطفه كما يختطف حجرُ المغناطيس الحديدَ، فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفاً من السحاب، ولا يخرج إلا في القيظ مرةً إذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة» (ص٦٤)، ثم قول الجاحظ: «رأينا بعض الشاميين يزعم أن التِّنّين إعصار فيه نار، يخرج من قِبَل البحر في بعض الزمان فلا يمرّ بشيء إلا أحرقه، فسمّى ذلك ناسٌ التِّنّين، ثُمَّ جعلوه في صورةِ حيّةٍ» (*الحيوان*، ١٠٦/٧). يقول سليمان التاجر: «ربما رؤي في هذا البحر (هَرْكَنْد) سحابٌ أبيض يُظِلُّ المراكب، فيشرع منه لسان طويل رقيق حتّى يلصق ذلك اللسان بماء البحر، مثل الزوبعة. فإذا أدركت المركبَ ابتلعته. ثُمَّ يرتفع ذلك السحاب فيمطر مطراً فيه قذى البحر. فلا أدري أ يستقي السحاب من البحر؟ أم كيف هذا؟» (*أخبار الصين والهند*، ٣٣؛ *مروج الذهب*، ١٨١/١، توجد تفاصيل مشابهة؛ *نزهة المشتاق*، ٩٠/١). ويعتقد المغول: «أن الصاعقة تأتي من حيوانات أمثال التِّنّين. وهم يشاهدونه في تلك الديار يهوي من الجو ويقع على الأرض وذَنَبُهُ يخطُّ على الأرض، ثُمَّ يلتفُّ حول نفسه وتخرج من فمه النار» (*جامع التواريخ*، ١١٧/١). ويرى الدكتور يونس أن أسطورة التِّنّين تجمّعت أولاً في بابل من عناصر من الأسطورة المصرية، ثُمَّ انتشرت بعد ذلك على نطاق واسع في الهند والصين (*معجم الفولكلور*، ٩٨).

يجد[c] في البحر من حرارة الماء، لأن ماء البحر في الشتاء يسخن كالمرجل فيسجن[d] هذا التنّين ببرودة السحاب فيها، وتهبّ الرياحُ على وجه الماء فيُرفع[e] السحاب عن الماء، ويستقل التنّين في السحاب وتتراكم وتسير من أفق إلى أفق، فإذا استفرغت مما فيها من الماء خفّت[f] وصارت كالهباء وتفرقت وقطعتها الرياح، فلا يجد التنّين ما يتحامل عليه فيسقط إما في بحر وإما في برّ.

فإذا أراد الله تعالى بقوم شراً، أسقطه في أرضهم[g] فيبتلع جِمالَهم وخيلَهم وأبقارهم ومواشيهم ويهلكهم، ويبقى حتى لا يجد شيئاً يأكله فيموت أو يهلكه الله سبحانه عنهم.

ولقد حَدَّثَني أهل البحر والسَّفّارة[١]، تجارٌ وربانيةٌ أنهم أبصروه غير دفعة في السحاب يعبر على رؤوسهم أسودَ ممدود‹اً› في السحاب، فإذا أحس ببرد الهواء، زَجَّ نفسه وتحامل[h] في السحاب وغاب عن الأبصار.

فتبارك الله أحسن الخالقين.

28. وحَدَّثَني أبو الزهر البرختي عن حيَّات بلاد الهند فقال: حَدَّثَني رجلٌ طبيبٌ هندي من أهل سرنديب فقال لي: هذه الحَيَّات في أرض الهند ثلاثة آلاف ومئة وعشرون[a] جنساً، أخبثها جنس في أرض ناگا إذا هبّت الريح من جهتهم قتلت من تمرّ به من جميع الحيوان الطائر والدابّ والمنساب عن ثلاثة فراسخ[٢]،

---

(١) السَّفّارة: المسافرون؛ حيث نقرأ في *تاريخ المستبصر*: «قَدِم سَفّارة الحبشة» (ص١٤٣).

(٢) في الأصل: أرض تاكا، ورجّحنا أن تكون هي بلاد ناگا، فالحية بالهندية تدعى «ناگــا»، وجمعها ناگات (*تحقيق ما للهند*، ٢٩٠، ٤٤٣)، ولذا فمن المحتمل أن تكون هذه الأرض هي بلاد ناگا نُسبت إلى الحَيَّات لكثرتها فيها؛ ومن الممكن أن هذه البلاد تقع في إقليم آسام الهندي، ذلك أن غوستاف لوبون يذكر في هذا الإقليم قوماً يُدعون الناغا يدل اسمهم على الأفاعي (*حضارات الهند*، ١٢١).

ولذلك[b] إن أرض ناگا لايعمرها الأقوام. للرياح أيام معلومة، إن هبت الريح لهم أقاموا أيامها، وإن جاء[c] هبوب الرياح من جهة أرض تلك الحَيَّات تبادروا وركبوا الدونيج ودخلوا إلى جزائر البحر، فإذا انقضت أيام تلك الرياح تنادوا وعادوا وحرثوا وزرعوا واستخرجوا المعادن، وذلك أن أرض ناگا هي معادن الذهب والفضة.

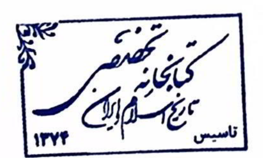
وفي كل عام يأتيهم من داخل البرية الشرقية سيول تحمل إليهم طيباً ... ... سوى بني آدم، فرمته الرياح إلى بعض المراسي من بلاد[1] البَخم[d]، فصعد هو وأصحابه إلى غيضة من تلك الجزائر فيها أخشاب قد مضت عليها الدهور مطروحة قد وقع بعضها على بعض؛ فطاف في الغيضة يطلب دَقَلاً لمركبه[2] فوقع اختياره على دَقَل أملس حسن في نهاية الاستقامة والغلظ والخشب فوقه مشوَّش كما قد وقع في طول الأيام، فقدّره فوجده زائداً على حاجته، فأحضر المنشار ليقطع منه خمسين ذراعاً بمقدار حاجته، فلما وضع المنشار عليه وابتدأ ينشر تحرك وانساب وإذا هو حية[3]، فتبادروا إلى الماء فألقوا نفوسهم فيه ولحقوا المركب وسلموا منه.

---

(١) هكذا وردت في الأصل: بلاد البَخم أو البجم، ونحتمل أن صوابها: البَقْم، نسبة إلى نبات البقم وهو نبات «يشبه الدفلى بالسواء وخشبه أحمر وعروقه دواء من سم الأفاعي» (*نزهة المشتاق*، ٧٦/١) حيث ذكر أنه يوجد في جزيرة الرامي مرةً وفي موضع آخر (١٩٨/١) في جبل لامري. وهو على أنواع (*عمدة الطبيب*، ١٠٥/١)، تُستخرج من خشبه مادة للصباغة. ومواضعه في هذه الأصقاع في جزيرة لامري أو صنفير اللتين ذكرهما البيروني بوصفهما الموضعين اللذين ينبت فيهما (*الصيدنة*، ١٢٢).

(٢) الدَّقَل: صاري السفينة، يقول المسعودي: «يسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره من البحر الحبشي، الدولي، ويسميه رجال البحر الرومي، الصاري» (*مروج الذهب*، ١٨٤/١).

(٣) يتحدَّث الزهري عن جبل الحية القريب من جزيرةالبروج (الروخ) الهندية فيقول إن فيه كثيراً من شجر اللبان، لايتجرأ أحد على دخوله لأن فيه حيَّات على طول النخل وأعظم (*الجَعْرافِيَة*، ٢٦).



29. وحَدَّثَني محمد بن بابشاد عن غلامه[a] هذا أنه سافر من الهند إلى الصين، فبينما هو يسير في بعض البحار فحان وقت صلاة الأولى فهبط إلى المتوضأ ليجدد الوضوء إلى الصلاة، فنظر في البحر فلم يلبث أن قام وعاد ولم يتوضأ وكان كالمذعور فقال: يا رجال سوء! أرخوا الشراع؛ ففعلوا. فقال: اطرحوا كل ما على ظهر المركب في البحر. ثُمَّ نزل إلى قريب من الماء ثُمَّ طلع مذعوراً وقال: يا تجار! أي شيء عندكم أحب لكم: أموالكم التي منها ألف عوض أو نفوسكم التي لا عوض لها؟ فقالوا: وأي شيء جرى[b] علينا حتى تقول لنا هذا القول؟ ريحنا رخوٌ وبحرنا رهوٌ[c] ونحن سالمون[d] في كنف رب العالمين.

فقال لهم: ليشهد بعضكم على بعض، وليشهد لي رجال المركب على هؤلاء التجار أني قد نصحت لهم قبل الكَوْن[1] فلم يقبلوا، وأنا أستودعكم الله. وقال لصاحب القارب: قدّمه لي. فنزل فيه وأنزل معه فيه ماء ورجالاً وزاداً.

فلما عزم على مفارقتهم قالوا له: ارجع ونحن نفعل ما تأمرنا به، فقال: واللهِ ما أرجع حتى تطرحوا كل ما معكم في البحر عن طيب أنفسكم بأيديكم.

قال: فرموا بأيديهم ما عَزَّ عليهم وهان ولم يبق في المركب سوى بني آدم وزادهم ومائهم فقط. قال: فرجع وطلع المركب وقال لهم: لو علمتم ما يجري لكم وللمركب في جوف هذه الليلة، فتطهروا وصلوا وأخلصوا التوبة إلى ربكم واسألوه العفو. قال: ففعلوا.

---

(١) قبل الكون: قبل وقوع الواقعة.

فلما كان الليل، فتح الله سبحانه أبواب السماء بريح سوداء ملأت ما بين السماء والأرض، ورفعت أمواج البحر إلى السحاب وحطّتها إلى التراب، وطمرت من السفن في البلاد والسواحل وفي وسط البحر، وقلّ من سلم منها[e]. ومركب القوم قد ألهمهم الله أن خفّفوا وطرحوا ما عليه من ثقل وغيره. وكان كلما جاش البحر عليه خفّ وعلا على الأمواج وطفا[f] على البحر وهم يقرأون ويدعون ويبتهلون ولا يأكلون ولا يشربون ثلاثة أيام بلياليها.

فلما كان اليوم الرابع أمر الله عز وجل الرياح فسكنت والبحار فهدأت، وأذهب الله ذلك كما عرف من عوايد قدرته سبحانه، فطرحوا قارب المركب من جوفه وجعل فيه الرُّبّان المجاديف وقدّمه بين يدي المركب يجرّونه يوماً وليلة؛ فأشرفوا على جزيرة قد طرح إليها البحر كلما أفسده ذلك الخِبّ من المراكب والأزياء[1] والبضائع والمتاجر من آفاق البلاد، فأرسوا بمركبهم فيها، ووجدوا عُدَّة مركبهم فيها بعينها فرفعوها وردُّوها إلى مواضعها من مركبهم، واختاروا على أعينهم ما أحبوا من البضائع السالمة، ورأوا من وجدوه من الغرقاء واستقوا[2].

فلما استوى لهم الإقلاع وهبّت بموافقتهم[g] الرياحُ، أشرعوا نحو ديارهم وساروا معافين ووصلوا سالمين، فوجدوا فيما معهم من البضائع للدرهم عشرة، وربحوا الغنى والعافية، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الأزياء: ربما كانت «الأزواد»، وهي كلمة وردت في الخبر 18 بمعنى الأوعية التي تُعبَّأ فيها البضاعة أو هي البضاعة نفسها. والخبّ هو الإعصار.

(٢) استقوا: تزودوا بالماء العذب من الجزيرة.

30. وخبَّرَني شيخ من شيوخ البحر أن قرية كبيرة من أعمال الصَّنْف[a] (١) انتقل أهلها من أجل حية كانت بالقرب منهم أكلت مواشيهم وجمعاً من أهلها، وأن الحِيَل أعيتهم فيها فانتقل[b] أهلها عنها وخربت القرية ولم يعد إليها أحد.

31. وخبَّرَني أبو محمد الحسن بن عمرو عن بعض النواخذة أنه كان يسير في مركب، فاشتدت عليه الريح وأخذه الخِبّ فلجأ إلى خَوْرٍ لاح له فدخله فأقام به يومه وليلته، فلما كان من غدٍ اجتازت بهم[a] في البرّ حيةٌ هائلة المنظر عظيمة لا تقاس بشيء لكبرها ثُمَّ نزلت إلى الخور فعبرت إلى الجانب الآخر كأنها البرق لسرعتها، ثُمَّ صعدت إلى الناحية الأخرى، فلما كان بعد العصر عادت فعبرت الخور على رفق، فلم تزل على هذا خمسة أيام تجيء في كل يوم غدوة فتعبر وتعود بعد العصر؛ فلما كان في اليوم السادس قال الناخذاه للبانانية: انزلوا إلى البرّ وانظروا إلى أين تمضي هذه الحية. فنزلوا بعد انصرافها في اليوم السادس إلى البر ومشوا في تلك الأرض نحو ميل، فإذا هم بأَجَمَة وغَيْضَة (٢) ومستنقع ماء مملوء بأنياب الفيلة كباراً وصغاراً، فجاؤوا بالخبر إلى الرّبّان فنزل معهم في غد ووقف عليه وعادوا إلى المركب.

---

(١) الصَّنْف: هي تشمبا وهي أنّام Annam منطقة في فيتنام الحالية قال وليم مارسدن إنها في جنوب شرقي كوشين صين Chchin – China وفي الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة كمبوديا (١٦٢/٣)، ذكرت لدى ماركو بولو باسم زيامبا، وتكتب في الخرائط الحديثة: تسيامبا، سيامبا، كيامبا. تكتب في مصادر التراث بشكل: الصَّنْف، وصنفا (*عمدة الطبيب*، ٢/٤٤٨)، وكان يؤتى منها بأعواد البخور التي اشتهرت باسم العود الصَّنْفي (*أخبار الصين والهند*، ٣٨؛ *حدود العالم*، ٨٠؛ *الصيدنة*، ٤٤٤؛ *شرح أسماء العقار*، ٣٢). وقد ساق الباحث الياباني ياما موتو «حججاً قوية للتدليل على أن طوالسي إنّما هي تشامبا بعينها» (*تاريخ الأدب الجغرافي العربي*، ٤٦٧).

(٢) الأجمة: الشجر الكثيف المتشابك الأغصان؛ الغيضة: مجتمع الشجر.

ولم يزالوا في نقل الأنياب بعد أن تنصرف الحية وإلى وقت مجيئها، حتى حملوا شيئاً كثيراً يعظم مقداره، ورموا من المركب بمقدار ما حملوا مما لا يُسأل عنه ولا قيمة له، وخرجوا من الخور بعد أن أقاموا فيه نحواً من عشرين يوماً؛ وإذا بتلك الحية كانت تأكل تلك الفيلة وتبقي أنيابهم[١].

وسألت إسماعيلويه الناخذاه عن هذا الحديث سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة وقد كنت سمعت به، فحدَّثني به وقال: بلغني وهو صحيح.

32. وقال: في البحر ألوان الحَيَّات إلاّ أن فعلها في الماء ضعيف؛ وأشدّ الحَيَّات ما كان في الجبال والفيافي [والأرض المعطشة] وفي البعد عن المياه[٢].

وفي جبال عُمَان حيَّات لا تمهل البتة[a]. وفيما بين صُحَار ـ وهي قصبة عُمَان[٣] ـ وبين جبال اليُحْمِد[٤] موضع لا يسلكه أحد، فيه وادٍ يسمى وادي

---

(١) يقول جاد الله طانيوس في كتابه *في غابات السودان*: «كثيراً ماتموت جماعة من الأفيال في بقعة واحدة بسبب مرض وبائي أو ضربة صاعقة، وقد يصل عدد الضحايا من الأفيال إلى اثني عشر فيلاً أو أكثر. فإذا جاء أحد الصيادين ورأى مجموعة كهذه من الأفيال وجد ثروة عظيمة وظنّ أنه عثر على الكنز المسمَّى مقبرة الأفيال. وكل صياد يعرف عن طبيعة الفيل أنه عندما يحسّ بدنوّ أجله يحاول أن يستقر نهائياً في مكان فيه أشلاء الأفيال الميّتة. ولكن ليس من المستطاع أن يصل كل فيل مجروح أو مريض أو في حالة خطرة إلى النقطة التي يريدها» (تعليقات الشالجي على *الفرج بعد الشدّة*، ٤/١٧٥).

(٢) يربط التراث الشعبي بين خطورة لدغة الأفعى وبين كونها في الصحارى حيث ندرة المياه، وفي العراق يرى التراث الشعبي أن أشدّها خطراً هي لدغة «صِلّ الرَّمل»، وهي أفعى صغيرة تعيش في الصحارى.

(٣) صحار: ميناء عُمَاني مطل على خليج عُمَان، قال المسعودي: «صحار: قصبة عُمَان والفرس يسمونها مزون» (*مروج الذهب*، ١/١٧٧). وفي *صفة جزيرة العرب*: «أرض عُمَان كورتها العظمى صُحار» (ص٢٣٧). ولأهميتها التجارية دُعيت عُمَان بأسرها بها، يقول ابن خرداذبه: «عُمَان وهي صُحار» (*المسالك والممالك*، ٦٠؛ انظر أيضاً: *نزهة المشتاق*، ١/١٥٦).

(٤) اليُحْمِد: منطقة جبلية باليمن مطلّة على بحر عُمَان مجاورة لبلاد الشحر (*صفة جزيرة العرب*، ٩٠).

الحَيَّات، قيل إن فيه حيَّات مقدارها شِبر ودون الشبر[b]، تجمع الواحدة رأسها مع ذنبها وتقفز إلى الفارس، فإن نهشتْ قتلتْ في الوقت، وإن نفخت كان الإنسان منها على خطر شديد[c]، [فإذا سلك المسافر تلك الطريق تقافزن عليه من كل جهة فلا يخطئنه، وذلك طول الطريق، فتُرك سلوكها والسلام].

33. وقال: قال لي بعض المنصوريين[a] ممن يسلك إلى مانكر[b][١]، وهي مدينة بينها وبين ساحل بلاد الأرميون[c] فرسخ[٢]، وبها بلهور[d] ملك الهند، إن ببعض جبال الهند حيَّاتٍ صغاراً رقطاً وغُبراً، إذا نظرت الحية إلى إنسان [قبل أن ينظر إليها ماتت، وإذا نظرها الإنسان قبل أن تنظره مات من ساعته] بخاصية في سمّها، [وإذا نظرا بعضهما ماتا] وهي شرّ الحَيَّات[٣].

---

(١) مانكر أو مانكير: وتكتب منگير أيضاً (*تاريخ الفي*، ٥٢٧)، من مدن الهند؛ في *مروج الذهب*: «وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا، البلْهَرَى صاحب مدينة المانكير، وأكثر ملوك الهند تتوجّه في صلاتها نحوه وتصلّي لرسله إذا وردوا عليهم» (١/٩٧). وفي *الأعلاق النفيسة* أن بلهرى تعني ملك ملوك الهند ويقال له الكمكم وأن من حوله من الملوك يصلّون له ولرُسُلِهِ إذا جاؤوهم (ص١٣٤).

(٢) لم نهتدِ إلى موضع بلاد الأرميون.

(٣) في *الجماهر* (ص١٧٨) و*نُزْهَتْ نامه عَلائي* (ص٢٦٠) فإنَّ هذه الأفعى موجودة في وادي الألماس، وإن الإسكندر المقدوني أمر بحمل المرايا وأن يستتر حاملوها خلف المرايا، فلما وقعت أعين الأفاعي على المرايا ورأت أنفسها في المرايا ماتت. ويقول الكيميائي الشهير جابر بن حيان المتوفّى سنة ١٨٦ هـ: «إنَّ بوادي الخَرْلَخ (في بلاد التُرك) أفاعي إذا رأت أنفسها ماتت وإذا رآها الناس ماتوا، وكذلك جميع الحيوان. وإن الصناجة ـ وهي الدابة العظمى ـ لها عينان كأعظم ما يكون من الخلجان، يكون مقدار كل عين منها مدار حماليقها نحو فرسخ. فتعمد هذه الأفاعي لتقتلها خاصة، فتوافي هذا الوادي من بلاد دواخل التِّبت فترفع أحداقها إلى أدمغتها حتّى لا تنظر إليها، فتقصدها هذه الأفاعي لتنهشها، فتقابلها بأعينها وهي صافية، فتنظر إلى صورتها فتموت فتأكلها تلك الدابة. ولقد خُبِّرتُ أن وزن الأفعى منها نحو خمسين ألف رطل» (*كتاب الخواص الكبير*، ٢٢٦ – ٢٢٧).

34. وحـدَّثَني محمـد بـن بابشـاد، أن بناحيـة الواقـواق عقـارب تطـير كالعصافير[١]، إذا ضربت الإنسان ورم جسمه واعتلَّ وانقشر جلده ومات.

35. [١٨١] وقال: حَدَّثَني محمد بن بابشاد وإسماعيلويه وجماعة من البحريين[a] ممن يوثق بقولهم أن بعض نواخذة الزَّنج[٢] خرج في مركبه من عُمَان يريد قَنْبَلَة[b] في سنة عشر وثلاث مئة[٣]، فحملت المركبَ الريحُ وطرحته[c] إلى سُفَالة الزَّنج[٤].

---

(١) ورد ذكر للعقارب الطائرة في *حياة الحيوان الكبرى* (٢/٥٢).

(٢) نواخذة الزَّنج: المقصود بحر الزَّنج وهي المياه التي تقع قبالة بلاد زَنجبار الحالية.

(٣) يعارض فان ديرليث الرأي القائل إن قنبلة في مدغشقر، ويرى (بوحي من دي خويه) أنها في زنجبار. وهناك رأي يول الذي يرى أن قنبلة هي جزيرة بمبا pempa القريبة من ساحل زنجبار (ص٢٣١).

(٤) سُفَالة الزَّنج (Beira): مرفأ في موزمبيق لم يرد ذكره لدى سليمان التاجر أو أبي زيد السِّيرافِيِّ الذي تحدَّث عن بلاد الزَّنج ولم يذكر سواحلها، كما لم يذكره ابن خرداذبه ولا ابن الفقيه ولا اليعقوبي. ذكره المسعودي في *المروج و التنبيه*. ويبدو أنه اكتسب أهمية على عصر مؤلف *حدود العالم* الذي قال إنه مستقر ملك الزَّنج (ص١٠٢). وهي منطقة خطرة في ذاكرة الملاحين. يقول المسعودي إنه «لم يشاهد أهولَ من بحر الزَّنج» (*مروج الذهب*، ١/١٢٦). ويقول البيروني: «سُفَالة الزَّنج لا يتجاوزها مركب من عظم المخاطرة فيه» (*التفهيم*، ١٢٢). ويقول ماركو بولو إن السفن تقصد مدغشقر وزنجبار (تنزانيا الحالية) وحدهما نتيجة جريان مياه البحر بسرعة هائلة في ذلك الاتجاه مما يجعل عودتها مستحيلة (٣/٨٣). ويعلق مارسدن: «إن التيارات المتجهة جنوباً من خلال مضيق موزمبيق، ثُمَّ المتخذة بعد ذلك اتجاهاً غربياً، مندفعة بقوة حول رأس الرجاء الصالح، مصدر خشية جميع ملاحينا إلى بلاد الهند الشرقية» (٣/٢٢٨). والمعروف أن التيار الاستوائي الجنوبي في المحيط الهندي حين يصطدم بسواحل جزيرة مدغشقر ينحرف جنوباً ويسير محاذياً للساحل حيث يُدعى تيار موزمبيق الدافئ، وإلى الجنوب من خط عرض ٣٠ درجة جنوباً يُسمَّى باسم تيار أغولهاس (Agulhas). في ٢٠٠٤/٣/١٢م تناقلت الأنباء نبأ مصرع خمسين مواطناً بسبب الأعاصير التي ضربت شمالي جزيرة مدغشقر. وتطلب السلطات المحلية في جزيرة موريشيوس الواقعة شرقي مدغشقر إلى السكان عدم مغادرة منازلهم عندما يهبُّ إعصار عليها وتتعطَّل الحركة في الجزيرة تماماً (*جولة في جزائر البحر الزَّنجي*، ٨٢).

قال [الناخذاه]: فلما عاينت الموضع وعلمت أنّا قد وقعنا إلى بلاد الزّنّج الذين يأكلون الناس[1]، أيقنّا بالهَلَكة، فتغسلنا وتحنّطنا وتكفنّا؛ وأحاطت بنا الدوانيج[d] فأدخلونا المرسى[e] وطرحنا الأناجر وحططنا الشراع ونزلنا مع القوم.

فحملونا إلى ملكهم فرأينا غلاماً جميل الوجه من بين الزّنّج، حسن الخلق، فسألنا عن أخبارنا فعرّفناه أنا قصدنا بلده، فقال: كذبتم، أنتم قصدتم قَنْبَلَة[f] فحملتكم الريح إلى البحر وطرحتكم إلى[g] أرضنا.

فقلنا هكذا كان، وإنما أردنا التقرب إليك. فقال: نَجِّلوا[2] الأمتعة وتسوّقوا ولا بأس عليكم.

قال فحططنا الأمتعة[h] وتسوقنا أطيب تسويق[i] ولم يُلْزِمنا ضريبة ولامؤونة إلاّ ما أهديناه إليه وأهدى إلينا مثله وأكثر منه.وأقمنا في بلده شهوراً، فلما كان وقت خروجنا استأذنّاه فأذن لنا، فحملنا الأمتعة وفرغنا من أمورنا[j].

فلما عزمنا على السفر[k] عرّفناه ذلك، فقام ومشى معنا إلى الساحل مع جماعة من أصحابه وغلمانه ونزل في الدوانيج وصار معنا في المركب، فصعد هو وسبعة أنفس من وجوه غلمانه وأصحابه ونظاف أسبابه.

---

(١) من القبائل التي تقيم في هذه المنطقة، قبيلة الغالا (وهي مجموعة بشرية تضم قبائل عديدة تسكن المنطقة الداخلية من ساحل أفريقيا التي تمتد من سواحل الحبشة مروراً بسواحل الصومال توغلاً في أعماق أفريقيا وقرب البحيرات)، حيث يقول هارتمان الذي زار هذه المنطقة سنة ١٨٦١م، إنه «إذا ما سقط جرحى أو أسرى بين أيديهم سواء من الرجال أو النساء أو حتّى الأطفال، فإنهم يقطعون ألسنتهم أو بعض أجزاء من وجوههم. كما أن الغالا الجنوبيين قاموا بسلخ جلود أسراهم من الصوماليين أو بقطع أيديهم وهم أحياء» (*الحبشة...*، ٢١٤؛ راجع هامش الخبر 141). فربما كانت أخبار هذه القسوة قد شاعت هناك، فحفظها هؤلاء البحارة الذين تحدّثوا عن الزنوج الذين يأكلون البشر.

(٢) عرّفنا بالكلمة فيما مضى وقلنا إنها تعني إنزال الأمتعة وحملها من موضع إلى آخر.

فلما حصلوا في المركب قلت في نفسي: هذا الملكُ يساوي في عُمَان في النداء ثلاثين ديناراً، ويساوي السبعةُ، مئةً وستين ديناراً، وعليهم ثياب بعشرين ديناراً، يحصل لنا أقلّه[1] منهم ثلاثة آلاف درهم ولا يضرنا من هذا شيء. فصحت[/] بالبانانية فشالوا الشراع ورفعوا الأناجر [١٨٢] وهو مع ذلك يسلم علينا ويؤنسنا ويسألنا الرجوع إليه ويعدنا بالإحسان متى عدنا إليه.

فلما رفعت الشراع ورآنا قد سرنا تغير وجهه وقال: أنتم تسيرون، أستودعكم الله، وقام لينزل إلى دوانيجه، قطعنا حبال الدوانيج وقلنا له: تقيم معنا فنحملك إلى بلدنا ونجازيك على إحسانك إلينا ونكافئك فقد فعلت بنا وصنعت.

فقال: يا قوم! لا تغدروا بي فإني مَلِكٌ، وأنتم قوم وقعتم إليّ وقدّرتم أن أهل بلدي يأكلونكم ويأخذون أموالكم [كما قد فعلوا بغيركم] فأحسنت إليكم وحقنت دماءكم وما أخذت منكم حقاً، وجئت لأودعكم في مركبكم إكراماً لكم فاقضوا حقي بأن تردّوني إلى بلدي. قال: فلم نفكر في كلامه وأخذت الريح المركب فما مضت ساعة حتى غابت بلده عن عيوننا، وأظلّنا الليل ودخلنا اللجج، وأصبحنا والملك وأصحابه في جملة الرقيق، وهم نحو مئة رأس في المركب. وعاملناه بما نعامل به سائر الرقيق.

قال: وأمسك فما أعاد علينا كلمة ولا خاطبنا بشيء وتغافل عنا كأنه ما عرفنا ولا عرفناه. ووصلنا إلى عُمَان فبعناه مع سائر أصحابه في جملة الرقيق.

---

(١) أقلّه: تعبير عراقي يعني: في الأقل، وما يزال متداولاً اليوم.

فلما كان في سنة خمس(m) عشرة وثلاث مئة خرجنا من عُمَان نريد قَنْبَلَة، فحملتنا الريح إلى سُفَالة الزَّنْج، ولم نكذب أن وردنا ذلك البلد بعينه، وبصروا بنا فخرجوا إلينا وأحاطت بنا الدوانيج، وإذا الوجوه التي نعرفها في تلك الكَرَّة، فأيقنّا على الحقيقة بالهلكة ولم يمكن أحد أن يكلم صاحبه من شدة الرعب. فاغتسلنا وتحنَّطنا وتكفنَّا؛ وأخذونا ووافوا بنا دار الملك فإذا ذلك الملك بعينه جالس على السرير كأنّا فارقناه الساعة. فلما رأيناه سجدنا وذهبت قوانا فلم يكن بنا حراك للقيام، [فقال لنا: أنتم أصحابي لا شك.

فلم يستطع أحد منا يتكلم وارتعدت فرائصنا]. فقال: ارفعوا رؤوسكم فقد آمنتكم على أنفسكم وأموالكم. فرفعنا رؤوسنا وليس نقدر أن ننظر إليه حياءً وخوفاً وجزعاً [فلما رجعت إلينا نفوسنا بأمانِهِ]، فقال لنا: يا غدّارين[1]! فعلتُ بكم وصنعتُ [لكم] ففعلتم وصنعتم. فقلنا أقِلْنا أيها الملك واعفُ عنا. فقال: قد عفوت عنكم فتسوَّقوا كما كنتم تسوَّقتم في تلك الكَرَّة [١٨٣] فلا اعتراض عليكم. فلم نصدِّق من السرور، وقدّرنا أن هذا من طريق المكر والخديعة حتى تحصل الأمتعة في الساحل. فنجَّلنا الأمتعة وحملنا إليه هدية بمالٍ له مقدار فردَّها علينا وقال: ليس مقداركم عندي أن أقبل لكم هدية، ولا أنجِّس مالي بما آخذه منكم فإن أموالكم كلها حرام. فتسوَّقنا على الرسم وحان خروجنا فاستأذنّاه في الحمل فأذن لنا. فلما عزمنا على الخُطوف قلت: أيها الملك! قد عزمنا [على الرحيل] فقال: امضوا في غير حفظ الله؛ فقلت: أيها الملك! قد عاملتنا بما لم نقدّره، لأنا غدرنا بك وظلمناك، فكيف تخلصتَ ورجعتَ إلى بلدك؟

---

(١) يا غدّارين: هكذا وردت في الأصل وصوابها الرَّفع.

فقال: نعم، بعتموني بعُمَان فحملني الذي اشتراني إلى بلد يقال له البصرة من صفته كذا [وكذا] فتعلمت به الصلاة والصيام وشيئاً من القرآن. ثُمَّ باعني مولاي على آخر حملني إلى بلد ملك العــرب الذي يقال له بغداد ـ ووصف لنا بغداد ـ فتفصَّحتُ بها وتعلَّمتُ شيئاً من القرآن والصلاة وصليت مع الناس في الجوامع، ورأيت الخليفة الذي يقال له المقتدر[1].

وأقمت ببغداد سنة وكسر⟨أ⟩ حتى وافى قوم من خراسان على الجمال فنظرت إلى خلق كبير فسألت عنهم في أي شيء جاؤوا فقالوا: يخرجون إلى مكة. فقلت: ومكة هذه ما هي؟ فقالوا: فيها بيت الله الحرام الذي يحج إليه الناس من كل بلد؛ وحَدَّثَني حديث البيت، فقلت في نفسي: سبيلي أن أتبع هؤلاء إلى هذا البيت. فعرَّفت مولاي ما سمعت من حديث مكة والبيت، فرأيته ليس يريد أن يخرج إليه ولا يدعني أخرج، فتغافلت عنه حتى خرج الناس، فلما خرجوا تبعتهم وانقطعت إلى رفقة فكنت أخدمهم طول الطريق وآكل معهم، ووهبوا لي ثوبين فأحرمت فيهما، وعلموني كيف أحج، فسهَّل الله لي الحج.

وخفت أن أرجع إلى بغداد فيأخذني مولاي فيقتلني، فخرجت مع قافلة أخرى إلى مصر، وكنت أخدم الناس في الطريق[n] [فحملوني وأشركوني في زادهم إلى مصر، فلما دخلت مصر[o] ورأيت البحر الحلو الذي يسمونه النيل فقلت: من أين يجيء؟ فقالوا: أصله من بلاد الزَّنْج. فقلت: من أي ناحية؟ فقالوا من ناحية مِصْرٍ[p] يُسمى أسوان في تخوم أرض السودان.

---

(١) المقتدر بالله العباسي حكم من ٢٩٥هـ إلى ٣٢٠هـ.

فلزمتُ ساحل النيل أدخل بلداً وأخرج من آخر[٩] وأطلب من الناس فيطعموني، وكان ذلك دأبي، فوقعت عند قوم من السودان فأنكروني فقيدوني وذهبوا يكلّفونني[٣] من بين الخدم ما لا أطيق، فهربت ووقعت عند قوم آخرين فأخذوني وباعوني، فهربت.

فلم أزل كذلك من خروجي من مصر حتى وصلت إلى البلد الفُلاَني من أطراف بلاد الزّنج، فتنكرت وأخفيت نفسي ولم أخَفْ على نفسي من حين خروجي من مصر مع ما جرى عليَّ من الأهوال كخوفي لما قربت من بلادي وقلت: إن بلدي قد جلس فيها بعدي ملك استولى على الملك وطاعته[١] الجندُ، ونَزْعُ الملك منه صعبٌ عسرٌ، فإن أنا ظهرت أو علم بي أحد حُملت إليه فيقتلني أو يجسر بعض المتنصّحين عليَّ فيأخذ رأسي فيتنصّح[٢] إليه به؛ فداخلني من الرعب ما ضقت به ذرعاً.

فكنت أسعى في الليل وأمشي نحو بلدي وأختفي في النهار إلى أن جئت في البحر إلى بلد كذا، فرماني المركب في الليل إلى ساحل بلدي فاستخبرت من امرأة عجوز: هل ملكهم هذا الذي جلَسَ عادل؟

فقالت: والله يا ولدي، ما لنا ملك إلاّ الله تعالى؛ وقصت عليَّ قصة الملك وأنا أتعجب كأني لا أعلم بذلك ولا كأني إياه. ثُمَّ قالت: اتفق أهل المملكة أن لا يملّكوا بعده عليهم أحداً[٥] حتى يعلموا ما كان من أمره وييأسوا من حَيَاته، فقد بلغتهم الأخبار من الكهنة أنه بأرض العرب حيٌّ سالم.

---

(١) طاعتْه الجند: أطاعتْه الجند.

(٢) يتنصّح إليه به: يظهر نفسه بمظهر الناصح فيتقرب برأسه إليه.

فلما أصبحت مضيت إلى بلدي هذه فدخلتها وأتيت قصري هذا فدخلته، ووجدت أهلي على ما تركتهم غير أنهم مقيمون[t] على بساط الحزن، وأهل دولتي، فأعدتُ عليهم قصتي فتعجبوا وفرحوا ودخلوا معي فيما دخلت فيه من دين الإسلام، فعدت إلى ملكي قبل مجيئكم بشهر، وأنا اليوم فرح مسرور لما مَنَّ الله عليَّ به وعلى أهل دولتي من الإسلام والإيمان ومعرفة الصلاة والصيام والحج والحلال والحرام. وبلغت ما لم يبلغه أحد في بلاد الزَّنْج وعفوت عنكم لأنكم السبب في صلاح ديني، ولكن بقي عليّ شيء أسأل الله الخروج من إثمه.

قال فقلت: ما هو أيها الملك؟ قال: مولاي الذي خرجت من بغداد إلى الحج من غير إذنه ورضاه ولم أعد إليه، ولو لقيتُ ثقةً كنت أبعث له ثمني واستحللته. ولو كان فيكم خير ولكم أمانة لدفعت إليكم ثَمَني تردّونه[u] عليه ووهبت له عشرة أضعافه بدلاً من صبره عليّ، ولكنكم أهل غدر وختل[v].

قال: فودعناه، فقال: امضوا فإن رجعتم فبهذه المعاملة أعاملكم وأزيد الإحسان إليكم، فعرّفوا المسلمين أن يأتونا فإنّا نحن قد صرنا إخواناً لهم مسلمين[w] مثلهم. وأما تشييعكم إلى المركب فما لي إليه سبيل. فودعناه وسرنا].

36. وقيل: إن ببلاد الزَّنْج[1] قافةً حُذَّاقاً فُهَماء.

وقال: قال لي إسماعيلويه عن بعض النواخذة[a] أنه قال: دخلت بلاد الزَّنْج في سنة اثنتين[b] وثلاثين وثلاث مئة، فقال لي بعض القافة[2]: كم أنتم من مركب[c]؟ قلت: ستة عشر مركباً.

---

(١) بلاد الزَّنْج: زنجبار التي كوّنت مع تنغانيقا ويمبا دولة تنزانيا الحالية.

(٢) مفردها: القائف، وهو الذي يقتفي الأثر ويتعرّفه، لكن الحالة أعلاه تنبؤ.

فقال: يسلم منها إلى عُمَان خمسة عشر مركباً وينكسر مركب منهم، يسلم منهم ثلاثة أنفس وتحلُّ بهم شدَّة[d] عظيمة ويتخلصون إلى عُمَان[e].

قال: فخرجنا كلنا في يوم واحد وكنت آخر من خرج منهم، فأغذذت السير لألحق الأول[f]. فلما كان في اليوم الثالث رأيت من بُعْدٍ مثلَ الجزيرة [١٨٥] السوداء، وأزعجني[١] في السير ما لم أنحدر معه لحطّ الشراع لأعدل عنها[g] لأن السير في ذلك البحر شديد جداً، فما كذبت[٢] أن وصلت إليها، فضربتني وإذا هي سمكة قد طفت على رأس الماء، فلما حاذاها المركب ردّت عليه بذنبها فانكسر قطعاً، فسلمت أنا وابني والكاراتي[٣] في دونيج. ووقعنا في بعض[h] جزائر الديبجات[٤]، فأقمنا بها[i] ستة أشهر إلى أن أمكننا[j] الخروج، ووصلنا إلى عُمَان بعد شدائد عظيمة مرت بنا، وقد كانت المراكب الخمسة عشر[k] سلمت بأسرها.

---

(١) أزعجني: ساقني ودفعني.

(٢) فما كذبت: تعبير عراقي يعني: ما أسرع ما، وهو هنا يعني فما أسرع ما وصلت إليها.

(٣) بهامش المخطوطة: الكاراتي: الكاتب الذي يحصي؛ وفي رحلة ابن بطوطة (٧١٤/٢): الكراني. وفي *تاريخ المستبصر* (ص١٢٩): «الكراني قد كتب جميع ما في بطن المركب».

(٤) هي جزر لكاديف Lacoadive الواقعة في بحر عُمَان التابعة لولاية كيرالا الهندية، مع جزر مالديف Maldives في المحيط الهندي جنوب غربي الهند، وجزر مالديف هي المعروفة في التراث الجغرافي باسم ذِيبة المَهَل، و هي نفسها جزر الفال أو الفالات. قال ابن بطوطة: «نحو ٢٠٠٠ جزيرة ... و إذا وصل المركب إلى إحداها فلابُدَّ له من دليل من أهلها يسير به إلى سائر الجزائر؛ وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل التي بإحداها عند الخروج من الأخرى؛ فإن أخطأ المركب سَمْتَها لم يمكنه دخولها وحملته الريح إلى المعبر أو سيلان» (٦٥٤/٢). تقول الإحصاءات المالديفية الرسمية إن عدد جُزُرها لايتجاوز ١٠٨٧ جزيرة المعمور منها لايتجاوز ٢٢٠ جزيرة («جمهورية المالديف»، ٦/ ٣١٣).

37. وحَدَّثَني الحسن بن عمرو وغيره عن[a] جماعة المشايخ بالهند من[b] أمر طيور الهند والزَّابَج وقِمَار[1] والصَّنْف وغيرها من نواحي الهند بأمر عظيم. وأكبر ما رأيت من ريش الطيور قطعة من ريش طائر، أسفل ريشة أرانيها أبو العباس السِّيرافِيّ طولها نحو ذراعين. قدَّرنا أنها تَسَعُ قِرْبَةَ ماء[2].

38. وقال: حَدَّثَني إسماعيلويه الناخذاه أنه رأى أسفل ريشة ببعض بلاد الهند عند رجل من كبار تجارهم [كانت إلى جانب داره يُصبّ فيها، كالدَّنِّ العظيم]. وأنه سقاه فيها ماءً.

قال: فقدّرت أنها تَسَعُ خمسةَ أرطالٍ أو نحوها؛ قال: فعجبت من ذلك.

---

(١) قِمَار: بلاد كمبوديا الحالية وتدعى أيضاً خمير، وهو الاسم الذي حملته في القرن الماضي عصابات القَتَلة: الخُمير الحُمْر في كمبوديا بقيادة السفّاح بولبوت. تكتب في المصادر التراثية: قِمَار، القِمَار، قمير، الإقمير، قِمَاري (*أخبار الصين والهند*، ٧٣؛ *المسالك والممالك* لابن خرداذبه، ٦٦؛ *الصيدنة*، ٧، ٢٢؛ *تحقيق ما للهند*، ١٦٩؛ *عمدة الطبيب*، ٤٤٨/٢؛ *بسط الأرض*، ٤٢)، أما يسميها الزهري جزيرة قمراء (*الجُغرافِيَّة*، ٢٠، حيث قال إن طولها ٥٠ فرسخاً وعرضها مثل ذلك، وإنها تقع إلى الغرب من الصَّنْف (تشمبا الحالية). يقول ابن خرداذبه إن بين تيومة (جزيرة تيومن الحالية) وبين قِمَار خمسة أيام (*المسالك والممالك*، ٦٨؛ انظر أيضاً: *عمدة الطبيب*، ٤٤٨/٢؛ *نزهة المشتاق*، ٨٣/١). ويقول المسعودي: قِمَار من أرض الهند وهي تقابل بلاد المَهَرَاج من الزَّابَج (*مروج الذهب*، ٤٢/١، ٢٠٨؛انظر أيضاً: *الروض المعطار*، ٤٧١؛ *جَهَانْ نامه*، ٤١، ١٠٢: قِمَار في أقصى الهند، أحد جوانبها يحاذي الصين؛ *آثار البلاد*، ١٠٥)، ذاع صيت أعواد بخورها في البلدان (مثلاً: ابن خرداذبه، ٦٨؛ *الصيدنة*، ٤٤٤، حيث قال البيروني: أصل العود، أشجار في غياض وراء الجبال... ؛ *بسط الأرض*، ٤٢). وقد مرَّ التعريف بالزَّابَج (جزيرة جاوة) والصَّنْف (تشمبا).

(٢) برغم المبالغة التي تتحدث عن ضخامة ريشة هذا الطائر في هذا الخبر والخبر الذي يليه، فإن المقصود هو ريشة طائر الرُّخ الذي كان يعيش في الجزر الواقعة قبالة سواحل أفريقيا الشرقية مثل مدغشقر وموريشيوس (انظر تعريفنا بهذا الطائر بهامش القصة رقم 10).

فقال لي: لا تعجب من هذا، حَدَّثَني بعض نواخذة الزَّابَج أنه رأى عند ملك سَرَبْزَة[a] أصل ريشة يسع[b] خمساً[c] وعشرين قربة ماء[1].

39. وحَدَّثَني أبو الحسن علي بن شاذان السِّيرافِيّ قال: إن بعض أهل شيراز حدثه أن بالقرب من شيراز قرية خرّبها الطائر؛ قال فقلت له كيف خرّبها؟ فقال: حُدِّثنا أن طائراً سقط في بعض الأيام على سطح دار في القرية فخسف

---

(١) سربزة: تكتب خطأً بشكل «سريرة» (انظر مثلاً: *بسط الأرض*، ٣٧؛ *تقويم البلدان*، ٢٢، ٣٦٨، ٣٧٤)، وكتبت مرة «شريرة» (*الروض المعطار*، ٣٤٠). عدّها أبو زيد السيرافي جزءاً من مملكة المَهْرَاج ملك الزَّابَج، فقال: «في مملكته جزيرة تعرف بِسَرَبْزَة، تكسيرها على ما يذكرون أربع مئة فرسخ» (*أخبار الصين والهند*، ٧٠؛ انظر أيضاً: *مروج الذهب*، ١/١٨٣)، وفي *التنبيه والإشراف* (ص٥٤): «مملكة المَهْرَاج ملك جزائر الزَّابَج وغيرها في البحر الصيني منها كله وسربزة». ونقل أبو الريحان البيروني عن أبي العباس العُمَانيّ قوله: «إذا فارقتَ سربزة نحو الصين تمر على شمال جزائر الزَّابَج» (*الصيدنة*، ٤٦٦؛ انظر أيضاً: *التفهيم*، ١٢٨). وينقل أبو الفداء عن *العزيزي* للحسن بن أحمد المهلبي قوله: «إن جزيرة سربزة إذا أقلع الإنسان منها طالباً بلاد الصين الشرقية واجهته في البحر جبال معترضة داخلة في البحر مسيرة عشرة أيام» (*تقويم البلدان*، ٢٢، ٣٧٥). ويقول ابن سعيد إن في جنوبيها وشرقيها «من جزائر الزَّابَج الصغار ما لا يُعدُّ كثرةً وأكثرها مسكونة بالسودان» (*بسط الأرض*، ٣٦ - ٣٧).

ينقل إسماعيل العربي قول السائح الصيني شوا ـ جوا ـ كوا، إنَّ سربزة هو الاسم الذي كان العرب يطلقونه على جزيرة سومطرة، وأضاف العربي أن فان ديرليث اعترف بهذه التسمية كما قبلها غبريل فيران (تعليقاته على *الجغرافيا* لابن سعيد، ٢٣١). حدَّد فان ديرليث موقع سربزة على طرف جزيرة لامري أي سومطرة الجنوبية الشرقية، وجعلها على نهر يحمل اسمها تنطبق أوصافه على نهر موزي أعظم أنهار سومطرة (نهر بالمبانغ) (تعليقات إبراهيم خوري على *أخبار الصين والهند*، ١٠٦).

قلت: نرجِّح أنها جزيرة سورابايا (Soerabaia (Surabaya الواقعة إلى الشمال الشرقي من جزيرة جاوة، قبالة جزيرة مادورا (عن موقعها على الخرائط المعاصرة، انظر: الخارطة رقم 17 من كتاب *The Times Atlas...*).

السطح وسقط إلى أسفل الدار فصاح من في الدار وهربوا منه، فاجتمع أهل القرية فدخلوا فوجدوا الطير قد ملأ الدار فلم يتمكنوا من أخذه، فأثخنوه بالضرب وكان ثقيلاً في الأصل فلا يمكنه النهوض.

ثُمَّ ذبحوه وقطعوه في الدار واقتسموا لحمه، وأخذ كل من كان في القرية من الرجال نحو سبعين رطلاً إلى نحو ذلك، وعزلوا من لحمه نحو مئة رطل لوكيل القرية وهو نازل في تلك الدار التي وقع فيها الطائر، وكان قد خرج عنها قبل ذلك بيوم مع ثلاثة نفر من أهلها ومضوا في حاجة لصاحب القرية[1]. وطبخ أهل القرية اللحم في بقية يومهم وأكلوه مع عيالهم وصبيانهم فأصبح جميعهم مرضى؛ ووافى الوكيل فعرف الصورة فتوقّى هو ومن كان معه أكل اللحم، فلما مضت أربعة أيام أو خمسة ماتوا حتى لم يبق منهم أحد ممن أكل لحم الطائر إلاّ مات. وفرغت القرية وخرج الوكيل عنها وخربت فلم يعد إليها أحد.

فَوَقَعَ لنا[2] أن هذا الطائر من طيور الهند، أكل حيواناً من ذوات السُّموم فاشتعل السُّم في جسمه فحمل نفسه في الجو وسار في ليل فوقع إلى هذه القرية وقد أُثخن ولم يبق فيه نهوض فسقط.

---

(١) الوصف الوارد هنا وفي الروايتين التاليتين ينطبق على الرُّخّ الذي كان يعيش في هذه المناطق فيما مضى (مدغشقر والمناطق المجاورة لها)؛ نقرأ في قصص السندباد من *ألف ليلة وليلة* (٩/٢، الليلتان ٥٤٣، ٥٤٤): في بعض الجزائر طير عظيم يقال له الرُّخّ يزقّ أولاده بالأفيال. وفي صور الأقاليم أو *هَفْتْ كِشْوَر*: «الرخ مخلوق ضخم وهو عدو للفيل والكركدن وحينما يجد فرصة ينشب مخالبه فيهما ثُمَّ يرفعهما إلى علوٍّ شاهق بحيث يؤدي شعاع حرارة الشمس إلى ذوبان الشحوم في جسديهما، وإلى إصابتهما بالعمى، ثُمَّ يهبط بهما بعد ذلك ويطعمهما إلى فراخه». يتحدَّث البيروني في *الجماهر* (ص ٣٤٠)، عن طائر يسكن البراري غير المسكونة وراء البحر بين الصين و بلاد الزّنج «يغتذي بالأفيلة المتوحشة التي لاتواتي للتأديب، يلتهمها كالتقاط الدِّيكَةِ حَبَّ الحنطة» (١).

(٢) فوقع لنا: فسَّرنا ذلك.

40. وقال: حَدَّثَني غير واحد من البحريين[a] أنه سمع أنَّ بسُفَالة الزَّنْج من الطيور ما يأخذ الفيلة بمنقاره أو مخالبه، ويحمله إلى الهواء، ثُمَّ يرمي به ليموت ويتكسر، ثُمَّ ينزل عليه ويأكله[b].

41. ولقد سمعت أن في بلاد الزَّنْج طائراً ينقض على السُّلَحْفَاة الكبيرة فيخطفها ويرفعها في الجو ويرمي بها[a] إلى الأرض على جبل أو صخرة، فتنكسر فيسقط عليها فيأكلها.

قال: فيأكل منها إذا وجد في النهار الخمسَ أو الستَّ[b]. وإن هذا الطائر إذا رأى الإنسان هرب منه وفرّ من صورته لبشاعة خلق الناس في تلك الأرض.

42. وقال: مما حَدَّثَني به إسماعيلويه الناخذاه، أن ببلاد الزَّنْج[a] معادن ذهب خَوّارة ـ وأكثر المعادن خوارة ـ وأن الرجال يحفرون فيها [لطلب] الذهب فربما نقبوا على أرض مجوفة[b] مثل أرض النمل فيخرج عليهم نمل مثل السنانير كثير[c] فيأكلونهم ويقطعونهم قطعاً[(١)].

وقال: وقد كان أحمد بن هلال أمير عُمَان حمل إلى المقتدر نملة سوداء في قفص حديد مشدودة بسلسلة في قَدر السَّنّوْر اللطيف؛ وماتت هذه النملة بناحية جبُّل[(٢)][d] فجُعلت في الصَّبِر وحملت إلى مدينة السلام صحيحةً ورآها المقتدر رحمه الله [وأهل بغداد. وذكروا أنهم كانوا يطعمونها كل يوم منوين شرائح غدوة وعشاء].

---

(١) الخوارة: الرخوة. في *طبائع الحيوان*: «في سفالة الهند في أقصاها أرض يقال لها زَمين زَر أي أرض الذهب، ينبت فيها الذهب كما ينبت الكَلأ، والتجار يقصدونها ولا يمكنهم أن يدخلوها إلا ليلاً لأن فيها من النمل الفرسان ما يبلغ عظمه عِظَمَ كلب ويأكل الناس وغيره من الحيوان» (الورقة ٢٠٩ ب).
وفي *المُعرِب* (الورقة ٤ب): إلى الغرب من مدينة النحاس (الأسطورية) نملٌ كبارٌ أمثالُ الجِمال.

(٢) جبُّل: بُليدة بين النُّعْمَانية وواسط في العراق (*معجم البلدان*، ٢/ ٢٣).

43. وقال: حَدَّثَني محمد بن بابشاد عمن حدثه ممن دخل الواق واق، أن هناك شجراً كباراً[a] له ورق مدوّر، ومنه ما هو إلى الطول قليلاً، يحمل حملاً مثالَ القَرْع إلاّ أنه أكبر منه وصورته صورة الناس، تحركه الرياح فيخرج [١٨٦] منه صوت[١]؛ وأن داخله منفوخ مثل حمل العُشَر[٢]، فإذا قطع عن الشجرة[b] خرج الريح منه من ساعته وصار مثل الجلد؛ وأن بعض البانانية رأى ذلك الحمل فتعشّق صورة من الصور فقطعها ليجامعها[c]، فلما قطعها خرج الريح منها [فبقيت كالغراب الميت]؛ وأن الصوت الذي يخرج منه هو على ضروب، فمنه ما يشبه الأنين، ومنه ما يشبه أصوات الغربان الضعيفة وغير ذلك[٣].

---

(١) في *عجائب الدنيا*: «في الهند شجرة تدعى الواق واق، ثمرتها كرأس الآدمي لها عينان وفم وحاجبان وأنف، ولبُها كلُبِّ ثمرة الجوز... وفي كل ليلة يصدر من أولها حتّى الهزيع الأخير منها، صوت: واق واق، كأنه تأوّهٌ من ألم» (ص٣٤٢)؛ وفي *نوادر التبادر* (ص٢١٠): «في الهند شجرة مجوّفة ثمارها على شكل الحيوانات ولها وجوهها، حين تهبّ عليها الريح يخرج من كل ثمرة صوت الحيوان الذي عليه شكل تلك الثمرة، ويُقال لتلك الشجرة الوقواق». وفي *برهان قاطع* (مادة واق): «شجرة تزهر في الصباح وتذبل في المساء، وقيل هي غابة قصب أو أشجار تنمو فيها تلك الشجرة التي يقال إن ثمرها هو على هيئة الإنسان وسائر الحيوان، وهو يتكلم».

(٢) العُشَر: نوع من اليتّوع له سكّر يميل إلى المرارة، يستعمله أطباء العراق في الأكحال الجالية للآثار التي في العيون من اندمال القروح، وهو دواء مسهل (*عمدة الطبيب*، ٢/٤٤٦؛ *الصيدنة*، ٤٢٧).

(٣) يقول غبريل فيران في مقالته المنشورة في *The Encyclopaedia of Islam* (مادة WAKWAK): «إن أقدم ذكر لأسطورة الواقواق الفاكهة التي على شكل شجرة ورد في كتاب تونغ تين الذي ألّفه المؤرخ الصيني تو ـ يو خلال السنوات ٧٦٦ ـ ٨٠١م (١٤٩ ـ ١٨٥هـ)، حيث ذُكر فيه أن أسيراً صينياً أُخذ إلى بلاد العرب، شاهد شجرة في وسط البحر وعلى أغصانها عددٌ كبير من الأطفال طول كل واحد ٦ ـ ٧ أباهيم، كانت أيديهم وأرجلهم ورؤوسهم ملتصقة بأغصان الأشجار، وعندما كانوا يقطفونهم من الأشجار يجفّون وتسودّ ألوانهم».

44. وذاكرت محمد بن بابشاد بأمر القردة وما يحكى عنها فحَدَّثَني بـالرّا[١] كثيراً من أحاديثهم[a] ؛ ومما حَدَّثَني به أن بنـواحي صنفين[٢] و بنـواحي لامـري وبنواحي قاقلة[b] [٣] قِرَدة في نهاية الكبر وأن لكل فرقة منها أميراً حشـمه أعظـم من حشم كـل واحـد منهـا[٤]، وأنهـم[d] ربمـا خرجـوا مـن الغيـاض [إلى الطـرق والمسـالك فتمضـي بـه السـفّارة[٥] فتمـنعهم السـبيل دون أن يعطـوهم شـيئاً مـن الحيوان مثل الغنم والبقر وغير ذلك من المأكولات.

وذكر محمد بن بابشاد أنه حدثه غير واحد أنـه اجتـاز علـى قطعـة منـهم مـع جماعة معه فمنعوه من المشي، فحاربوهم فمزقوا ثيابهم وتواثبوا عليهم من كل مكان وقطعوا قِرَبهم وهم في مفازات بعيدة عن الماء، فأعطوهم شيئاً فتركـوهم ولاماء لهم فمات أكثر القوم عطشاً ولم يصل منهم إلى الماء الثاني إلاّ القليل][٦].

---

(١) في الأصل: بالران (مدينة بين مراغة وزنجان). فرجّحنا أن الصواب هو: الرا، لأنها من بلاد الهند.

(٢) نرجح أن الكلمة هي صنفير التي قال البيروني إن معدن الرصاص يوجد بها (*الجماهر*، ٤١٧). وفي هامش مخطوطة *الصيدنة* (ص١٢٣ من المطبوعة): «هي عن جنوب سربزة» وقد ذكر البيروني أن بها نبات البَقّم. يقول أبو الخير الإشبيلي لمناسبة الحديث عن أحد أنواع اللوبيا: «رأيت هذا النوع عند رجل جلبها من جزيرة بالهند تسمى صنفون» (*عمدة الطبيب* ،١/٣٥٣)؛ وقد عرّفنا بلامري فيما مضى.

(٣) قاقلة: قرية من جزيرة جاوة وجزء منهـا، قـال ابـن بطوطـة الـذي زارهـا وكانـت لـه علاقـة صـداقة بسلطانها: «وصلنا إلى مل جاوة ... وقاقلة وقِمار من بعض بلادها» (٢/٧١١) .

(٤) عن وجود تنظيمات وزعماء للقرود، انظر: *مروج الذهب* ،١/٢٣٤؛ *طبائع الحيوان*، ١٠٩أ؛ *عجائب الدنيا* ، ٣٥٦؛ *صورة الأرض* للخوارزمي، ٣٩).

(٥) السفارة: المسافرون.

(٦) يحدث أحياناً أن تُكرّم هذه القردة وتُقدّس كما هو الحال لدى الهندوس، فتزداد دلالاً وشراسة، ففي الهند هناك طائفة عَبَدَة القردة ويتولّى زعامتها اليوم هاريش بهاد الذي يتولّى في نفـس الوقـت زعامـة أحـد الأحـزاب الـتي شُـكّلَ منهـا الائـتلاف الهندوسـي الـذي حكـم الهنـد خمـس سـنوات انتهـت في أيار ٢٠٠٤.

45. وحَدَّثَني أن رجلاً[a] من بانانية مركب كان له حدّثه، أنه خرج في سنة تسع[b] وثلاث مئة في مركب لبعض النواخذة إلى قاقلة[c]، فإنهم وصلوا بالسلامة ونجلوا أمتعتهم إلى البر وحملوا بعض الأمتعة إلى بلد بينه وبين البحر مسيرة سبعة أيام ونحوها، فلما حملوا تلك الأمتعة إلى ذلك البلد، رفعوا المركب في خور صغير على ثلاثة فراسخ من قاقلة[d] أو أربعة، وسدّوا بينه وبين البحر وجلّلوه وأقاموا الخشب حوله وسنّدوه.

قال هذا الباناني: وتركوا معي من الزاد حاجتي ومضوا بأسرهم إلى تلك المدينة، فأقاموا في بيعهم وشرائهم. فلما بعدوا عني جاءني عدة من القردة فطافوا حول المركب وراموا الصعود إليّ فرميتهم بالحجارة. ولاحقتِ المركبَ قردةٌ لها خلق وجثة فطردتها فلم تبرح، فسارقتني من بعض جوانب المركب فصعدت إليّ، فلما حصلت معي في المركب وكنت آكل، فطرحت لها كسرة من خبز فأكلته وأقامت عندي ساعة، ثُمَّ نزلت فغابت عن عيني إلى العَشِيِّ ثُمَّ وافت وفي فمها قِنْوٌ[1] صغير فيه نحو من عشرين موزة فصاحت، فتطلعت إليها فصعدت إلى المركب فوضعت الموز بين يديّ فأكلت. وأقامت عندي بعد ذلك فكانت تغيب وتجيء بالموز والفاكهة التي في تلك الغُوطة، وصارت تبيت معي في المركب وإلى جانبي، فشاقت نفسي إليها فوطئتها.

فلما مضت ثلاثة أشهر في مقامي في الموضع حتى ثقلت وجعلت تمشي متحاملة وأومأت[e] إلى بطنها، فعلمت أنها قد حملت مني، فورد عليّ من ذلك أمر عظيم وخفت الفضيحة متى جاء القوم وشاهدوا الأمر.

---

(١) القنو: العِذْق، وهو من الموز والنخل كالعنقود من العنب.

فحملني الحياء إلى أن أخذت دونيج[١] المركب وجعلتُ لها دَقَلاً وشراعاً وأنجراً[٢] وحملتُ فيه قِرَبَ ماء وزاداً[٣] وأخذت ثيابي وما كان معي وحملته[f] فيه وتعمَّدتُ وقتاً تغيب فيه القردة، فنزلتُ إلى الدونيج ودخلت البحر على غَرَرٍ عظيم وخطر شديد وتركتُ المركب ليس معه أحد.

فسرت نيفاً وعشرين زاماً[٤] ووقعت إلى جزيرة من جزائر أندمان[g] بعد أن كدت أن أتلف لعظيم ما مرّ بي من الشدة[٥].

---

(١) الدونيج: زورق طويل سريع الحركة.

(٢) الدقل: الصاري؛ الأنْجَر: المرساة.

(٣) الجملة في الأصل: وحملتُ لها دقلاً وشراعاً وأنجراً، وجعلتُ فيه قرب ماء وزاداً.

(٤) الزام: وحدة قياس تعادل مسيرة ٣ ساعات بالشراع (*الملاحة وعلوم البحار*، ٣٠، عن ابن ماجد).

(٥) أندمان (Andaman): وردت لدى الملاّح ابن ماجد بشكل أندمند (*النونية الكبرى*...، ١٩٠)، وهي ثلاث جزر في خليج البنغال أمام الشواطئ الماليزية بينهما بحر أندمان وربما كان المقصود من قوله: «أندمان الكبير» أكبرَ هذه الجزر. ولدى سليمان التاجر «جزيرتان أهلهما يأكلون الناس أحياء، وهم سود مفلفلو الشعور مناكير الوجوه والأعين طوال الأرجل، قَدَم أحدهم مثل الذراع، عراة، ليست لهم قوارب، ولو كانت لهم، لأكلوا كلَّ من مرَّ بهم» (*أخبار الصين والهند*، ٣٢ – ٣٣). نرجِّح أنها هي نفسها الجزيرة التي قال عنها ابن خرداذبه: «جزيرة فيها ناس مفلفلون يأكلون الناس أحياء يشرُحونهم تشريحاً» (ص٦٥). وقال ماركو بولو عنها (وسماها أنجمان): «جزيرة كبيرة جداً لا يحكمها ملك. والسكان وثنيون كما أنهم جنس بهيمي ومتوحش إلى أقصى حدٍّ. ولهم رؤوس وعيون وأسنان تشابه ما للفصيلة الكلبية. وهم قساة بفطرتهم، وكل من أمكنهم أن يضعوا عليه أيديهم من غير بني أمتهم صرعوه وأكلوه» (٣/٤٠). وينقل مارسدن عن المستر ر. هـ. كولبروك قوله: «يسكن جزر الأندمان جنس من الناس لعلهم أقل سكان العالم تمديناً فهم أقرب إلى الحالة الفطرية البحتة من أي جنس آخر نقرأ عنه. ولونهم أقتم ما يكون وقاماتهم قصيرة على وجه الجملة. كما أن هيئتهم غريبة غير مألوفة. وأطرافهم قبيحة التكوين هزيلة. وكروشهم بارزة، وهم كالأفريقيين رؤوسهم صوفية الشعر (مفلفلة) وشفاههم غليظة وأنوفهم فطساء. وهم يعيشون عراةً تماماً» (٣/١٨٠).

فأقمت في تلك الجزيرة أياماً حتى استرحت وأخذت من ماء عذب كان فيها ملءَ قربةٍ ومن ثمار فيها وموز، وأصلحت أمري ولم أكن رأيت بالجزيرة أحداً[h] إلاّ الصيادين في قوارب ينزلون بين الشجر.

فسرت في البحر لا أدري أين آخذ ولا أهتدي نحو سبعين زاماً، فوقعت في جزيرة يقال لها بَدفاركَلَه[1] فأقمت بها إلى أن خرجت منها إلى كَلَه. فخرجت منها فلقيت بعد ذاك بزمان صاحب ذلك المركب ـ وقوم راكبون فيه ـ فقلت ما شأنكم؟ فقالوا إنهم وردوا الموضع فوجدوا في المركب قردة قد وضعت قرداً أو قردين وجوههم تشبه وجوه بني آدم سواءً، وصدورهم لا شعر عليها، وأذنابهم فيها قصر عن أذناب القرود، وظنوا أن القردة حَمَلَتْ من ذاك الباناني وأنه هرب في الدونيج، لأنهم ما فقدوا شيئاً غير الدونيج وآلته؛ وأن بعضهم ظن أن القردة قتلته وأن الدونيج سرقه مجتازٌ أو صيادٌ، ورجموا الظنون، ورموا بالقردة وأولادها.

قال لي محمد بن بابشاد: وكان هذا الباناني الذي حَدَّثَني ضعيف البصر جداً، فسألته عن ذلك فقال: ضعف بصري لما كنت أجامع القردة، وزاد في ضعفه طول مكثي في البحر.

---

(١) بدفار كله: نرجِّح أنه ميناء دفاركا الوارد لدى المهري باسم الديو Diu: من موانئ الهند في إقليم غجرات على بحر العرب، مدينته مقدسة لدى الهنود. وهو «مرفأ بحري في جزيرة صغيرة تقع على امتداد الطرف الجنوبي من شبه جزيرة كاثياوار وتنطلق منه السفن إلى جميع أنحاء المحيط الهندي. اسمه قديماً دفاركا Dvaraka ودفار أندر براستا، وهو غير دفاركا الكمبودية» (إبراهيم خوري، *العلوم البحرية*، ٣ (١)/٥١٣). ومهما يكن فهي من الجزر التابعة لكله أو القريبة منها.

46. وحَدَّثَني بعض البحريين أن مركباً كان يمضي إلى صَنْف من عُمَان، فأصيب وسلم من أهله نحو عشرة في قارب، فحملتهم الرياح إلى جزيرة مجهولة لا يعرفونها، فرموا بنفوسهم على ساحلها وليس لهم حركة لشدة ما لحقهم في البحر من الأهوال والشدائد، فمكثوا هنالك بقية يومهم ثُمَّ قاموا فاحتالوا في القارب إلى أن جرّوه إلى الساحل وباتوا ليلتهم معه.

فلما أصبحوا مشوا في الجزيرة فوجدوا فيها ماءً عذباً كثيراً وغَوْطة[1] حسنة وأشجاراً متكاثفة فيها ثمارٌ شتى وموز كثير وقصب سكّر ولم يروا فيها إنسياً؛ فأكلوا مما اشتهوا من ثمار وشربوا من ذلك الماء، وانصرفوا إلى قاربهم فجرّوه إلى البرّ وسنّدوه بالخشب وجمعوا من ورق الموز والشجر فظلّلوه وأحكموا أمره وأصلحوا لأنفسهم إلى جانبه موضعاً يسترهم.فلما مضت عليهم خمسة أيام أو ستة، فإذا هم بقطعة قرود قد أقبلوا يقدمهم قرد كبير جسيم فوقفوا على القارب وفزع القوم منهم، فصعدوا إلى القارب فلم يعرضوا لهم وأقاموا رئيسهم بمكانه فجعل يفرّقهم يميناً وشمالاً كما يُنْفِذ العاملُ رجالَه، ثُمَّ عادوا إليه وجعل بعضهم يومئ إلى بعض كأنهم يتحدثون بشيء.

فلما أمسوا انصرفوا. فورد على القوم من هذا أمر عظيم وخافوا على نفوسهم أن تقتلهم القردة، وجعلوا يفكرون في الخلاص ليلَهم وهم بسوء حال، لا زاد معهم ولا يعرفون الطريق ولا يهتدون لحيلة. فلما أصبحوا جاءتهم قردةٌ فطافت بهم ثُمَّ مضت، ثُمَّ عادت ومعها قردةٌ أخرى فأومأتْ إليها بشيء.

---

(١) الغوطة: الموضع الكثير الماء والشجر.

قال هذا الرجل: فحُدِّثت عن واحد من القوم أنه قال: فتبعت القرود إلى أن دخلوا الغُوطة، ثُمَّ خفت على نفسي، فرجعت بعد مدة مضت من النهار إلى أصحابي، فسألوني فأخبرتهم.

فلما كان من غدٍ، عاودت القرود على تلك الصورة الأولى وجلس رئيسهم مع القارب ونفذهم في حوائجه على الرسم؛ فلما مضت ساعة من النهار جاء قردان مع كل واحد منهما قطع ذهب في نهاية الجودة فطرحوها بين يديه ثُمَّ عادوا بأجمعهم، فأوما[a] بعضهم إلى بعض فانصرفوا، ونزلنا إلى الأرض فأخذنا الذهب فإذا هو مثل العروق الغلاظ في نهاية الجودة، فورد علينا من السرور بذلك ما نسينا معه بعض ما نحن فيه.

فلما أصبحنا[b]، جاءت قردة طافت بنا ثُمَّ مضت، فمضيت خلفها إلى أن أمعنتْ في الغُوطة وخرجتْ من الغُوطة إلى صحراء أرضها رملة سوداء، فحفرت القردة بين يدي ووقفتْ، فجلستُ فحفرتُ في الموضع فوجدت عروق الذهب مشتبكة، فلم أزل أقلع إلى أن أدميت أصابعي وجمعت ما قلعته وحملته ورجعت، فضللت عن الطريق لاشتباك الشجر، فتعلقت ببعض ذلك الشجر وبتُّ فيه ليلتي[c].

فلما أصبحتُ وإذا بالقردة وقد وافت على الرَّسْم[1] فتركتها[d] حتى مضت ثُمَّ تبعتها إلى أن رأيت البحر وتعلقت بشجرة من الشجر فأقمت عليها إلى الليل. فلما انصرفت القرود نزلتُ فوافيت أصحابي فتلقّوني وهم يبكون وقالوا: إنّا لم نشكّ أنك قد تلفت. فحدثتهم[e] بالصورة وطرحتُ الذهبَ بين أيديهم.

---

(١) على الرسم: بحسب العادة.

فتجدّد لنا همٌّ وغمٌّ، لأنّا لمّا استغنينا لم نجد سبيلاً إلى حمل ذلك ولا طريقاً ولا معنا ما نحمله فيه، لأنّا متى ما حملناه في القارب لم نأمن الغرق لصغره، وإذا حملناه لم نهتدِ[f] الطريق. ثُمَّ أجمع رأينا على أن نمضي إلى تلك الصحراء ونقلع الذهب ونحمله إلى نحو قاربنا ونتوكل على الله عزّ وجلّ. فكنا نمضي في كل غدوة من الغدوات التي لم يجرِ للقرود أن يجيئونا[g] فيها فنقلع الذهب ونحمله. وحفرنا عند القارب ودفنّا الذهب[1].

---

(١) بغضّ النظر عن وجود عروق الذهب في باطن هذه الجزيرة، فمن المحتمل أن تكون هي جزيرة القرود التي قال الإدريسي إنها بالقرب من جزيرة الرانّج القريبة من بحر الزّنج (المياه الواقعة قبالة تنزانيا الحالية) وأضاف: «بالقرب من هذه الجزيرة، جزيرة القرود وبينهما نحوٌ من ثلاثة مجارٍ. ومنها إلى البر المتصل بأرض الحبشة (السواحل الشرقية للصومال الحالية) مجريان خفيفان، وهي جزيرة كبيرة فيها غياض وشجر وحواف منيعة وبها أنواع من الثمر. والقرود بهذه الجزيرة كثيرة تتوالد وتتزايد حتّى إنها قد تغلّبت على هذه الجزيرة لكثرتها، ويقال إن لها أميراً تنقاد إليه وتحمله على اعناقها وهو يحكم عليها حتّى لا يظلم بعضها بعضاً. وألوان هذه القرود إلى الحمرة وهي ذوات أذناب. ولها ذكاء وحدة فهم». لكن هذه القردة مؤذية وساديّة على خلاف تلك المسالمة التي لدى مؤلفنا، إذ يتابع الإدريسي كلامه عنها فيقول: «وإذا انكسر على جزيرتها مركب أو لجأ إليها أحد من الناس عذبته عذاباً بليغاً بالعض والرجم بالقاذورات، وتعبث بمن سقط في أيديها عبثاً عظيماً وربما أمضت (؟) عليه فقتلته مسرعاً، وربما أقلّت العبث به فمات بينها جوعاً. وقد يتحيل عليها أهل جزيرتي خرتان ومرتان فيصيدونها ويخرجونها إلى بلاد اليمن فتباع بالثّمن الكثير. وأهل اليمن أعني التجار منهم يتخذونها في حوانيتهم حرّاساً كالعبيد تحرس أمتعة مواليها فلا يقدر أحد على خداعها...» (١/٦٣). وقد حدّد ابن سعيد موقعها في هذا البحر بشكل أكثر تفصيلاً فقال: «جزيرة القرود وهي مدورة ذات جبال وشعار، وقد غلب عليها القرود؛ وأهل الجزيرة التي تقاربها يتحيّلون في صيدها ويحملونها إلى البلاد فيبيعونها. ودَور هذه الجزيرة نحو ٦٦٠ ميلاً وهي في ركن جزيرة كلوة الجنوبي الغربي بينها وبين البحر نحو مجريين» (*بسط الأرض*، ٣٦). وفي قصص السندباد من *ألف ليلة وليلة* (٢/ ١٢ـ ١٤، الليلتان ٥٤٦، ٥٤٧) أن الريح العاتية اضطرت سفينتهم للجوء إلى جبل القرود الذين جاؤوهم كالجراد المنتشر فهاجموهم ومزقوا الأشرعة وقطّعوا الحبال ثُمّ استولوا على السفينة التي اضطرّت للجوء إلى إحدى الجزائر هناك.

ولم نزل نقلع الذهب وننقله مدة سنة، إلى أن حصل لنا شيء عظيم لا يعرف مقداره، والقرود مع ذلك تجيء يوماً ويوماً لا تجيء، ونأكل من ثمار تلك الجزيرة ونشرب من ذلك الماء.

فبينما نحن على حالنا تلك إذ مرّ بنا مركب ماضٍ[h] إلى عُمَان أو سيراف قد أسقطته[i] الريح وركبه البحر، فرمى كلّ ما في جوفه ومات أكثر رجاله غرقاً وشَرَقاً من شدة ما ركبهم البحر. فلما رأوا الجزيرة وأرادوا الانحياز إليها فلم يقدروا فبقوا متماسكين؛ فلما أحدُّوا النظر إلى البرّ، رأونا ورأوا الدونيج فوق البرّ فتطارح لنا[1] رجلان من رجاله بحبل ولم يزالوا يعاندون[k][2]، فلما رأيناهم أخذنا حبالنا وتطارحنا إليهم في البحر، فتلقّيناهم وربطنا حبالنا مع حبالهم، فلما صارت الحبال في البرّ استوثق[l] بها، حتى مضى إلى المركب منا اثنان فأشرفوا على المركب، فإذا بالبانانية والرُّبّان وبعض التجار قد أشرفوا على الموت من شدة الهول وقد كلُّوا مما يمتحون[m] الماء[3] وهم حينئذ في وسط اللجة، فقالوا لأصحابنا اجذبونا إلى البر وخذوا ما بقي معنا من البضائع والمتاجر. وقال الرُّبّان: يا إخواننا! اجذبونا إلى البر وخذوا المركب لكم ملكاً.

فقال أصحابنا: ما نفعل شيئاً من ذلك بل نجذبكم إلى البر ولنا نصف هذا المركب ملكاً لنا. قالوا: حباً وكرامة. وتعاقدوا على ذلك وشهد بعضهم على بعض. ثُمَّ قال لهم أصحابنا: ولنا عليكم شرط. قالوا: وما هو؟

---

(١) فتطارح لنا رجلان: ألقيا بنفسيهما.

(٢) يعاندون: يصارعون الموج.

(٣) يمتحون الماء: يفرغونه من المركب.

قالوا: نشحن نصف هذا المركب لنا بملكنا لا يشاركنا فيه أحد ‹و› لا يعترضنا فيه أحد. قالوا: لكم ذلك.

قال أصحابنا: ونوسِقُهُ[1] وَسْقَ المتعارف لا يحيف عليه فيغرق.

قال أصحاب المركب: هذا شيء قد جرّبناه، وما تخلصنا منه إلى الآن، فنناشدكم اللهَ إلاّ ما خلّصتم حُشاشنا[2] من هذا الهول الذي نحن فيه.

فتطارح أصحابنا إلى البرّ، وجاءت القرود، فلما رأونا نجذب حبل المركب جذبوا معنا فجاءت المركب في أسرع وقت، فتطارحت رجال المركب إلى البر شوقاً إليها لما جرى عليهم، فلما أصبحنا عرّفناهم موضع الثمار فأكلوا وشربوا ورجعت لهم نفوسهم.

فجاءت القرود من الغد بالذهب على الرسم[3] فآثرناهم به على نفوسنا لأنّا اكتفينا منه، وقدّمنا المركب فأوسقنا وشحنّا نصف المركب ذهباً وأوسق الرّبّان النصف الثاني له ولتجّاره ذهباً. وتزودنا مما في الجزيرة وواتت الرياح وأسرينا فدخلنا بلد الهند، ونقل كل واحد منا نايبه[4] إلى موضعه، فكان الذي وقع لكل رجل منا ألف ألف مثقال ومئة ألف وأربعة وأربعون ألف مثقال. فلم نعد نركب بحراً إلى هَلُمَّ[5]. وهذا من أغرب ما سمعناه من نوادر القردة.

---

(١) نوسقه: نحمّله.

(٢) الحُشاش والحُشاشة: البقية من الروح في الإنسان المريض أو الجريح.

(٣) على الرسم: على العادة.

(٤) نايبه: نصيبه. يوجد في العامية العراقية اليوم الفعل ينوب، حين يقولون: اصنع المعروف الفلاني، ينوبك ثواب، أي يكون نصيبُك الثواب.

(٥) إلى هلمّ: إلى يومنا هذا.

47. وحَدَّثَني من رأى قرداً بقرية من قرى... [1] في منزل بعض التجار يخدمه، يكنس منزله ويفتح الباب لمن دخل ويغلقه خلفه، ويقد النار تحت القدر وينفخ فيه حتى يَقِد ويطاعمه الحطب، وينشّ الذبّان على المائدة، ويروّح على مولاه بالمروحة.

48. وحُدِّثتُ[a] أنه كان بظَفَار[2] من مدائن اليمن حدّاد عنده قرد ينفخ على الكور طول نهاره، أقام عنده كذلك نحو خمس سنين؛ وتردّدتُ إلى البلد سفراتٍ وأنا أبصره عنده[3].

49. وقال: حَدَّثَني من رأى قرداً بقرية من قرى اليمن يقال لها حَلْي[4]، بل هي بلدة من بلدانهم في منزل رجل، وأن الرجل اشترى لحماً وجاء به إلى منزله

---

(١) اسم القرية فراغ في الأصل، ويمكن الافتراض أنها إحدى قرى اليمن، حيث نقرأ في *ذكر الأقاليم*: «وجزيرة تقابل بلاد اليمن، وهي قرود كلها، وهي قرود لها أذناب، يتخذها أهل اليمن فتحرس حوانيتهم ويستعملونها في ضروب الأشغال، وتلك الجزيرة المعروفة بجزيرة القرود» (ص٣١٩).

(٢) ظفار: قال ياقوت: «هي مدينة باليمن في موضعين: إحداهما قرب صنعاء، وهي التي ينسب إليها الجزع الظفاري» (انظر أيضاً: *الأماكن*، ٦٤٨/٢؛ *الجماهر*، ٢٨٧). فأما ظفار المشهورة اليوم فليس إلا مدينة على ساحل بحر الهند بينها وبين مرباط خمسة فراسخ وهي من أعمال الشِّحْر وقريبة من صُحار بينها وبين مرباط» (انظر أيضاً: *البلدان* لابن الفقيه، ٩٢؛ *تقويم البلدان*، ٩٢).

(٣) في *حياة الحيوان الكبرى* (٢٠١/٢): إن أهل اليمن يعلّمون القردة القيام بحوائجهم حتّى إن القصاب والبقال يعلّم القرد حفظ الدكان حتّى يعود صاحبه. ويُعلّم السرقة فيسرق. وفي *طبائع الحيوان* (الورقة ١١٠ أ) أن أحد التجار الوافدين اشترى قردة في عدن كانت تخدمه في منزله. وفي *مروج الذهب*: «فأما اليمن فلا تناكر بين من دخله أن القرود منه في مواضع كثيرة لا تحصى عدداً لكثرتها ...» (٢٣٣/١).

(٤) في الأصل: حكي؛ ورجّحنا أنها حلي التي قال ياقوت (*معجم البلدان*، ٢/ ٣٢٧) إنها مدينة باليمن على ساحل البحر؛ وفي *تاريخ المستبصر* لابن المجاور «حَلْي ابن يعقوب» (ص٢٤٤).

وأوماً إلى القرد أن يحفظه، فجاءت حِدَأَةٌ فاستلبت اللحم[1]، فبقي القرد متحيراً. وكان في الدار نخلة، فصعد القرد إلى رأسها ورفع استه إلى السماء ودلّى رأسه إلى أسفل، فتصقّرت[2] عليه الحدأة وهي تقدّر أن استه من جنس اللحم الذي أخذته، فلما ضربته بكفيها استلبها القرد وخنقها ونزل إلى الدار، فوضعها تحت شيء وغطّاها.

وجاء صاحب المنزل فلم يجد اللحم فقام إلى القرد ليضربه، فعدا وصعد إلى رأس النخلة، وكشف الرجل الإناء فوجد تحته الحدأة ونتف ريشها حتى سلخه، ثُمَّ جعلها في جوف النار ولم يزل [١٧٨] يقلّبُ حتى شواها وأكلها.

50. وللقرود أحاديث طريفة.

[حُدِّث عن رجل من أهل أصبهان شيخ كثير الأسفار أنه سار إلى بغداد. قال: وكان معه رفقة كثيرة فيهم شاب كأنه بغل من الشباب والقوة. قال: وكان الشيخ يسهر على الأمتعة ولا ينام ـ إلاّ إذا سارَ الناسُ ـ على جَمَله.

قال: فبينما هو ساهر[a]، كالعادة إذ نظر إلى الشاب قد سرى إلى واحد جَمّال[3]، فلما جلس الشاب بظهره ليجتمع به[4]، استيقظ له الجمال وأحنى

---

(١) الحدأة: طائر من الجوارح، قال المعلوف إنه أبو الخطاف وأبو الصلت والشوحة (*معجم الحيوان*، ٢٧١). وفي *طبائع الحيوان*: «طائر حسن الطيران حاد المخلب والمنقار إلا أنه خسيس الطبع لئيم الأصل لا يصيد كما تصيد الجوارح... ويختلس الفراريج الصغار، وربّما اختلس اللحم من أيدي الناس وخصوصاً من الصبيان ويجرحهم، ولهذا سُمّي فاسقاً» (الورقة ١٤٩ ب).

(٢) تصقّرت عليه: انقضّت عليه انقضاضَ الصقر.

(٣) واحد جمّال: تعبير في العامية العراقية وغيرها يعني: أحد الجمّالين.

(٤) يجتمع به: كناية واضحة لا تخفى على اللبيب.

عليه فدرسه درس[b] الأديم[1]، فلم يعد الشاب إلى مكانه إلاّ وقد سكر من اللكم واللطم.

قال: فأقام الشاب بمقدار ما تراجعت إليه نفسه. ثُمَّ أخذ الجَمّالَ النومُ؛ ثُمَّ عاد إليه، قال: فاستيقظ له فأحنى عليه فداسه أشدَّ من الأولى، فعاد الشاب ولا حركة فيه. ثُمَّ استجمّ[c] وعاد إلى الجمَّال الثالثة، ففعل الجمَّال به في الثالثة ما عاد منه وهو يسحب نفسه على الأرض يميناً وشمالاً، وقال له الجمَّال: واللهِ إن عدتَ الرابعةَ لأبقرنَّ بطنك.

فلما رأيت ذلك مراراً وسمعت قول الجمَّال عذرته وشفقت على[e] مثل ذلك الشاب أن يُقتل. فدعوتُ الشاب إليَّ بعد أن تراجعتْ إليه نفسه، وقلت له: يا ولدي ما حملك على ما رأيت منك في هذه الليلة؟ ولقد سلمتَ من هذا الجمَّال، فاحذر أن يقتلك واصبر.

فقال: يا عم! واللهِ إن لي اليوم ليالي لا أستطيع الغمض من شدة الشَّبَق والنار، وكلما هاج بي الأمر، يهون عليَّ ما يُفعل بي لشدة ما أنا أقاسي.

قال: فقلت: يا ولدي! بقي بيننا وبين مدينة السلام[g] مرحلتان[h] وندخل إلى بلد تجد[i] فيها ما يسكّن هَيَجَانَكَ. قال: فلم أزل أُهَدِّيهِ وأشفق عليه بقية تلك المسافة.

فلما وصلنا إلى بغداد أخذني عليه خوف كثير[j] وقلت في نفسي: هذا غريب شابٌّ وما دخل بغداد قبلها، ربما يرى أحداً[k] من دور الخليفة والوزراء فيتهاجم[2] عليه كما فعل مع الجَمَّال فيهلك. فلزمته وأخذت منزلاً وضممته

(١) دَرَسَه درسَ الأديم: داسه دوسَ الجلد المدبوغ. كناية عن شدَّة ضرب الجمّال لهذا الشاب.

(٢) فيتهاجم: فيهجم.

إليَّ. ولم يكن لي شغل بعد أن حصل متاعنا في حرز، إلاّ أني أخذته ومضيت به إلى الدَّلاَّلة انظر له امرأة تسكن غمَّته. فما هو إلاّ أن عبرتُ به من بعض الأزقة وإذا به وقف وقال لي: يا عم! قد رأيت الساعة في تلك الطاقة [l] [1] وجهاً كالشمس ولا بُدَّ لي منه. فدافعته عن ذلك فقعد على الأرض وقال: هنا أموت.

فقلتُ في نفسي: قد حفظته في البَرِيَّة، ‹أ›أتركه هنا وبغداد دار البلايا؟ فلما لم أجد منه موافقة، نظرت في الحارة فإذا دار تُنذر أن أصحابها صعاليك، فقرعت الباب فكلمتني عجوز، فاستخبرت عن الدار التي نظر الشاب المرأة فيها فقالت: هذه دار الوزير فلان والتي بصرها الشابُّ زوجة الوزير.

قال: فقلت للشاب: يا ولدي! ارجع عن هذا الرأي وامضِ معي أعرض عليك بنات بغداد، فإنك ستجد أحسن مما رأيت. فقال: واللهِ لا برحتُ إلى أن أصل إلى هذه أو أُقتل.

قال فقالت العجوز للشاب: إن أوصلتك يا شاب، ما يكون لي عليك؟

فبادر الشاب وحلَّ كيساً كان على وسطه وعدَّ لها منه عشرة دنانير، ففرحت العجوز والتحَفَتْ[2] وخرجتْ فَدقَّتْ بابَ الوزير، ففتح لها الأستاذ[3] فدخلت ثُمَّ خرجت، فقالت له: قد قُضيت حاجتك بعد الشروط.

قال لها[m]: وما الشروط؟ قالت: خمسون مثقالاً لها، وخمسة لمقامها، وخمسة لأستاذ الدار. قال: فأنفذها ستين مثقالاً.

---

(١) الطاقة: النافذة.

(٢) التحفت: ألقت باللحاف على نفسها، اللحاف ما يُلتحَف به فوق اللباس كالعباءة وغيرها.

(٣) الأستاذ: الخادم أو الخصي.

قال: فدخلت ثُمَّ خرجت، فقالت: امضِ ادخلِ الحمّام وغيِّر هذه الحالة، فإذا كان بين صلاتي المغرب والعشاء قف عند بابي هذا حتى يؤذن لك.

قال: فدخل الشاب الحمام وأصلح شأنه، ووقف عند باب العجوز في الوقت. فخرج الأستاذ فأذن له، فدخل إلى مجلس قد كمل من كل شيء تكمل به المجالس، فقُدِّم له طعام حسن فأكل، ثُمَّ شراب فشرب، فلما انتهى مجلس الشراب قام وقامت[n] إلى السرير، فلما تجرّدا من ثيابهم، وإذا بقرد قد خرج من وراء ستر فضرب الشاب بأظافيره فجرحه في أفخاذه ومخاصيه وسالت دماؤه[o] من كل مكان؛ فأعاد ثيابه عليه وأثقله السكر فنام في ثيابه.

فلما أصبح نبهه الأستاذ وقال: قُمْ فاخرج قبل أن تتراءى الوجوه. فخرج حزيناً كئيباً.

ولما أصبح الشيخ قال أمضي إلى الشاب فأنظر ما صنع، لعله نال مناه وحسنت عقباه. فلما جاءه الشيخ وجده جالساً عند باب العجوز ورأسه في طوقه[1]، سأله عن أخباره فأعلمه بقضيته؛ فاستدعى العجوز وأعلمها القضية، فدخلت على المرأة وسألتها عن السبب في ذلك.

فقالت: اعلم أن نحن نسينا قرطاسَ قردِ صاحبِ الدارِ ورسمَه، وهو قرطاسُ حلوى فيه رطل؛ ولكن إن أحبَّ المعاودة فنحن نأخذ منه شطر ما أخذناه البارحة.قال: فأعطاها ثلاثين ديناراً.

فقيل له: إذا أتيت الليلة في الوقت المعلوم، احمل معك قرطاساً فيه رطل من الحلوى[p] لقرد صاحب الدار.

---

(١) رأسه في طوقه: مطرق برأسه بحيث يلامس حَنَكُهُ مقدَّمَ صدره.

قال: فأخذ معه قراطيس فأذن له فدخل، وقُدِّم الطعام فأكل والشراب فشرب، فلما انحرف إلى المرأة وثب القرد إليه فرمى بقرطاسٍ فأخذه القرد ورجع إلى مكانه، فقضى الشاب حاجته.

ثُمَّ أراد الشاب المعاودة، فخرج له القرد فرمى له بقرطاسٍ ثانٍ فرجع إلى مكانه، وكذلك دفع له عدة دفوع. فلما تعب الشاب وأثقله السكر خرج إليه القرد وأنبهه، وصار القرد يقبض على الشاب ويجذبه إلى المرأة ويجعل القرد إصبع نفسه في كف نفسه.

المعنى في هذا الحديث أن مصانعة الخدم تقضي الحوائج على رغم أنف الموالي. عنى القردُ وهو يقول للشاب بالإشارة اعمل كذا. فلم يدع الشاب ينام مما يحثّه على الفعل بالمرأة إلى الصباح، فخرج الشاب ومضى لسبيله].

51. قال[a]: ومن أحاديث البحريين والنواخذة ما يحكى عن مافَنَّا[b] الربّان وأصله من نَجَيَرَم[c] وكان ببعض قراها[d] يرعى الغنم، ثُمَّ صار صياداً، ثُمَّ صار أحد بانانية[e] مركب يختلف إلى الهند، ثُمَّ تحول إلى مركب صيني ثُمَّ صار بعد ذلك رباناً. وله في البحر طرائف واستخرج إلى الصين سبع طرق ولم يكن يُسلك قبله إلى الصين إلاّ من باب واحد[f].

ومما يُحكى عنه ولم أرَ أحداً من البحريين يدفعه مع طرفته وعظمته فإنه كالمستحيل عندي، أنه كان يخرج من سِيراف يريد الصين فانكسر مركبه ولم يسلم أحد منه سواه، فإنه جلس في مِطْياله[1] وأخذ معه قِربة، فمكث في البحر أياماً.

---

(١) المطيال: رجّحنا بهامش الخبر 20 أن يكون القُفّة.

فحُكيَ عن شهرياري الرُّبان ــ وكان أحد ربانية الصين ــ أنه قال: كنت أمضي من سيراف إلى الصين، فلما صرت بين الصَّنْف والصين بالقرب من صندل فولات[1](&) ــ وهو بحر صنجي وهو بحر الصين[2] ــ وقفت الريح فلم تتحرك وسكن البحر، فطرحنا الأناجر وأقمنا بمكاننا يومين.

---

(١) صندل فولات أو صندر فولات: يرى سوفاجيه أنها تحريف تشان بولاو أي جزيرة تشان (تشامبا) مقلوبة التركيب، ومنها صندر فولات. وهذه الجزيرة جبل ارتفاعه ٥١٨ متراً وفيها مراسٍ وماء عذب وتشاهد من بعيد في الصحو (إبراهيم خوري، تعليقات على *أخبار الصين والهند*، ١١٥).

قلتُ: لا شك في أن الصَّنْف هي تشمبا (أو تشامبا) (أنَّام) وهي جزء من سواحل فيتنام الحالية. فالقول إن صندر فولات يشكل جزءاً من تشمبا لا يثبت في مواجهة النصوص المتوفرة التي تقول إن المسافرين بعد أن يغادروا الصَّنْف (تشمبا) يتجهون إلى صندر فولات.نقرأ في *أخبار الصين والهند*: «فإذا استعذبوا منها (تزوّدوا بالماء العذب من الصَّنْف)، خَطَفوا إلى موضع يقال له صندر فولات وهي جزيرة في البحر والمسافة إليها عشرة أيام، وفيها ماء عذب. ثُمَّ تخطف المراكب إلى بحر يقال له صنجي ثُمَّ إلى أبواب الصين وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة تمرُّ فيها المراكب» (ص ٣٨؛ نقله منه ابن الفقيه في *البلدان*، ٧٢، ٦٨). قال الإدريسي: «الرياح بها عاصفة وهي باب من أبواب الصين ومنها يركب إلى مدينة خانفو أربعة أيام» (*نزهة المشتاق*، ١/٨٩). ويعتقد فيران أنها « هاينان Hainan الحالية (جزيرة صينية في خليج تونكين)، ويرى أن المضيق بين هذه الجزيرة وساحل كوانغ تونغ Kwang – tung هو أول باب من أبواب الصين المؤدية إلى خانفو» (*العرب والملاحة*، ٣٢٠).

(٢) بحر الصين: قال عنه اليعقوبي في *تاريخه*: «ويقال له أيضاً كنجلي، وهو بحر الصين، وإنما يُسار فيه بريح الجنوب حتّى يصيروا إلى بحر عذب عليه المسالح والعمران حتّى ينتهوا إلى مدينة خانفو» (١/١٨٢)؛ وفي *مروج الذهب*: «بحر الصين وهو بحر صنخي ليس بعده بحر... إن أقاصي بحر الصين تتصل ببلاد السيلى (شبه جزيرة كوريا الحالية كما يعتقد دي خويه) » (١/١٧٧، ١٨٤، ٢/١١٢). يقول حوراني: «إن فيران كتبه بشكل صنخي مصححاً اسمه المعروف في المصادر العربية ويرجعه إلى Tchang – hai وهي بالصينية البحر العظيم، وهو الجزء الواقع بين جزيرة هاينان والمضايق التي بين فرموزا (تايوان) وبرّ الصين» (*العرب والملاحة*، ٣٢٣). وفي *بسط الأرض*: «جزائر السيلى، وهي مثل الجزائر الخالدات في البحر المحيط وليس خلفها عمارة، ولكن هذه معمورة فيها خصب وخيرات، وأخيرها للمشرق جزيرة صنجي التي بها الأصنام المشيرة أن لا مسلك خلفي» (ص ٤٣).

فلما كان في اليوم الثالث رأينا شيئاً بالبُعد في البحر، فطرحتُ الدونيج في البحر وأنفذت فيه أربعة من البانانية[h] وقلت: اقصدوا ذلك السواد فانظروا ما هو. فمضوا وعادوا فقلنا: ما ذلك الشيء؟ فقالوا: مافَنّا[i] الرُّبان في مطيال معه قربة ماء. قلت لهم: فلِمَ لم تحملوه؟ فقالوا: قد اجتهدنا به، فقال: لا أصعد إلى المركب إلاّ بشريطة أن أكون الرُّبان وأدبّر المركب وآخذ أجرتي بنحو قيمة ألف دينار متاعاً بشَرْي سيراف[1] وإلاّ لم أصعد.

فلما سمعنا هذا الكلام خبثت نفوسنا[2] ونزلتُ وجماعة[j] من المركب وصرنا إليه وهو في البحر تضربه الأمواج، فسلمنا عليه وضرعنا إليه في الصعود، فقال: حالكم أقبح من حالي وأنا إلى السلامة أقرب منكم، فإن دفعتم[k] إليّ بقيمة ألف دينار متاعاً بشري سيراف ورددتم إليّ أمر المركب صعدتُ. فقلنا: هذا مركب فيه أمتعة وأموال [١٨٨] عظيمة لخلق من الناس، ولا يضرنا أن نعرف ما عند مافنّا من الرأي بألف دينار نبسطها على سائر أمتعة المركب.

فضممنا[3] له ألف دينار وصعد والقربة والدونيج معه إلى المركب. فلما حصل فيه قال: سلموا متاعاً بألف دينارٍ فسلّمنا[ه] إليه. فلما أحرزه قال للربان: اجلس ناحية؛ فتباعد ذلك عن موضعه، وقال هو: ينبغي أن تأخذوا في أمركم ما دام عليكم مهلة. قلنا: في ماذا؟ قال: ارموا الثقل كله في البحر، فرمينا نحو نصف حمولة المركب أو أكثر؛ ثُمَّ قال: اقطعوا الدَّقَل الأكبر فقطعناه ورميناه إلى البحر، فلما أصبح قال: ارفعوا الأناجر واتركوا المركب يسير لنفسه، ففعلنا.

---

(١) بشري سيراف: بنفس القيمة التي يُشترى بها في سيراف.

(٢) خبثت نفوسنا: استولت عليها الشيطنة والشطارة والتطلّع لمعرفة ما يخفيه مافنّا.

(٣) لعلّ الصواب: فَضَمِنّا له.

فقال: اقطعوا الأنْجَر الكبير، فقطعناه ويقي في البحر. ثُمَّ قال: ارموا بالأنْجَر الفلاني، فلم يزل كذلك حتى رمينا في البحر بستة أناجر. فلما كان في اليوم الثالث ارتفعت سحابة مثل المنارة ثُمَّ تفرقت في البحر وأخذنا الخِبّ، فلولا أنا كنا قد رمينا بالحمولة وقطعنا الدَّقَل لكنّا قد غرقنا من أول موجة أخذتنا. فلم يزل الخِبّ ثلاثة أيام بلياليها والمركب تصعد وتنزل بغير أنجر ولا شراع ولا ندري كيف نمضي[1]. فلما كان في اليوم الرابع أخذت الريح في السكون وتمّ سكونها وصلح أمر المركب آخر النهار. وأصبحنا في اليوم الخامس والبحر طيب والريح مستقيمة؛ فأصلحنا دقلاً ورفعنا الشراع وسرنا وسلّم الله ووردنا الصين. فأقمنا إلى أن بعنا واشترينا وأصلحنا المركب ودقلاً بدل الدقل الذي رمينا به في البحر.

وخرجنا من الصين نريد سيراف وقاربنا الموضع الذي قدرنا أنّا رأينا فيه مافَنًّا[l]، اجتزنا بجزيرة وجبال، فقال مافَنًّا[m]: اطرحوا الأناجر ففعلنا.

ثُمَّ طرح القارب إلى البحر ونزل فيه خمسة عشر رجلاً وقال لهم: امضوا إلى ذلك الموضع - وأومأ إلى بعض الجبال - فهاتوا الأنْجَر الفلاني، فعجبنا من ذلك ولم تَجُزْ مخالفته[n] فمضوا وعادوا والأنْجَر معهم.

---

(١) يتحدّث الملاّح البريطاني تيم سفرن الذي أبحر مع طاقم سفينته من عمان إلى الصين على ظهر سفينة شراعية أواخر سنة ١٩٨٠، عن إحدى هذه العواصف التي صاحبتها الأمواج والأمطار التي تساقطت عمودياً على السفينة فكانت حصيلة ما حدث خلال دقائق: «أخذت ألياف الخشب تئن تحت ضغط الرياح، وانحنى الدقل تماماً على جانبه. وعندما تبين أنه لن يتحمل أكثر من ذلك تمزّق شراع السارية في مقدمة السفينة بصوت مرتفع وكأنه طلقة بندقية، وتحطمت الساري إلى أجزاء رفيعة في لحظة. ولم يتبق من الشراع سوى شريط رفيع من قماش الشراع... ثُمَّ تمزّق شراع سارية الجزء الخلفي من السفينة... وقد كان شراعاً قوياً صلباً كأنه من الحديد ومنذ دقيقتين يواجه العاصفة، وقد أصبح الآن قصاصات من القماش تُضرب وتُصفع في هياج» (*رحلة السندباد*، ٢٧٨ - ٢٧٩؛ *في أعقاب السندباد*، ٤٠ - ٤٢).

ثُمَّ قال لهم: امضوا إلى ذلك الجبل ـ وأومأ إليه ـ فهاتوا الأَنْجَر الفلاني؛ فمضوا وعادوا [١٨٩] والأَنْجَر معهم. ثُمَّ قال: ارفعوا الشراع، فرفعناه وسرنا.

قلنا: كيف عرفت أمر هذه الأناجر؟

فقال: نعم، لقيتكم في هذا الموضع في رأس الثلاثين[o] وهو وقت نقصان الماء[p] حتى ينكشف هذا الجبل، وقد نقص الماء صدراً صالحاً وكنتم في وسط الجبال والجزيرة، فأمرتكم بطرح الثقل[١] من الأمتعة ففعلتم؛ ثُمَّ فكرت في أمر الأناجر فإذا حاجتنا إليها إلى الصين غير ماسّة، ولم يبق في المركب من الأمتعة إلاّ ما قيمته – دون الأناجر منه – أضعاف قيمة الأناجر، فرميت بها لذلك، لأنه لم يكن بدٌّ من تخفيف المركب، فحصلت هذه الأناجر الثلاثة فوق الجبال والجزيرة ظاهرة، وحصلت الثلاثة الأخرى تحت الماء.

فقلنا له: وكيف استدللت على هذا النقصان والخِبّ؟[٢]

فقال[q]: نعم، قد جزت هذا البحر قبلُ وجرَّبته في مسيري فوجدته في رأس كل ثلاثين[r] ينقص نقصاناً عظيماً حتى تنكشف هذه الجبال، ويكون في وقت النقصان خِبٌّ عظيم أصله من قعر البحر، فانكسر المركب الذي كنت فيه على رأس جبل من هذه الجبال، لأن النقصان لحقني وأنا أسير [عليه] ليلاً، وسلمتُ

---

(١) نرجِّح يمكن أن تكون الكلمة هي: الثقيل.

(٢) يوجد أكثر من ٢٠٠ من الجزر المرجانية والحيود البحرية والمخاضات والجزر الرملية التي تشكل ما يعرف بجزر بحر الصين الجنوبي (*جغرافيا الصين*، ٨). كما «أن الأعاصير تهب على الصين أكثر من أي بلد آخر، وتتعرض الصين من مايو إلى ديسمبر للأعاصير التي هبت في الثلاثين سنة الماضية على الصين أكثر من أي بلد آخر، بمعدل سبعة أعاصير في كل سنة» (نفس المصدر، ٦٢). فإذا جمعنا هذين العاملين إلى بعضهما فإن الإبحار في هذا البحر يشكل خطورة بالغة.

في ذلك المطيال. ولو بقيتم في موضعكم لما بقيتم في البحر أكثر من ساعة إن لم يجنح مركبكم قبل الخِبّ، لأنكم كنتم على الجزيرة؛ وإن جنحتم عليها انكسرتم.

ومافنًّا هذا له طرائف وأخبار في البحر، وهذا من أطرف أخباره وأخبار حُذّاق ربّانية البحر[1].

52. وقد كان محمد بن بابشاد حدّثني، أنه كان يمضي في مركبه من فَنْصُور[a] يريد عُمَان، فلما قطع بحر هَرْكَنْد[2] ودخل في بحر الهند وعزم على أن

---

(١) في *تحديد نهايات الأماكن* (ص١٣ – ١٤) قصة شبيهة بقصتنا أعلاه، وهي: «كان بالقرب من زماننا في ربابنة سيراف دليل عالم بطرق البحر يُسمّى مافنًّا، استأجره بعض النواخذة بمال كثير من الصين، فلما قرُب من أبوابها، وهي الأودية التي تنصبُّ إلى البحر بين شواهقها، حالت الريح بينه وبين ولوج الباب المفضي إلى خانفو وهو أول بلاد الصين، وكان مقصده، فتعلّق مافنًّا بباب آخر مؤدٍّ إلى غير بلد خانفو، وسأله صاحب المركب أن يردّه إلى البحر ويقصِدَ به باب خانفو فحذّره مافنًّا حوادث البحر بعد أن سلِم منها، فأبى الناخذاه، وأعيد المركب إلى اللجة، فعصفت عليه ريح أهلكته، وطرَحَ مافنًّا نفسه على خشبة طفت به، وبقي في البحر ثلاثة أيام بلياليها إلى أن اجتاز به من الرائح إلى الصين سُنبوق قد ضلّ طريقه، فلوّح لهم مافنًّا واحتملوه لشُهرته، واستبشروا بمكانه. وسألوه الإرشاد فطلب عليه أجرةً، وغضِب صاحب السنبوق وقال له: أما ينفعك تخليصنا روحك حتّى تطالبنا بالأجرة وأنت شريكنا في السلامة؟ فقال: ما كنتُ لأرشدكم أو تعطوني مالاً، فالموت عندي ودخولي الصين بهذه الحالة سواء. قال صاحب السنبوق: لئن لم ترشدني لأعيدنّك إلى حالك. قال: شأنك. فقذفوه على تلك الخشبة وساروا واستمرّ بهم التحيُّر حتّى هلكوا.

وبقي مافنًّا في البحر يومين، حتّى اجتاز به سُنبوق آخر ضالّ، فاستخبروه خبره وعزمه فيهم حتّى أخبر بأمره، فقال: طلبُ الأجرة وإلاّ فردُّوني إلى اللجة؛ فأعطوه مئتي مثقال ذهباً، وأخذ سكّان المركب بيده. وطرح البرد وهو رصاصة ثقيلة يُسبر بها مقدار العُمق ونتوء الجبل من القعر. واستخرج طينَ القَرار وشمّه حتّى تحقق الموضعَ، وعَدَلَ بهم إلى الطريق فسَلِمَ».

(٢) بحر هَرْكَنْد: خليج البنغال الحالي.

يعبر إلى بلاد الغرب، قال له ربّان مركبه: أي مرسى[b] تعلق من مراسي الغرب؟ قال: أعلق ريْسُوت أو فوقها بفرسخ أو دونها بفرسخ. فقال له الربّان[c]: نحن نعلق المرسى[d] الفلاني دون ريْسُوت بخمسين فرسخاً[1]. فتخاطروا[e] في عشرين ديناراً يتصدقون بها[2] وبين الموضع الذي هم فيه وبين ريْسُوت على الأقل أربع مئة فرسخ. فساروا خمسة عشر يوماً إلى أن قدروا أنهم قد قاربوا جبال الغرب وأخذوا يتكلمون فيما كانوا تخاطروا فيه إلى الليل. وساروا إلى غد ذلك اليوم، فلما أصبحوا صعدوا بالدَّيْدَبَان[f] إلى رأس الدَّقَل فلم يرَ شيئاً[3]، فنزلوا.

فلما صلّوا العصر قال محمد بن بابشاد: أرى[g] آثار الجبال. فقالوا: ما نرى شيئاً، فقال الدَّيْدَبَان[h]: أصعدُ. فلما صعد الدَّيْدَبَان[i] واستقر على رأس الدَّقَل صاح: رحمَ اللهُ مَن كبَّرَ، فكبروا واستبشروا وبكوا من شدة الفرح والسرور، وساروا طول ليلتهم إلى قرب السَّحَر.

فلما كاد الفجر أن يطلع، قال محمد بن بابشاد: اطرحوا الأنْجَر، فطرحوه وحطّوا الشراع؛ وقال للربان: أين نحن؟ فقال[k]: في موضع كذا ـ وذكر موضعاً بينه وبين ريْسُوت أربعون[m] فرسخاً ـ فقال له محمد بن بابشاد: نحن على ريْسُوت سواءً، أما أن تكون[n] بين أيدينا برمية سهم أو بحذاء المركب أو دوننا[o] برمية سهم. فأصبحوا وهم على ريْسُوت سواء.

---

(1) ريْسُوت: ميناء على بحر عدن، قال الهمْداني: «هو موئل كالقلعة بل قلعة مبنية بنياناً على جبل والبحر محيط بها إلا من جانب واحد فالبرّ؛ فمن أراد عدن فطريقه عليها... وبين الطريق الذي يفرق إليها وإلى الطريق المسلوك إلى عُمَان مقدار ميل» (*صفة جزيرة العرب*، ٩١).

(2) تخاطروا: تراهنوا.

(3) الديدبان: الربيئة (*أساس البلاغة*: ددب). والكلمة فارسية تعني مَن يوضع في مكان ليقوم بالمراقبة.

53. وقال[a]: قال لي محمد بن بابشاد: إذا كنت في البحر وأردت[b] أن تعرف هل أنت بقرب أرض أو جبل، فانظر بعد العصر إذا انحطّت الشمس فإنها إذا انحطّت وكان في وجهها جبل أو جزيرة تبيّنت.

54. وقال لي بعض البحريين: إن بين خانفو[a]، وهي قصبة الصين الأصغر[(١)]؛ وبين خُمْدان[(٢)]، وهي قصبة الصين الأكبر، وهي حدُّ الصينين[b]

---

(١) خانفو: كانتون الحالية وهي ميناء مهم في جنوب شرقي الصين، يرى مارسدن أنّ اسم كانتون هو «كان تسو» أو «كوانغ تشيو» أو «كانتون». وصفها سليمان التاجر بأنها «مجمع تجارات العرب وأهل الصين» (ص٣٤)، قال عنها السِّيرافِيّ: «هي المدينة التي يقصدها تجار العرب، وبينها وبين البحر مسيرة أيام يسيرة وهي على وادٍ عظيم وماء عذب» (ص٦٠؛ انظر أيضاً: *الروض المعطار*، ٢١٠ – ٢١١). وقال عنها ابن خرداذبه (ص٦٩) إنها المرقى الأكبر وإن المسافة بينها وبين لوقين (هانوي الحالية) ٤ أيام في البحر و٢٠ يوماً في البر (نفس المعلومة في *نزهة المشتاق*، ٨٤/١). وفي *طبائع الحيوان*: «يركب إليها الفرس من سيراف والعرب من البصرة» (١٦ ب). وفي *مروج الذهب*: «مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة أو نحوها، يصبُّ إلى بحر الصين. وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة. تدخل هذا النهر سفن البحر (الصواب ما في ط داغر: التجّار) الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعُمَان ومدن الهند وجزائر الزّابَج والصّنْف وغيرها من الممالك بالأمتعة والجهاز ... وفيها (في خانفو) من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين» (١٦٣/١ـ ١٦٤). يرى بارتولد (*دائرة المعارف الإسلامية*، خانفو) أن اسمها اليوم هو هوانغ ـ جو ـ فو.

(٢) خمدان: فيما وصلنا من نصوص فإن أبا زيد السيرافي هو أول من ذكرها وقال إنها بلد الملك الكبير، وإن بينها وبين خانفو مسير شهرين، وهي واسعة وأهلها كثيرون وهي مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع طويل عريض، فالملك ووزيره وجنوده وقاضي القضاة وخصيان الملك في الشق الأيمن منه وما يلي المشرق؛ وفي الشق الأيسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة والأسواق (*أخبار الصين والهند*، ٦١، ٦٥، ٦٩، ٧٦؛ انظر أيضاً: *مروج الذهب*، ١٦١/١). ويرى كراتشكوفسكي أنّها سينانفو Sinanfu (ص١٦٠). ويعتقد مينورسكي في هوامش ترجمته الإنكليزية لـ *حدود العالم* (ص٨٥) أنها تشان ـ آن ـ فو (chan – an – fu) التي دعيت فيما بعد باسم هيسي ـ آن ـ فو.

وبها بَغْبور[c] الأكبر[١]، نهراً[d] يجري جرياناً[e] شديداً بماء عذب وعرضه أكبر من عرض دجلة البصرة؛ وفي مواضع منه جبال المغناطيس[f]، وأنه لا مسير في ذلك النهر بمركب فيه حديد لئلا تجذبه الجبال المذكورة لقوّتها[٢]، وأن الفرسان الذين يسلكون تلك الجبال لا ينعلون دوابّهم[g] ولا يكون في سروجهم حديد، ورُكُبُهم ولُجُمُ خيلهم خشب[٣].

55. وقال: حَدَّثني ريّان من ريّانية البحر يقال له عمران[a] الأعرج، أنه خرج في مركب من عُمَان مع عدة مراكب إلى جُدّة في سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، فوقع علينا في بعض الأيام ريح شديدة فرمينا[b] ببعض الحمولة وتخلّف بعض المراكب وأصيب [١٩٠] البعض وسرنا.

---

(١) بغبور أو فغفور أو البغبوغ: تعني ابن السماء (*أخبار الصين والهند*، ٤٩؛ *مروج الذهب*، ١/١٦٥)، وهو ملك الصين بأجمعه (*غرر السير* للمرغني، ١١٩؛ *نزهة المشتاق*، ١/٨٤، ٢١١؛ *الروض المعطار*، ٧٥، ٢١١، ٣٦٩؛ *الآثار الباقية*، ١٠١)، وفي *زين الأخبار*: «في الصين ملوك كثر إلا أن أعظمهم فغفور» (ص ٥٧٤).

(٢) هذا هو نهر خمدان الذي يرى مينورسكي في تعليقاته على ترجمته الإنكليزية لـ *حدود العالم* (ص٧٠) أنه نهر هوانغ ـ هو، الذي هو النهر الأصفر من أنهار شمالي الصين.

(٣) يفسِّر البيروني ربطَ ألواح بعض السفن بألياف نباتية بقوله: «لأنه لا ينقطع ولا يبتلّ بالماء، ثُمَّ يُطلى بالنورة والشحم فلا يعمل فيها الماء المالح» (*الصيدنة*، ٦٠٠؛ *الجماهر*، ٣٨٤). لكن شريف يرى أن السبب هو عدم توفُّر الحديد في تلك المنطقة («الساحل الأفريقي...»، ٢/٥٧٣). وفي إحدى قصص *ألف ليلة وليلة* (ط الدكتور محسن مهدي، ١/١٧٩)، يحذِّر ريان السفينة المسافرين منه بقوله: «في غدٍ نصل إلى جبل من حجر أسود وه معدن يسمى حجر المغنيطس، وتجرُّنا الماوات غصباً إلى جهته، فتنفتح المراكب ويروح كل مسمار فيها إلى الجبل ويلتصق فيه». وتحدَّثت حكايات شعبية عن جبل مغناطيسي قرب كلكتا يجتذب المسامير الحديدية من المراكب فتغرق (*معجم الفولكلور*، ١١٢).

فلما صرنا بين كَمَرَان وعَثَّر[c]، وقع بنا خِبٌّ عظيم وريح عظيمة هائلة مختلفة، فتقطعت الأناجر ولم نضبط المراسي وحملتنا الرياح، وكان معنا عدة مراكب من عدن وغُلافِقَة وعَثَّر وفيها جَلْبَة[d] جديدة حسنة من غُلافِقَة[1]، فرأيتها وقد طرحتها الريح والأمواج على جبل في البحر ونزلت الأمواج عنها فانقلبتْ، فلعهدي[e] بالأمتعة والناس يتساقطون إلى البحر من جوف الجلبة، وغرقت الجلبة فما سلم أحد من أهلها[2].

56. ومن طريف أخبار البحريين ما هو مشهور معروف ما حَدَّثَني إسماعيلويه عن مَرْدانشاه[a] أحدِ نواخذة بلاد الفِلْفِل[3] وغيرها وعاش سبعين

---

(١) الجلْبَة: «الجالبوت وكذلك الجَلْبوت: سفينة تسير بالشراع والمجذاف أيضاً، سريعة الحركة ذات مقدمة مستقيمة، تصل حمولتها إلى حوالي ٧٠ طناً» (*معجم الغوص*...، ١١١). وقد تدوولت بشكلها هذا في عصر الخيمي حيث ورد في ختام خبر *بعثة حسن بن أحمد الخيمي إلى الحبشة*: «فتوجّهت الجِلاّب قاطعة عرض البحر... وعزم ربان الجلبة على السفر». وفي *السلوة* (ص ٣١، ٣٩): جلائب.

(٢) كمران: من جزر اليمن وتقع قبالة الصليف يقول أبو الفداء إنها قرية من برِّ زبيد (ص١٥٥). وعن غلافقة قال المسعودي: «مدينة غلافقة وهي ساحل زبيد من أرض اليمن» (*مروج الذهب*، ١/١٢٧، ٢/١٩٩)، وتُدعى اليوم غليفقة. وفي *الصيدنة*: «زبيد: بلدة طيبة الهواء كثيرة النعمة تبعد من الساحل ثلاث مراحل، وفرضتها غلافقة، وزيلع فرضة الحبشة (إريتريا الحاليّة) على طريق غلافقة» (ص٦١٦). عثّر أوعَثَر ميناء باليمن «جليل كثير الموج» (*صفة جزيرة العرب*، ٩٢).

(٣) بلاد الفِلْفِل: بلاد المُلَيْبار أو المالابار، أو المنيبار، يقول أبو الفداء: «المنيبار هي بلاد الفِلْفِل، والفِلْفِل في شجرة عناقيده كعناقيد الدخن» (ص٣٥٤؛ انظر أيضاً: *بسط الأرض*، ٣٨، ٥٤؛ *رحلة ابن بطوطة*، ٢/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠). وهي مقاطعة كيرالا الهندية على الساحل الغربي للهند. والفِلْفِل أو الدار فلفل (*الصيدنة*، ٤٦٥؛ *عمدة الطبيب*، ٢/٤٧٥): حبّات سود صلبة تستخدم في التوابل. ذكرها الإدريسي باسم مُلي (١/١٨٢). وفي *حدود العالم*: «مَلَي: أربع مدن على ساحل البحر تدعى جميعها ملى، ملكها بَلْهَرَى» (ص٨٢). ويبدو أن أحد أسباب شهرة فِلْفِلها نوع منه أبيض يستخدم في صناعة الترياق الفاروقي (مزيج مقاوم للسموم) وبعض المعاجين (*آثار وأحياء*، ٨١).

سنة ولا ولد له، ثمَّ وُلد له ولَدٌ فسمَّاه المرزبان، فاشتدت محبته له وسروره؛ كان يحمله معه في المركب مع والدته.

فإنه في بعض الأيام يسير في بحر باريان[1] يريد كولم[2] إذ التمس من والدة المرزبان وهي في البلنج[b] ابنَهُ، فدفعته إليه فلم يزل يرقّصه ويقلّبه[c] إلى وقت المغرب، ثمَّ اشتدت الريح واندقّ دقل القنو فدُهِشَ وأراد أن يدفع الصبي إلى أمه فسقط من يده في البحر، واشتدت الريح واشتغل بأمر المركب إلى صلاة الغداة.

فلما أسفر الصبح سكن البحر واستوى أمر المركب، وجلس فقال لأمّ الصبي: ناوليني المرزبان، فقالت: هو معك منذ أول الليل. فنتف لحيته ودقّ رأسه بالخشب وشاش[3] المركب.

فقال صاحب السُّكّان: اعلمْ أن السكّان ثقيل على يدي من أول الليل فانظروا فيه، فنظروا في سورة السكان مثل مسمار ليس يبرح. فهبط رجل وأصعد الصبي فإذا هو صحيح لم يصبه شيء، فدفعه إلى أمه فسقته لبناً فشرب وله من العمر خمسة عشر شهراً.

فقال لي إسماعيلويه: رأيتُ المرزبانَ هذا وقتَ نيَّفَ على السبعين سنة وقد تقدَّم إلى قاضي عُمَان في يوم واحد ثلاث عشرة[d] كرّة يحلّف النَّاسَ على أموالهم أيماناً كلّها كاذبة.

---

(١) بحر باريان: يقع قبالة شواطئ بلاد مليبار.

(٢) كولم: أو كولم مُلى، وهي جزء من بلاد مليبار وتدعى اليوم كويْلن Quilon: ميناء في الجنوب الغربي من الهند. وهي لدى ابن الفقيه (ص٦٧): كُولُومَلي. كانت مركزاً لجباية الضرائب على السفن المتجهة إلى الصين (*أخبار الصين والهند*، ٣٦).

(٣) شاش المركب: فزع وجنّ جنون مَن على ظهره. وما يزال هذا الفعل متداولاً بنفس المعنى في العراق.

وحَدَّثَني خلقٌ من الناس أنه لم يكن في ربانية البحر أظلم من المرزبان هذا، وأنه كان يعامل التجار في مركبه ما يُعامِل به أصحابُ الشروط[1].

57. وقال: حَدَّثَني غير واحد من البحريين[a] بأمر سعيد الفقير العَدَنيِّ، وكان رجلاً صالحاً من أهل عدن يَسِفُ[2] الخُوصَ[b] ويلزم مسجداً بها يصلي فيه سائر الصلاة[c]، وكان له ثلاثة بنين يعيشون أو بعضُهم مثلَ معاشه[d]؛ وأن بعض البحريين جَهَّزَ مركباً إلى كَلَه[3] وكان صديقاً لسعيد، فلما عزم على الخطوف قال له: أسألك أن تسألني حاجة وتعطيني بضاعة.

---

(١) أصحاب الشروط: كُتّاب الوثائق والمحاضر والسجلّات وما يشترطه المتعاقدون على بعضهم لدى تحرير العقود على وجه يصح به الاحتجاج، والعلم به يسمى علم الشروط (انظر عنه: *أبجد العلوم*، ٣٣٩؛ *المنتظم*، ١٠/١٣٠). وقد اشتُهِرَ أن مَن يكتبها «لم يخلُ من أن يَكذِب» (انظر: *سير أعلام النبلاء*، ١٠/٣٦٧). وفي *التدوين* عن أحد الفقهاء: «فقيه ماهر في كتابة الشروط والوثائق عارف بالحيل الفقهية المتعلقة بالمعاملات وحكومات القضاء» (١/٢٣٣).

(٢) يسف: ينسج، والخوص: ورق النخيل.

(٣) كَلَه أو كله بار، أو كَلاه بار (*مروج الذهب*، ١/١٧٧): ميناء ومدينة، قال حوراني: «لعلها في ولاية كيدا Kedah بالملايو الآن، نادى بهذا الرأي فالكثير مستنداً إلى أن كله كانت مشهورة بالرصاص القلعي وهو القصدير الذي تشتهر به الملايو الآن؛ لكن فيران يرى أنها كرا في سيام على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو» (*العرب والملاحة*، ٢١٣). وكانت تابعة لمملكة المَهَرَاج التي هي الزَّابَج (جاوة). حدد البيروني موقعها بقوله: «إذا أشرفت من غُبِّ سرنديب بلغت كله في قريب من خمسة عشر يوماً بمسير الماء. وهي منتصف الطريق بين عُمَان والصين...» (*الجماهر*، ٤١٦). وعلى عهد المسعودي (في ٣٣٢هـ)، كان التجار الذين يبحرون من البصرة و من عُمَان وسيراف قاصدين الصين ـ فضلاً عن التجار الصينيين القادمين إلى العراق وعُمان الذين يريدون العودة إلى بلادهم ـ يرسون في كَلَه ليركبوا في المراكب الصينية متجهين إلى خانفو (ميناء كانتون حالياً) (*مروج الذهب*، ١/١٦٦).

فاشترى بنصف درهم جَرّة خضراء وبدانق ملحاً جريشاً وجعله فيها وطيّنها ودفعها إليه وقال: هذه بضاعتي. فقال: فما أشتري لك بها؟ فقال له: اشترِ لي بركة، كما يقول الناس فيما لا يُعيِّنون عليه.

وخَطَفَ المركبُ ووصل إلى كَلَه وباع ما فيه وأُنسي صاحب المركب الجَرَّة. فبينا هو كذلك في سوق كَلَه [وقد قارب الخروج منها وحمّل المركب] إذ رأى رجلاً يجرّ سمكة في حبل وينادي: من يشتري بركة؟ فلما سمع [ذلك] ذكر جَرّة سعيد الفقير، فدعا بصاحب السمكة [وسأله عنها]، فقال: هذا جنس من السمك يسميه الصيادون بَرَكَة.

فقال في نفسه: لعلّ الرجل أراد هذه السمكةَ بعينها. فاشتراها على أن يعطيه بالثمن وزنَ أوقيتين ملحاً[1]، وأجلسه وأنفذ بعض أصحابه إلى المركب فجاء بالجرة ففتحها وأعطى الرجل من الملح ما وافقه عليه، وأمر بحمل السمكة إلى المنزل الذي يسكنه، وشُقّت لتملّح ببقية الملح. فهم ينظفونها، إذ وجدوا عَذِرة صلبة[f] فشقّوها فوجدوا فيها صَدَفة فيها دُرّة.

فقال الرجل [١٩١] هذا رزق ساقه الله إلى سعيد [وملّح السمكةَ ببقية الملح ورفع الدُّرّة، وساروا من كَلَه وسلموا إلى عَدَن، ودفع[g] الدُّرّة إلى سعيد]، فعاشَ بعد حصولها في يده مدة يسيرة ثُمَّ مات، فأخذها ابنه الأصغر وخرج إلى سرّ من رأى والخليفة المعتمد[2] فيها، فباعها عليه بمئة ألف درهم، وكانت قيمتها أضعاف هذا[h].

---

(١) في الأصل: ملح.

(٢) المعتمد على الله العباسي: أحمد بن جعفر المتوكل، بويع له بالخلافة سنة ٢٥٦هـ ومات في ٢٧٩هـ.

58. وقد قيل إن بعض ملوك الهند صوّر محمد بن بابشاد، لحالته في النواخذة ومضيٍّ اسمه في البحر[١]. ومن رسمهم[a] أن يصوّروا كلّ من له نباهة وقدر ومحلّ من سائر أصناف الناس.

59. ... ... وأن بعض السِّيرافِيِّين ممن سافر البحار حدثه أنه ركب في بعض المراكب من سيراف إلى كَلَه فأصيب في اللُّجّ وتخلص على خشبة، فمكث نيفاً وعشرين يوماً في البحر ووقع إلى جزيرة كثيرة الشجر والفواكه والموز، فصعد وأقام بها يأكل من فواكهها ويشرب من ماءٍ عذبٍ فيها؛ ثُمَّ ضاق صدره فمشى على وجهه أياماً حتى وقع في أرض عامرة فيها زرع ذرة وأرز وغير ذلك، وأنه رأى كوخةً فقصد نحوها فوجد فيها حُبّاً للماء فارغاً، فنام في الكوخة ليستريح فإذا هو برجل يسوق ثورين عليهما اثنتا عشرة[a] قربة مملوءة ماء، فصبّها بأسرها في ذلك الحب حتى امتلأ وجلس الرجل يستريح، فقام الرجل يشرب من الماء، وتأمّل الحب فوجده أملس حسن الصِّقال لا يشبه الخزف ولا الزجاج، فسأل الرجل عنه، فقال: هذا أصلُ ريشةِ طائر. فلم يصدّق الرجل حتى قام فمسح الحُبَّ من داخل وخارج فوجده يشفُّ ووجد في جنبيه آثار أسافل ريشة؛ وأن ذلك الرجل حدّثه أن في الطيور ما ريشه أكبر من هذا بكثير[٢].

(١) يتحدَّث البلاذري عن مُحَمَّد بن القاسم الثقفي فاتح السند وتأثر أهل الهند لوفاته فيقول: «فبكى أهل الهند على مُحَمَّد وصوَّروه بالكيرج (من مدن السند)» (*فتوح البلدان*، ٥٣٩/٣). و يقول ابن بطوطة: «ما دخلت قطّ مدينة من مدنهم (مدن الصين) ثُمَّ عدت إليها إلا ورأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الأسواق»، وأضاف «فالغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بُعثت صورته إلى البلاد وبُحث عنه، فحيثُما وجد شبه تلك الصورة، أُخذ» (٧٢٠/٢).

(٢) ينطبق هذا الوصف لهذا الطائر الهائل على الرُّخّ.

60. ومما أجمع عليه جماعة البحريين ولم أجدهم ينكرون شيئاً منه، وهو أن بعض المراكب[a] الخارجة إلى الصين أصيب في اللُّجِّ[١]، وسلم منه ستة أنفس أو سبعة على الشراع ومكثوا أياماً في البحر.

ثُمَّ وقعوا إلى جزيرة[b] وأقاموا بها شهوراً حتى كادت نفوسهم تتلف من ضيق الصدر.

وأنهم في بعض الأيام يتحدثون على ساحل البحر إذ سقط طائر في قَدِّ الثور أو نحوه فقالوا: قد ضاقت صدورنا من الحياة فقوموا[c] نجتمع على هذا الطير فنصرعه ونذبحه ونشويه ونأكل من لحمه، فإما أن يعطف‹علينا› فيقتلنا بمخاليبه ومنقاره، وإما أن نظفر به فنأكله.

فقاموا إليه وتعلق بعضهم برجليه وبعضهم بعنقه، وبعضهم يضرب ساقه[d] بالخشب، وجاهدوا حتى صرعوه، فعمدوا إلى حجارة فضربوا بعضها ببعض حتى تكسرت وصارت كالسكاكين، وذبحوه ونتفوا ريشه وأوقدوا ناراً عظيمة وطرحوه فيها وقلّبوه حتى استوى، ثُمَّ جلسوا فأكلوا منه حتى شبعوا، وأكلوا منه بالعَشِيِّ.

فلما كان في اليوم الثالث وأصبحوا، قاموا إلى البحر ليتطهروا للصلاة، فجعلوا لا يمسّون شيئاً من أبدانهم إلاّ تساقط الشعر منه، حتى لم يبق على واحد منهم شعرة واحدة في سائر جسده وصاروا مُرْداً جُرْداً[٢]، وقد كان فيهم ثلاثة شيوخ فورد عليهم ما حيّرهم وقالوا: كان لحمه مسموماً، وقد تساقط الشعر واليوم نتلف كلّنا ونستريح.

---

(١) اللُّجّ: الرياح العاتية التي تثير أمواج البحر.

(٢) صاروا مرداً جرداً: عادوا شباباً.

فأمسوا وهم في عافية وأصبحوا وهم كذلك، فلما مضت عليهم خمسة أيام ابتدت شعورهم[١] وخرجت. ولما مضى عليهم شهر كمل الشعر في نهاية السواد والبريق ولم تبيضّ بعد ذلك. فمكثوا شهراً أو نحوه حتى اجتاز بهم مركب فلوّحوا إليه، فجاء إليهم فحُملوا وسلموا وتفرّقوا في البلاد وحدثوا بحديثهم. وكان بعضهم يُعرف وهو شيخ فلا يصدّقه ‹أحدٌ› حتى يعطيهم العلامات التي لا يعرفها سواه. وعاشوا بقية أعمارهم وشعورهم[e] مسوَدّة[٢].

61. وقال: حَدَّثني بعض الرَّبّانيَّة[a] أنه رأى في لجّة قَصْرقَند[٣] وهو البحر الذي يلي هَرْكَنْد ـ ويقال إن مصب ماء نهر قَصْرقَنْد في هذا البحر وإنه سمي قَصْرقَنْد لذلك ـ شيئاً كثيراً من الوال[b] وإنه أكبر سمك في البحر، وإنه رأى سمكة قدّر أن طولها نحو مئتي ذراع [وارتفاعها مئة ذراع] وإنهم رأوها من بُعد وقد رفعت أجنحتها فقدّروها شراعَ قواربٍ[b] إلى أن حاذوها، وإن على ظهر هذه السمك مثل حجارة[d] الأَرْحِيَة مما قد تراكب عليه طول السنين من الطين والصدف فاستحجر[e] وصار لا يعمل فيه الحديد، وإنه شيء عِبرة[٤]، وإنه يسير

---

(١) ابتدت شعورهم: بدأت شعورهم بالنموّ.

(٢) أورد الغرناطي قصة شبيهة في خطوطها العريضة بالقصة الواردة أعلاه قال في ختامها إن العيدان التي حركوا بها الطعام كانت من شجرة الحياة... (*تحفة الألباب*، الورقة ٤٧أ ـ ٤٧ب، ص١٣١ ـ ١٣٢، طبعة العربي)، ويذكر ابن الفقيه أن جزيرة برطاييل القريبة من الزّابج بها القَرَنْفُل الذي مَن أكله رطباً لا يهرم ولا يشيب شعره (*آثار البلاد*، ٨٢؛ *عجائب المخلوقات*، ٨٣). و يمكن أن يكون مسرح هذه الواقعة قريباً من جاوة حيث يُزرع القَرَنْفُل (انظر: *الصيدنة*، ٢٨٣؛ *آثار وأحياء*، ٨٢).

(٣) في الأصل: سمرقند، ورجّحنا أن يكون في الكلمة تحريف (انظر هامش الخبر 12).

(٤) شيء عبرة: شيء مما يُعتبر به ويُتّعظ. وهو تعبير عراقي ما يزال متداولاً يقولونه للمبالغة، وعلى وزنه يقولون للشيء المهول جداً: شِيْ هُولَة؛ وللشيء المثير للعَجَب: شِيْ عِجْبَة.

في البحر وحوله يمنة ويسرة ووراءه وبين يديه فراسخ سمك لا يفارقونه. والذكر والأنثى منه ـ على ما قيل ـ يحمل البيض فيعظم في بطونها، إلاّ أن الذي يحمله الذكر [لا يكون منه شيء، والذي تحمله الأنثى يكون منه الأولاد]، والذي يحمله الذكر[f] نحو ثلث ما تحمله الأنثى، فيعظم ما في بطن الأنثى حتى يضيق نَفَسُها فتقذف بعضه ليخفّ عنها. فكما تقذفه يقذف الذكر ما في بطنه أو أكثره فيختلط معاً وينزل إلى قعر البحر. فما اجتمع من بيض الذكر مع بيض الأنثى جاء منه سمك، وما لم يجتمع مع بيض الأنثى لم ينجب وبطل.

62. ومن عجيب أمر البحر أن طائراً بناحية مايط[١]، وهي جزيرة في البحر بالقرب من الصّنف وسَرَبْزَة، قيل إنه يجمع عشّاً على الماء[a] في خور من تلك الأخورة ويبيض عليه ويحضن البيض[b] أربعين يوماً، فإذا كان بعد أربعين يوماً رمى البيض في الماء وجلس على الساحل بإزائه لا يبرح عشرين يوماً، يأكل السمك. فإذا مضى عشرون يوماً[c] خرج إليه من فراخه من ذلك البيض فيجتمعون حول أبويهما[d] فيلفّونهم في ريشهم ثُمّ يزقّونهم إلى أن ينبت لهم ريش، فإذا تحاملوا وأكلوا، تَرَكاهم. وأكثر ما يكون فراخهما ثلاثة[٢].

---

(١) جزيرة مايط: «تقع إلى غربي جزيرة تيومة...وإن ما بين جابة (جاوة) ومايط قريب» (*المسالك والممالك* لابن خرداذبه، ٦٨، ٦٦). وتيومة هي جزيرة تيومن الواقعة قبالة الساحل الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة ماليزيا؛ وفي *بسط الأرض*: «جزيرة المايد: كان المسافرون يقصدون إليها في القديم ثُمّ عدلوا عنها إلى جزيرة الجاوة» (ص٢٠)؛ وفي *نزهة المشتاق*: «يتصل بجزيرة جابة، جزيرة مايط على قرب منها وهي تحت طاعة ملك جابة، وفيها نارجيل وموز وقصب وأرزّ...، وعلى يسار جزيرة مايط جزيرة تنومة (تيومة) » (٨٢/١). ونعتقد أنها جزيرة مايا Maya الواقعة قبالة الشواطئ الغربية لجزيرة بورنيو (عن موقعها على الخرائط الحديثة، انظر: ... *The Times Atlas* الخارطة رقم17).

(٢) في إحدى رحلات السندباد من قصص *ألف ليلة وليلة* (١٧/٢، الليلة ٥٥٠)، رأى طيراً يخرج من صَدَف البحر ويبيض ويفرخ على وجه الماء ولايطلع من البحر على وجه الأرض أبداً.

وأهل مايط... ... هذه الجزيرة على ما ذكروا، ولا يدخلها مركب سالم لأن المركب تمضي إليها في وقت واحد من السنة، فيتّفق مجيء المركب إليها في البحر على الخشب وما يحملهم، ولا يزال الموج يضربهم حتى يلقيهم[e] على الساحل ويحمل الموجُ المركبَ ولو كان في مئة أنجر[(١)] حتى يلقيه على الساحل فيكسره ويقذف[f] بالأمتعة إلى الساحل، فيأخذ الناس أموالهم ويستأنفون[g] مركباً للرجوع. فجميع ما يحمل إلى ذلك البلد يُجعل في الجلود ويُحكم صونُه لئلا يهلك بالماء وقت انكسار المركب. وهي جزيرة فيها ذهب وقطن وعسل[(٢)].

63. وحَدَّثَني الحسن بن عمرو[a] أنه رأى بالمنصورة أهل قشمير الأسفل[b] وبينهم وبين المنصورة مسيرة سبعين يوماً في البر، ينحدرون في مهران من قشمير ــ وهو يجري كما يجري دجلة والفرات ــ في وقت مدود الماء على أعدال القُسْط[(٣)]. وقال لي إنهم يعبّون القسط في الأعدال[(٤)]، في كل عدل سبع مئة وثمان مئة مناً

(١) مئة أنجر: فيه دلالة على ضخامة المركب. يقول البيروني: «ويكثرة الريح والموج وقدر العمق يرسلون الأناجر لتسكن السفن، وهي من حديد مستطيل في أسفلها شُعَبٌ كالأرجل بها تنشب بالقرار وتثبت. وفي أعلاها حلقة يتعلق منها الحبل. وتكون هذه الأناجر على قدر عظم المركب، ووزن الأَنْجَر أكثر من مئة وخمسين مناً إلى ثلاث مئة. فإذا استقرٌ على الأرض، وقفت السفينة هناك» (*الجماهر*، ٢٤٢).

(٢) اسم هذه الجزيرة غير موجود في المخطوط لطمسٍ فيها، ولكنها تأتي بعد جزيرة مايط أو قريباً منها، وأن مغادرة جاوة أو سومطرة أو ماليزيا (ومايط قريبة منها)، وهناك العواصف الشديدة التي تحطّم المراكب ــ كما هو وارد أعلاه ــ والاتجاه نحو الصين يستلزم الدخول في بحر الصين الجنوبي الذي عُرف بكثرة الأعاصير، حتّى قال عنه المسعودي: «بحر الصين، ويُعرف ببحر صنخي، وهو بحر خبيث كثير الموج والخِبّ» (*مروج الذهب*، ١/١٨٣)، ولذا فالجزيرة إعلاه إحدى جزر بحر الصين الجنوبي.

(٣) القُسْط: عود يستخدم في صناعة العطور وفي الأدوية. وفي *شرح أسماء العقار* (ص٣٧) قال هو البستج (عن أنواعه ومواطن زراعته، انظر: *الصيدنة*، ٤٩١؛ *عمدة الطبيب*، ٢/٥١٩).

(٤) الأعدال: مفردها العِدْل وهي الغَرارة أو الجوالق الذي توضع فيه البضاعة والأشياء.

ويجلّدونه، ثُمَّ يجعلون فوق الجلد القار فلا ينفذه ماء ولا غيره، ويقرنون الأعدال ويشدونها ويوطئون عليها ويجلسون فيها ويتحدَّرون في مهران، فيصلون إلى فُرْضَة المنصورة في أربعين يوماً، ولم يلحق القسطَ شيءٌ من الماء البتَّة[١].

64. وحَدَّثني من أقام بالهند زماناً أن فيهم كهنة، وأن فيهم من يخرج إلى الصحراء فيرى الطيور تطير في الهواء فيخطّ في الأرض دائرة[a] تحت الطيور، فلا تزال تدور في جوّ فوق الخط إلى أن تقع فيه ثُمَّ لا تخرج عنه البتة. فيدخل في جوف الخطّ ويأخذ منها ما يريد ويطلق عن بقيتهم. وكذلك أيضاً يرى في الصحراء طيوراً[b] ترعى، فيخطّ حولها خطاً بعيداً يدور عليها فما تبرح منه البتة، ويدخل إليها فيأخذ منها[c] حاجته[٢].

---

(١) نهر مهران هو نهر السند (أحد أنهار كشمير الحالية)، يقول البيروني إنه مجموع خمسة أنهار تجتمع أسفل بلاد المولتان في موضع يدعى پنج نَدّ أي مجتمع الأنهار الخمسة، فإذا جاوز مجتمعاً بلدَ أرور من بلاد السند سمي نهر مهران (*تحقيق ما للهند*، ٢١٦). والسند هي إقليم في جنوب شرقي باكستان مطل على بحر عُمَان. وفي *الجغرافيا* لحافظ أبرو: «ينبع نهر السند من سفح جبل كشمير من جانبه الغربي ويمر على بلاد المنصورة... ثُمَّ يصب في بحر الهند الذي يدعى البحر الأخضر» (١/١٧١).

(٢) شاهد البيروني ذلك وعزاه إلى تكرار هؤلاء الصيادين ألحاناً معينة يستمرون فيها برتابة إلى أن تعتاد الحيوانات أو الطيور ذلك مع تضييق الحلقة بهدوء عليها إلى أن يتمّ الإمساك بها فيقول: «وقد رأيتهم أنا في صيد الظباء وأخذها باليد. وادّعى بعضهم أنه يسوقها من غير أخذ ويقودها إلى المطبخ، فلم أجد عندهم فيه غير التعويد والتدريج والثبات على التلحين الواحد، ونجد قومنا كذلك في صيد الأيائل وهي أشمس من الظباء إذا رأوها رابضة أخذوا في الدوران عليهم يلحنون بصوت واحد لا يتغير إلى أن تعتاده ثُمَّ يأخذون في تضييق الدارة إلى أن تبلغ مقدار التمكن من الضربة وهي ساكنة؛ بل صيادو القطا بالليل يضربون أواني الصُّفْر بإيقاع لا يتغير فيصيدونها باليد، وإذا تغير الإيقاع طارت كلٌّ مطار؛ وهذه خواصٌّ ليس للرُّقى فيها مدخل» (*تحقيق ما للهند*، ١٥٥).

65. وحَدَّثَني بعضُ من رأى[a] هذه الطبقةَ بصندابورة[b] وهو يجيء إلى خورها ومعه خشبة، فيتكلم عليها بشيء، ثُمَّ يرمي الخشبة في الخور فتمضي الخشبة إلى موضع ثُمَّ تقف فلا تبرح. فيطلع في دونيج ويمضي إلى موضع الخشبة فيخرج تمساحاً فيقتله.

وخور صندابورة(١) فيه أمر عظيم من التماسيح. وقيل إن التماسيح لا تعقر(٢) بين الدور أحداً[c]، فإذا خرج الإنسان إلى خارج، لا يقدر أن يضع إصبعه في الماء، إلاّ اختطفه التمساح.

وأهل سَرِبْزَة يقولون إن معهم طلسماً[d] للتمساح(٣).

66. وقال: حَدَّثَني من رأى ببلاد الهند خلقاً[a] يزجرون(٤) وأن بعض التجّار[b] من أهل سيراف حدّثه أنه أراد الخروج من صيمور[c](٥) إلى سوبارة

---

(١) صندابورة أو سندابور أو صندابور: من موانئ بلاد المليبار أو المنيبار قديماً (كيرالا الهندية حالياً) (*بسط الأرض*، ٣٨) إلى الجنوب من بومباي الحالية، مطلّ على بحر عُمَان. وهو ميناء غوا (Goa) في السواحل الغربية للهند على بحر العرب. وفي *التنبيه والإشراف* (ص٤٩): «أخوار الهند وهي الخلجانات كخور صندابور وخلجان الزّابج». زاره ابن بطوطة (٦٥١/٢).

(٢) عَقَرَ بالصيد: أَوْقَعَ به.

(٣) في القصة 113، رقى حاكمُ صندابور تماسيحَ خَوْرَي صندابور و سربزة فأصبحت لاتؤذي أحداً.

(٤) زَجَرَ الطيرَ: صاح بها لتطير ثُمَّ تفاءل أو تشاءم بحسب الجهة التي تطير إليها، والحالة أعلاه تنبُّؤ.

(٥) صيمور أو سيمور أو صامور: يقول حوراني: «هي سيملاً Semylla في كتاب بريبلوس وسيمُلا عند بطليموس. تقوم مكانها الآن تشول Chaul إلى الجنوب من بومباي بنحو ٢٥ ميلاً» (*العرب والملاحة*، ٣١٦). ذكرها البيروني فقال: «صيمور وهو جيمور في حدّ لاران»، وقال إنها من أرض لاران (*القانون المسعودي*، ٥٥/٢؛ انظر أيضاً: *تحقيق ما للهند*، ١٦٨؛ *الصيدنة*، ٤٠٢). زارها المسعودي سنة ٣٠٤هـ، وقال إنها من بلاد الهند من أرض اللار من مملكة البَلْهَرَى، وإنها على بحر لاروي (*مروج الذهب*، ١٧٦/١، ٢٤٨). وبحر لاروي هو القسم الشمالي من بحر العرب الشمالي قبالة شبه جزيرة كاثياوار Kathiawar (خوري، تعليقات على *أخبار الصين والهند*، ١٢٠).

‹و› طريق البر[١]، فقال لصاحب الشرطة[d] يضمُّ إليه رجلاً من الهند يخفره في طريقه، فضمَّ إليه واحداً[e] ممن كان بين يديه من الباتك، وهم الرَّجَّالة.

[قال]: فخرجنا، فلما صار بظاهر صيمور جلسنا عند ثلاج ـ وهو مجمع الماء[٢] ـ وجرام ـ وهو البستان ـ نأكل شيئاً وفي جملته أرزّ، فنعق غراب، فقال الهندي للسِّيرافِيّ: أ تعرف ما يقول الغراب؟ قال: لا.

قال: يقول: لا بدّ أن آكل من هذا [١٩٢] الأرزّ الذي أكلتموه.

قال: فعجبت من قوله، لأنّا كنّا قد أكلناه جميعه حتى لم يبق منه شيء.

ثُمَّ نهضنا وأخذنا نمشي، فما سرنا فرسخين حتى لقينا خمسة أنفس أو ستة من الهند، فلما رآهم الهندي اضطرب وقال لي: أريد أن أقاتل هؤلاء. قلت: لِمَ؟ قال: لأن بيني وبينهم عداوة. فما كلمني بما أراد حتى جَرَّدُوا خناجرهم واجتمعوا عليه فقتلوه وشقّوا بطنه حتى خرج ما فيه، ووقع عليّ من الفزع ما لا يمكنّي معه المشي، فسقطت كالباهت العقل، فقالوا لي: لا تفزع! فإن هذا بيننا وبينه عداوة، وأنت لا بأس عليك؛ ومضوا وتركوني. فما تباعدوا حتَّى سَقَطَ غرابٌ لا أشكّ [في] أنه ذلك الغراب، فجعل يلتقط الأرزّ الذي خرج من جوفه.

---

(١) سوبارة أو سوفارة أو سُفَالة الهند: جزء من بلاد الهند، ويجب إضافة الهند إليها تمييزاً لها عن سُفَالة الزّنج (في موزمبيق)، قال البيروني: «سوفارة وهو سُفَالة الهند كسُفَالة الزّنج» (*القانون المسعودي*، ٢/٥٥٠). ذكرها أبو الفداء فقال إنها على الساحل في أرض البوازيج (كذا، والصواب البوارج) وإنَّ للهند هذه السُّفَالة كما للزنج سُفَالة (ص٣٥٨)، وأوردها المسعودي ضمن المدن المطلة على بحر لاروي، وكذلك فعل مؤلف *حدود العالم* (ص٨٣). قال حوراني: «استناداً إلى يول H. Yule فإنها سوپارا Sopara الآن على بعد أميال قليلة من شمال بومباي» (*العرب والملاحة*، ١٦٣).

(٢) الثلاج: عرَّف به المؤلف في النص74 بقوله إنه مستنقع المياه المنصبة من الجبال والصحارى عند كثرة السيول والأمطار. أما الجرام الذي قال إنه البستان فإننا نجده بالحاء في الخبر رقم 76.

67. قال: ومن طريف أخبار تجار البحر ومن ركبه[a] واستغنى فيه، خبر إسحاق اليهودي[b] وكان رجلاً يتصرف مع الدَّلاَّلين بعُمَان، فوقع بينه وبين رجل من اليهود خصومة، فهرب من[c] عُمَان إلى بلاد الهند ومعه نحو ثلاث مئة دينار لم يكن يملك سواها؛ وغاب عن البلد نحو ثلاثين سنة لا يعرف له خبر. فلما كان في سنة ثلاث مئة ورد عُمَان.

فحَدَّثني غير واحد من إخواننا البحريين أنه ورد عُمَان من الصين في مركب لنفسه وجميع ما فيه له، وأنه قاطَعَ أحمدَ بنَ هلال[1] صاحبَ عُمَان عن المركب لئلا يحصي ما فيه ويفتِّش[d] عليه بِمَكس[2] [على] ألف ألف درهم ونَيِّف، وأنه باع على أحمد بن مروان[3] بابةً واحدة[e] من المسك[4] مئة ألف مثقال فائق[f] [5] وقدّر ابن مروان أن ليس معه غير هذا المقدار من المسك. فباع على أحمد بُرَدا[g] بأربعين ألف دينار بابةً أخرى[6]، وباع على رجل آخر بعشرين ألف دينار بابة[h] أخرى. واستقاله[i] [7] أحمدُ بنُ مروان المسكَ، فنقصه في كل مثقال درهماً[j] فكانت الحطيطة[8] مئة ألف درهم؛ وكانت معه كل طريفة[9] من طُرف البحر[k].

---

(١) أحمد بن هلال: كان ما يزال أميرَ عُمَان حين زارها المسعودي في ٣٠٤هـ (*مروج الذهب*، ١/ ١٢٥).

(٢) المَكْس: الضرائب تأخذها الدولة على البضائع لدى دخولها أو خروجها من البلاد، وجمعها المكوس.

(٣) أحمد بن مروان: أحد تجار عُمَان.

(٤) بابة واحدة: دفعة واحدة.

(٥) المسك الفائق: المسك الفائق الجَودة.

(٦) البُرَد: مفردها البُرْدة وهي كساء يُلتحف به.

(٧) استقاله: طلب إليه أن يخفض من القيمة.

(٨) الحطيطة: التخفيض من مجمل مجموع قيمة البضاعة.

(٩) الطريفة: التُّحْفَة.

وطار اسمُهُ في البلاد وحَسَدَهُ الخلقُ، وطلب منه بعضُ أهل الشرِّ شيئاً فلم يعطه فخرج قاصداً إلى بغداد، وكان أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات وزيراً فسعى باليهودي فلم يُلتفت إليه[1]، فتسبَّبَ إلى بعض الأشرار من أصحاب[l] المقتدر بالله وتنصّح[2] في اليهودي وقال: حُكِيَ أن رجلاً خرج من [١٩٣] عُمَان ولا شيء معه، وأنه عاد ومعه مركب مسك فقط بألف ألف دينار، وذكر[m] أن معه ما قيمته عشرة آلاف ألف دينار من الجواهر واللآلىء وصنوف الأمتعة، وهو شيخ لا ولد له، وأن أحمد بن هلال أخذ منه أمتعةً مئةَ ألف دينار. فوقع الخبر إلى المقتدر[3] فاستعظمه، فأنفذ في الوقت خادماً يقال له فلفل أسود مع ثلاثين غلاماً إلى عُمَان، وكتب إلى أحمد بن هلال يأمره بحمل هذا اليهودي مع الخادم ورسول من جهته.

فلما وصل الخادم إلى عُمَان، أمر أحمد بن هلال بالاحتياط على اليهودي وقطع مصانعته لنفسه على أن يدافع عنه على مال جليل، ثُمَّ دسّ إلى التجار من يعرّفهم ما في حمل اليهودي عليهم وعلى البلد وعلى سائر الغرباء [والقاطنين ممن يتجر] من سوء العاقبة [والجرأة عليهم ودخول اليد وطمع الفقراء فيهم وأهل الشر]، فغلقت الأسواق وعُمِلت[n] المحاضر، [وشهد فيها الغرباء والقاطنون[o]] بأنه متى ما حُمِلَ هذا اليهودي، انقطعت المراكب عن عُمَان

---

(١) علي بن مُحَمَّد بن الفرات: كما يقول الصابي (*تحفة الأمراء*، ١٧ — ٢٣) فقد استوزره المقتدر بالله العباسي ثلاث مرات الأولى من ٢٠ ربيع الأول ٢٩٦هـ — ٤ ذي الحجة ٢٩٩هـ، الثانية من جمادى الآخرة ٣٠٤هـ — ٢٧ جمادى الأولى ٣٠٦هـ، والثالثة من ٢١ ربيع الآخر ٣١١هـ — ١٤ ربيع الأول ٣١٢هـ. فينبغي أن تكون حوادث هذه الواقعة ضمن هذه السنوات.

(٢) تنصّح: أظهر نفسه بمظهر الناصح بهذه الوشاية، وقد مرّت الكلمة في النص 35 .

(٣) المقتدر بالله الخليفة العباسي، تولى الحكم سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠هـ .

وهربت التجار. [وأنذر الناس بعضهم بعضاً أن لا يطرق أحد ساحلاً من سواحل العراق] ولم يأمن ذو مال، وأنه بلد فيه وجوه التجار وذوو اليسار [من أقطار الآفاق]، وإنما سكنت نفوسهم [بعدل أمير المؤمنين وعدل] أميره وحسن سيرته [ورعايته للتجار وكفّ الطامع عنهم والباغي]، وأحكموا هذا القول وشغبوا على أحمد بن هلال حتى همًت [نفس] الخادم [يعني فلفل] ومن معه[p] [بالخروج عنهم] وتمنّوا الخلاص.

وكتب أحمد بن هلال يذكر ما جرى وأنه [قد قامت نفوس[1] التجار وقدّموا مراكبهم وأعادوا أمتعتهم التي جاؤوا بها ليردّوها، وأن التجار القاطنين في البلد توغّرت صدورهم وقالوا: إن بقينا انقطعت معايشنا وأرزاقنا بانقطاع المراكب عنا، وإنما هذا بلد رزق أهله من البحر]، وأنه متى تمّ هذا على أصغر تاجر أو أكبرهم لم يقم أحد[r]. [والسلاطين نارٌ أينما توجهت أحرقت، ولا طاقة لنا بذلك، والخروج من بين يديه أمثل[s]].

وأخذ الخادم ومن معه من اليهودي نحو ألفي دينار وانصرفوا.

فخبثت[2] نفس اليهودي ولم يزل يحتال[t] ويجمع ماله، وبنى مركباً وخرج إلى الصين ومعه جميع ماله حتى لم يخلف درهماً بعُمَان. فلما صار بسَربُزَة، التمس منه صاحب سَربُزَة عشرين ألف دينار مصانعةً، لينزله بجزيرته ولا يعوقه[u]، فلم يدفع إليه، فدسَّ عليه من قتله ليلاً وأخذ مركبه وجميع أمواله. وكان مقامه بعُمَان نحو ثلاث سنين.

---

(١) قامت نفوس التجار: ثارت ثائرتهم. ومايزال الفعل (قام) يُستخدم بهذا المعنى في العراق اليوم، فيقال: گامَتْ گومَتْهُم (بالكافين الفارسيتين)، أي قامت قائمتهم و ثارت ثائرتهم.

(٢) خبثت نفسه: استولت عليه الشطارة والتدبير للتخلُّص من ذلك المأزق.

وقال: خبَّرني من شاهده بعُمَان في يوم مهرجان وقد أهدى إلى أحمد بن هلال بَرْنِيَّةً صينيٌّ سوداء مُضَبَّبة[٧] الرأس بالذهب[١]، فقال له: ما في البَرْنِيَّة؟ فقال: سِكْباج[٢] أصلحتها بالصين. فتعجب من هذا وقال: سكباج يطبخ بالصين وقد مضى عليه نحو سنتين، كيف يبقى؟ فقلع[٣] الرأسَ وفتح البَرْنِيَّة وإذا فيها سمك من [١٩٤] الذهب عيونه من الياقوت وقد عُبِّئَ في البَرْنِيَّة وفي ذلك المسك التبتي الفائق[٨]، فإذا قيمة ما في البَرْنِيَّة عشرة آلاف دينار[٧].

68. وقال: مما حدَّث به هذا اليهودي أنه قال: دخلتُ بلداً يقال له لوقين[٣] من بلدان الصين والمسلك[a] إليه بين جبال وعلى جبال شاهقة، ويحمل المتاع إليه

---

(١) البَرْنِيَّة: إناء من الخزف كبير له غطاء في وسطه نتوء يرفع منه. مضبَّبة بالذهب: ملبَّسة بالذهب.

(٢) السكباج: طعام يعمل من اللحم والخل (*تاج العروس*، مادة سكبج)، وفي فرهنگ *فارسي* (مادة سكبا): «مرق يعمل من الخل واللحم والبرغل والفواكه المجفَّفة».

(٣) لوقين: ورد اسم هذه المدينة في الأصل وكذلك في طبعات فان ديرليث والطريحي والشاروني: لوبين. وقد أسهب فان ديرليث في الحديث عنها واستدلَّ بوجود المسك فيها وأن بطل القصة يصلها بعد عبوره جبالاً شاهقة، ليخلص في النهاية إلى إن لوبين هي بوتان (التِّبت الشرقية) (ص ٢٢٢ — ٢٢٣).

قلتُ: المعروف أن التبت ذات جبال شاهقة وطرق وعرة، فالمؤرخ دوغلات الذي زارها سنة ٩٣٨ هـ، كتب عنها: «كل من أراد الذهاب إلى التبت من أي جانب، فإن عليه اجتياز مسالك وعرة لاتفضي إلى منحدَر من الجانب الآخر» (*تاريخ رشيدي*، ٦٠٣)، لكن ذلك لايكفي لتحديد الموضع. وعليه فإننا نرجِّح أنها لوقين وهي هانوي عاصمة فيتنام الحالية، وكتابتها بشكل لوبين هو من خطأ النساخ. وأما قول مؤلفنا إنها من بلدان الصين، فالصينيون حكموا فيتنام منذ سنة ١٠٠ ق. م. حتّى القرن ١٠م، كما تقول موسوعة *World book* (مادة Vietnam)، ولذا تُعَدُّ لوقين من بلاد الصين. وهي على الطريق إلى خانفو (كانتون حالياً). قال ابن خرداذبه: «لوقين وهي أول مراقي الصين» (ص٦٩)، وفي *نزهة المشتاق*: «من جزيرة الصنِّف إلى مدينة لوقين ثلاث مراحل، وهي أول مراقي الصين» (١/٨٤). و في *طبائع الحيوان* (١٦ ب): «فأما الطريق إلى الصين من جانب البحر فأول مرفأ من البحر إليه بلد يقال له لوقير (الصواب: لوقين) ثُمَّ مدينة خانفو وهي أعظم من لوقير (لوقين)».

على الغنم، لأنه[b] موعِر مثل الدرج لا يقدر على الصعود إليه إلاّ الغنم، فوجدتُ بهذا البلد ملكاً كبيراً له قدر وجلالة ملك عظيم[c].

فدخلت إليه وهو جالس على سرير من ذهب مرصع باللؤلؤ وعليه حليّ مثل حليّ النساء مضبّبة بالذهب مغلّفة بمخنقة ذهب، وإلى جانبه زوجته وعليها من الحليّ مثل ما عليه[d] إلاّ المِينة[1] [وفي رقبته أطواق من ذهب وزبرجد لا يقومون[e] بقيمة ولا يكون[f] مثلها عند ملك من ملوك المشرق ولا المغرب]، وعلى رأسه نحو خمس مئة جارية من كل لون حسن [عليهم أنواع الحرير والحليّ، فسلمت عليه]، فقال لي: يا عربي! هل رأيت أحسن من هذا الذي في عنقي؟ فقلت: ما رأيت قط مثل هذا إلاّ واحدة اشتريتها بمال عظيم وهي معي، قصدتك أيها الملك الجليل بها. فقالت له امرأته: بقي لك شيء[2]؟ هوَ ذا قد جاءتك واحدة فَرْدٌ عليّ هذه. فقالا: عجِّل بها علينا الساعة. فقلت: بسببها جئت والليلة أجيئكما بها. فقالا: لا، إلاّ الساعة، وفرحا واستبشرا وورد عليهما أمر عظيم.

قال اليهودي: وكان عندي من المينا عشرة، فبادرتُ إلى الموضع الذي نزلته فأخذت منه تسعة فدققتها بحجر حتى صيرتها في قوام السَّوِيق[3][g] ودفنتها في

---

(١) المينة أو المينا: خليط من اللازورد والذهب وغير ذلك يوضع في الفرن ليمتزج ببعضه ويخرج شفافاً كالزجاج وله لون بنفسجي (*فرهنگ فارسي*، مادة مينا).

(٢) بقي لك شيء؟: هل بقيت لك ذريعة تتذرع بها؟

(٣) السَّوِيق: «الناعم من الدقيق وكل ما صلح أن يكون دقيقاً يمكن أن يتخذ منه السويق، وأعلى أنواعه سويق اللوز ويخلط بالسكر أو العسل ويصب عليه الماء ويضاف إليه الثلج في وقت الصيف» (تعليقات الشالجي على *نشوار المحاضرة*، ١/١٣٠).

التراب وأخذت الواحدة فلففتها في منديل وظاهرت عليها المناديل وحملتها في تحت وشددته وخيطته وأحكمته ثُمَّ حملته ؛ وقصدت الملك ولم أزل أفتح وأنشر وهو يزحف إليّ وزوجته قائمة تستعجلني حتى أخرجت المينة، فسجد من ساعته لها وسجدت زوجته ووهبا لي مكافأة عليها ما له قدرٌ عظيم[h].

69. وأجمع البحريون على أن بحر بربرا ـ وهو سبع مئة فرسخ وهو في الطريق إلى بلاد الزّنج ـ من أعظم البحار خطراً[١]، وللزّنج[a] في هذا البحر جزائر عظيمة من جانب واحد، والماء فيه على ما يقال يجري جرياناً شديداً، والمركب تقطعه في سبعة أيام وفي ستة أيام. وإذا وقع المركب إلى بربرا، أخذوا أهل المركب وخَصَوْهُم[b][٢].

---

(١) بحر بربرا: هو خليج عدن، وبربرا ميناء في الصومال الحالي. ويسميه البيروني: «لجة بربر بحيال عدن» (*الجماهر*، ٢٤٠). «والعُمَانيّون من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري وهم يعرفونه ببحر بربرا وبلاد حفوني ... موجه عظيم كالجبال الشواهق» (*مروج الذهب*، ١/١٢٥).

(٢) ورد في *طبائع الحيوان* (الورقة ٤٤ أ): «وفي جانب بحر الحبشة فرقة من البربر ... من عادتهم أن يجبُّوا (يُخْصُوا) من يظفرون به من الغرباء ولا يعملون بهم غير ذلك، ثُمَّ يعلّقون المذاكير بخصاها في بيوتهم للمفاخرة والمباهاة بكثرتها». ويقول ابن سعيد: «وفي شمالي سحرتة من النيل إلى البحر، بلاد الخاسة وهم مذمومون بين أجناس الحبشة، وقد اشتهر عنهم أنهم يخصون من يقع إلى أيديهم ويدفعون ذكور الآدميين في صدقاتهم ويفخرون بذلك» (*بسط الأرض*، ٣١). ولكن ياقوتاً ينقل عن الشيخ وليد البصري الذي وصفه بأنه ممن جال البلدان، عادةَ قطع المذاكير بين البربر أنفسهم ضمن طقس ميلودرامي معقّد فصّله في كتابه (*معجم البلدان*، ٢/٩٦٧)، وليس عمليةً موجهة ضد الغرباء. نشير إلى ما قاله هارتمان عن قبيلة الواكامبا في أفريقيا، التي تعيش في نفس هذه المنطقة من أنهم «يقتلون أعداءهم بلا رحمة ويقطعون أيديهم وأرجلهم وأعضاء ذكورتهم كعلامة للنصر» (*الحبشة*...، ٢٩٦)، وإلى ما ذكره إميل لودفيغ من «أن الحبشي يحمل على زُنّاره قضيبَ عدوِّه المقتول كحزام الفَشَك (cartride) وكآية على الخصاء الذي هو من خواصّ ذلك البلد» (*النيل*، ١٨١، ١٨٨).

وإذا قصد التجار بربرا، كان مع الواحد منهم ـ بحسب مقداره وكثرة ماله ـ جماعة يخفرونه لئلا يأخذه بعضهم فيخصيه[c]؛ والواحد منهم يجمع بيضَ مَن يخصيه[d] ويحفظها، فإذا تفاخروا أخرجوا ما عندهم لتقع[e] الرغبة فيه لأن الشجاعة هو أن يخصي[f] الرجلُ منهم الرجلَ من الغرباء.

70. ومن البحار الخبيثة الصعبة الشديدة التي تقل[a] السلامة فيها، بحر أغباب سرنديب وهو ثلاث مئة فرسخ، وفيه من التماسيح أمر عظيم. وفي ساحل هذا البحر النمور والبوارج[b] الذين يقطعون في هذا البحر[1]، إذا ظفروا بمركب أكلوا أهله؛ وهم أشرُّ قومٍ وليس في سائر الأماكن من يقطع البحار

---

(١) كان يعيش في تلك المنطقة شعب الميد الذين وصفوا منذ القدم بالقرصنة، يقول البلاذري: «الميد الذين يقطعون البحر» (*فتوح البلدان*، ٣/٣٩؛ انظر أيضاً: ابن خرداذبه، ٦٢). ويقال لبلادهم بلاد البوارج (*تاريخ بيهق*، ١٠٨). وإنّما نسبوا إلى البوارج (جمع بارجة) لأنهم كانوا يشنون غاراتهم بها على السفن. يقول البيروني: «البوارج: لصوص ومواضعهم كچ وسومنات (في إقليم غجرات الحالي)، وسموا بهذا الاسم لأنهم يتلصصون في الزواريق واسمها بيره» (*تحقيق ما للهند*، ١٦٧؛ *القانون المسعودي*، ٥٥٢/٢؛ *الجماهر*، ١٢٣). وكانت سومنات «فُرْضَةً للسابلة في البحر ومنزلاً للمتردِّدين فيما بين سُفَالة الزَّنج والصين» (*تحقيق ما للهند*، ٤٣٠ ـ ٤٣١). ويقول المسعودي: «جنس من السِّند يقال لهم المِيْد وهم خلقٌ عظيمٌ حزبٌ لأهل المنصورة، ولهم بوارج في البحر تقطع على مراكب المسلمين المجتازة إلى أرض الهند والصين وجدة والقُلْزُم وغيرها» (*التنبيه والإشراف*، ٤٩). وقد تكتب الكلمة خطأً بشكل البوازيج أو البوازج (انظر مثلاً: *الجماهر*، ١٢٣، ٢٨١؛ *تقويم البلدان*، ٣٥٦). قال ماركو بولو عنهم عند ذكره سواحل المليبار: «وهنا أيضاً ـ شأن الحال في جزيرة (كجرات) التي لا تبعد كثيراً ـ يكثر القراصنة الذين يطوفون كل عام في هذه البحار بأكثر من مئة مركب صغيرة ويستولون على جميع السفن التجارية التي تمرّ بذلك الطرق وينتهبونها» (٧٠/٣). ويعلق مارسدن على ذلك (٢١٥/٣): «فلا عجب إذن أن يلاحظ المؤرخ الروماني بليني (٢٣ ــ ٧٩م) السرقاتِ التي تُعَرِّضُ لها التجارةُ الرومانيةُ في الهند الشرقية في عصره».

مثلهم، فالمركب الذي يقطع هذا البحر متى أخذه البوارج[c] أكلوا أهله، وإن غرق لم تمضِ[d] عليه ساعة حتى تأكل أهلَه التماسيحُ، وإن انكسر بقرب البرّ وصعد أهله إلى الساحل قطعتهم[f] النمور في ساعة واحدة[1].

71. وقال: من أخبار الهند وسننهم الطريفة، ما حَدَّثَني به أبو الحسن محمد ابن حرب العُمَانيّ أنه سمع من يضبط ويفهم ببلاد الهند[a] أن بعض ملوك الهند الكبار كان جالساً يأكل وبإزائه ببغاء في قفص معلقة، فقال لها بالهندية: تعالي كُلي معي. فقالت له: أنا أفزع من السنّور. فقال لها: أنا بلوجرك [وهو بكلام الهند] إني أفعل بنفسي مثل ما يصيبك[2]. وتفسير هذه اللفظة [١٩٥] ومعناها

---

(١) ماتزال سلسلة جزر سوندريان (في دلتا الغانج من بنغلادش الحالية)، وهي جزء من المنطقة التي عُرِفت قديماً بالبوارج، تعجّ بالنمور بحيث يبلغ عدد ضحاياها مئة ضحية سنوياً؛ وما يزال فيها لصوص يجوبون ممراتها المائية. كما يجوب القراصنة اليومَ المناطق الشرقية من خليج البنغال حتى مضيق ملقا، حيث تناقلت وكالات الأنباء في ١٧/ ٣/ ٢٠٠٥م تصريح وزير الدفاع الماليزي من أن بلاده والحكومة الإندونيسية ستكثفان من دورياتهما العسكرية في مضيق ملقا عقب مهاجمة قراصنة لثلاث سفن فيه.

(٢) يقول المسعودي: «إذا مات الملك من ملوكهم أو قُتل، حرّق خلقٌ من الناس أنفسهم لموته، فيدعون هؤلاء البَلانْجَرية، واحدهم بلانجر، وتفسير ذلك: مصادقوه ممن يموت بموته ويحيا بحياته» (*مروج الذهب*، ١/٢٤٨). ويقول أبو زيد السِّيرافِي: «وفي ملوكهم مَن إذا قَعَدَ للمُلْك، طُبِخَ له أرزّ، ثُمّ وضع بين يديه على ورق الموز. وينتدب من أصحابه الثلاث مئة والأربع مئة باختيارهم لأنفسهم، لا بإكراه من الملك لهم، فيعطيهم الملك من ذلك الأرز بعد أن يأكل منه. ويتقرب رجلٌ واحدٌ منهم فيأخذ شيئاً يسيراً فيأكله. فيلزم كل من أكل من هذا الأرزّ إذا مات الملك أو قتل، أن يحرقوا أنفسهم بالنار عن آخرهم في اليوم الذي مات فيه، لا يتأخرون عنه، حتّى لا يبقى منهم عينٌ ولا أثر» (*أخبار الصين والهند*، ٨٢). ولمناسبة كلامه على بلاد المليبار، تحدّث ماركو بولو (٣/٤٦) عن هؤلاء وأضاف: «وعند وفاة الملك، وعندما يُقام حفل إحراق بدنه، يلقي جميع هؤلاء الخدام المخلصون بأنفسهم في النار عينها ويحترقون مع الجثة الملكية، وذلك بقصد أن يكونوا في صحبته في حياة أخرى تالية».

هو ما أذكره: وذلك أن الملك من ملوك الهند يجيئُهُ من الهند عدة[c] على حسب محلّه وجلالة قدره، فيقولون له: نحن بلاوجرك، فيطعمهم الأرزّ بيده ويعطيهم التانبول بيده[1]، فيقطع كل واحد منهم الخنصر من أصابعه من وسطها بين يديه، ثُمَّ يكونون معه حيث سلك يأكلون بأكله ويشربون بشربه ويتولّون إطعامه ويستقضون سائر أحواله، فلا تدخل[d] إليه حَظِيَةٌ ولا جاريةٌ ولا غلامٌ إلاّ فتّشوه، ولا يفرش له فراش إلاّ فتّشوه، ولا يقدم له طعام أو شراب إلاّ قالوا للذي أحضره يأكل منه[e] أوّلاً، وما أشبه هذا من سائر الأشياء [التي يخاف على الملوك منها]، فإن مات قتلوا أنفسهم، وإن أحرق نفسه أحرقوا أنفسهم، وإن مرض مرضوا بمرضه[f]، وإن حارب أو حورب كانوا حوله ومعه. ولا يجوز أن يكون هؤلاء البلاوجرية إلاّ من عِلّيّةِ أهل الموضع ومن يرجع إلى نجدة[g] وبسالة وشهامة وله رواء ومنظر. فهذا معنى البلاوجرية.

فلما قال الملك للببغاء: أنا بلاوجرك [أكل الأرزّ عنها، فلما رأته قد أكل الأرزّ عنها وقال لها أنا بلاوجرك]، نزلت من القفص وجاءت فوقفت على الخوان لتأكل، فقفز السِّنّورُ فقطع رأسَها.

---

(١) التانبول أو التنبول أو التامول: يقول البيروني: «الهند يسمونه تنبول وهو أوراق كأوراق التوت يحتالون في جلبه غضّاً من السواحل الجنوبية إلى أقصى أرض الهند. يُلفُّ الورق ويغمس في نورة معجونة ويمضغ بعد الطعام ثُمَّ الفوفل بعده فيطيب النكهة ... قال أبو حنيفة: يُزرع بنواحي عُمَان فيرتقي في الشجر، وما كان بأرض العرب فمن عُمَان» (*الصيدنة*، ١٤٢؛ *عمدة الطبيب*، ١١٣/١، الذي قال إنه كثير ببلاد العرب لا سيما بناحية عُمَان؛ انظر أيضاً: *آثار وأحياء*، ٨٥). فصّل ابنُ بطوطة القولَ في زراعته ووصفه وقال: «وأهل الهند يعظمون التنبول وإذا أتى الرجلُ دارَ صاحبه فأعطاه ورقات فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها» (٢٨٨/١؛ انظر أيضاً: *الفرج بعد الشدة*، ٣٠٣/٤). وفي *الأبنية عن حقائق الأدوية* أنه يحمّر الشفاه إذا دُعِكت به فضلاً عن تقويته المعدة والنظر (ص ٨٢).

فأخذ الملك بدن الببغاء، فجعله في صينية وجعل عليه الكافور وحوله الهال[أ] والكَبَّابة والجَوْزْ بَوّا والبَسْباسة وورق التانبول والفوفل[1] والنورة، وضرب الطبل ودار في البلد في عسكره والصينية على يده، ثُمَّ كان يوجه بالصينية في كل يوم فيطوف بها في البلد مدة سنتين وكَسْر.

فلما طال ذلك اجتمع عليه البلاوجرية وغيرهم من أهل مملكته فقالوا له: هذا قبيح، وقد طال الأمر فيه، فإلى كم تدافع؟ إما أن تفي وإلاّ فعرّفنا حتى نعزلك ونُقَلّد[أ] ملكاً غيرك، لأن في الشرط [أنه] إذا قال أنا بلاوجرك ثُمَّ وَجَبَ حكمٌ، فدافع به أو نكل عنه، فقد صار بَهَنْد، والبهند عندهم لا يجوز عليه الحكم لقلّته ومهانته وسقوطه[2] مثل المغنّي والمُخَنْكِر[3][أ] [والزامر] وما أشبهه، والملك ومَن دونه في ذلك سواء إذا نكل عن واجب.

---

(١) الهال هو الهيل، والكَبَّابة من النباتات المستخدمة في تركيب التوابل (*عمدة الطبيب*، ١/٣٠٤). يقول ابن بطوطة عن البَسْباسة: «وثمر القَرَنْفُل هو جوز بوا المعروفة في بلادنا بجوز الطيب، والزهر المتكون فيها هو البَسْباسة» (٧١٢/٢)؛ انظر أيضاً: *عمدة الطبيب*، ١/١٠٦). والجوز بوّا ويقال له جوز الطيب (*شرح أسماء العقار*، ١١)، وصفه البيروني بقوله: «جوز في مقدار العفص سهل المكسر رقيق القشر أغبر وينكسر عن لبّ طيب الريح حاد الطعم» (*الصيدنة*، ١٩١)، وقال رشيد الدين الهَمَذَاني: «التنبول تمضغ أوراقه مع آهك (حجر الكلس) وفوفل وهو موجود في أغلب ولايات الهند وفي جاوة وجاوي(نرجح أنها سومطرة الحالية) وسيلان، ويكون في ولاية الصين وفي چوچو» (*آثار وأحياء*، ٨٥). أما النورة فهي حجر الكلس، يقول البيروني: «يحمّرون الأسنان بمضغ الفوفل بعد تناول ورق التنبول والنورة» (*تحقيق ما للهند*، ١٤٤؛ انظر أيضاً: *آثار وأحياء*، ٨٥).

(٢) استناداً إلى مايقوله البيروني فإن بهند هو «عيد للنساء يأخذن فيه الزينة ويقترحن على أزواجهن الهدايا» (*تحقيق ما للهند*، ٤٨٧)، وعليه فالمعنى هنا هو الرجل المتشبّه بالمرأة أو المخنّث.

(٣) نرى أنها مأخوذة من «خُنياگر» الفارسية التي تعني المغنّي أو المنشد (*فرهنگ فارسي*، مادة خنياگر).

فلما رأى هذا، جمع العود والصندل والسمن[k] وحفر حفرة وجعل فيها ذلك وأحرقه بالنار ثُمَّ رمى بنفسه فيها فاحترق، وأحرق بلاوجريته وبلاوجرية البلاوجرية نفوسهم [يعني أتباع الأتباع فارقوا[l] نفسهم معه[1]، فاحترق في ذلك اليوم نحو ألفي نفس معه].

وكان أصل ذلك [١٩٦] قوله للببغاء: أنا بلاوجرك.

72. وحَدَّثَني أن الملوك بسرنديب ومن يجري مجراهم يُحملون في الهندول ـ وهو مثل محفّة ـ على أعناق الرجال[2] ومعه كرندة[3] من ذهبٍ فيه ورق التانبول وحوائجه يحملها غلام آخر، والغلمان والأصحاب معه، ويطوف في البلد أو يمضي في حاجة وهو يمضغ التانبول ويبصق في المبصقة، فربما جاءه البول وهو في مسيره ذاك، فَيُخْرِجُ[4] من الهندول ويبول في الطريق أو السوق أو حيث اتفق له وهو مع ذلك سائر ليس يقف، فإذا فرغ من بوله رَدَّ‹هُ› إلى ثيابه ولم يمسحه.

---

(١) فارقوا نفسهم: فارقوا نفوسهم، واستخدام «نفسهم» بدلاً من «نفوسهم»، شائع في العامية العراقية، فهم يقولون مثلاً: قتلوا نفسهم، أو ذبحوا نفسهم ليحصلوا على الشيء الفلاني، أي أنهم بذلوا أقصى ما لديهم من جهد، ولم يتركوا وسيلة إلاّ استخدموها للحصول عليه.

(٢) الهندول: يحتمل أن يكون الكرسي الذي يُحمل فيه الرجال على الأعناق الوارد لدى البيروني حين قوله: «أهل كشمير رجّالة ليس لهم دواب ولا فيلة، ويركب كبارهم الكتوت وهي الأسِرَّة، ويُحملون على أعناق الرجال» (*تحقيق ما للهند*، ١٦٥).

(٣) لم نهتدِ إلى معناها لكن الواضح أنها وعاء أو حقيبة توضع فيه الحوائج والأمتعة.

(٤) من الواضح أن الناسخ حَذَفَ المفعولَ به الذي يشير للعضو التناسلي، والدليل على ذلك قوله في آخر الخبر: فإذا فرغ من بوله ردَّه إلى ثيابه.

73. وقال: حَدَّثني عن محمد بن سعيد أخي إسحاق الخطيب لأمه أنه قال: رأيت بسندابور رجلاً من الهند قد اجتاز بدارٍ[a] فانصبَّ عليه وعلى ثيابه بول من تلك الدار، فوقف وصاح بهم: هذا الذي انصبَّ[b] عليَّ ماءٌ من غسل اليد أو من غسل الفم؟ وهو عندهم أقذر ما يكون، فقالوا: هذا بولُ صبيٍّ بالَ الساعةَ. فقال: هاكنا[c] ـ أي جيِّد ـ ومضى. وعندهم أن البول أنظف من الماء الذي غُسل به اليد أو الفم.

74. وقال: حكى أن الواحد منهم يتغوَّط[a] وينزل إلى الثلاج ـ وهو مستنقع المياه المنصبة من الجبال والصحارى عند كثرة[b] الأمطار والسيول ـ حتى يغتسل فيه ويستنجي.

فإذا تنظَّفَ تمضمضَ بالماء وخرج من الثلاج فمجَّ الماء من فيه بالأرض، لأن عنده إذا مجَّ الماء [من فيه] في الثلاج نجَّسه وأفسده.

75. وحَدَّثني عمَّن دخل سرنديب وخالط أهلها أن من رسوم سلطانها في معاملته، أشياءَ منها، أن له منظرة[a] على الشط[١] يضرب فيها على الأمتعة.

76. وقال: ذكر لي أبو الحسن محمد بن حرب، أنه بظاهر ترتين[٢] من بلاد الهند على نحو فرسخ ونصف من البلد، بُدٌّ عظيم فيه صنم من حجر كبير[٣]، وفي هذا البدّ ستون جارية وقفٌ على هذا البُدّ ما يكسبونه من الزِّنى يُرَدُّ في النفقة

---

(١) المنظرة: موضع مرتفع من الأرض يُجلس فيه للنظر أو المراقبة، وهو هنا لغرض جمع الضرائب.

(٢) كتبت الكلمة في هذه القصة بثلاثة أشكال هي: ترتين، بترتين، برتين. ويمكن أن تكون بيرين التي قال الزهري: «من وراء الهند بلاد كابل ... وفي هذه الأرض من المدائن مدينة بيرين» (*الجُغرافيَّة*، ٣٠)، ونرجِّح أن تكون بِرْن التي ذكرها البيروني والتي يمرّ عليها أحد فروع نهر الغانج وقال إن بـرن تعني الذين لا لون لهم لشدة سواد بَشَرَتهم (*تحقيق ما للهند*، ٢١٨).

(٣) البُدّ: الصنم، جمعها: البدود، وقد عرَّفنا بالكلمة بهامش الخبر 3.

على عمارة البد وحفظ الصنم وأجرة القُوّام به. وكلُّ من مرّ بهذا البلد من الغرباء ذاهباً أو جائياً، وربما يمرّ أحدٌ منهم بغير أجرة ولا عوض ولا شيء، وإن وهب لإحداهنّ شيئاً لم تأخذه منه[1].

وذكر أنه سمع جماعة بترتين يقولون إن السبب في هذا أن زانية بعض ملوك الهند ـ وهي زوجته ـ كانت منصرفة من بعض الحرامات ـ وهي البساتين ـ إلى برتين، فاجتازت بنخلة من نخل النارجيل وتحتها رجل جالس يدلك ذَكَرَهُ، فوقفت ووقف مَن حولها، وكانت راكبة على فيل، وتقدّمت بإحضاره فأحضر، فقالت: يا هذا! ما تتقي الله ولا تخافه؟ أنت رجل صحيح البدن تفعل كذا وكذا؟ فقال لها: ما فعلت كذا إلاّ من حاجة وضرورة. فقالت له: تركتَ البلد وفيه من الجوار[ي] والقحاب كذا وكذا، وخرجتَ تفعل هكذا. فقال لها: ليس معي شيء وأنا رجل غريب فقير. فقالت: فتشوه، ففُتش فلم يوجد معه شيء.

فاغتمّت وقلقت وبكت وقالت: هذا غريب مضطر لم يجد شيئاً[a] يزني به وقد أثِمْنا [١٩٧] فيه وفي أمثاله، وقالت لوكيل من وكلائها: لا أبرح أو تحضر المهندسين والقُوّام وتقدّر هاهنا بيتاً لأبنيه بُدّاً وأجعل فيه جماعة جوارٍ للسبيل بسبب الغرباء والمجتازين. فأصلحت ذلك البُدّ وفيه الصنم ووقفت على الغرباء

---

(١) يقول أبو زيد السيرافي: «وبالهند قحاب يعرفون بقحاب البُدّ. والسبب فيه أن المرأة إذا نذرت نذراً ووُلد لها جارية جميلة أتت بها البُدّ ـ وهو الصنم الذي يعبدونه ـ فجعلتها له. ثُمّ اتخذت لها في السوق بيتاً وعلّقت عليه ستراً، وأقعدتها على كرسي لتجتاز بها أهل الهند وغيرهم من سائر الملل ممن يتجاوز في دينه، فتمكّن من نفسها بأجرة معلومة. وكلما اجتمع لها شيء من ذلك دفعته إلى سَدَنَةِ الصنم ليُصرف في عمارة الهيكل»؛ ويضيف أن بعض المحسنين منهم كان يبني خاناً للسابلة ويقيم فيه بقّالاً يبتاع منه المجتازون، ويقيم في الخان فاجرةً من نساء الهند ليزني بها المجتازون، طلباً للثواب (ص ٨٧).

والمجتازين ستين جارية، وكلما بَلَغَتْ جاريةٌ أو أسَنَّت أُقيم بدلها جاريةٌ، فمن زنى بهنَّ من الهند أو المقيمين بالبد، أعطاهم الأجرة؛ ومن زنى بهم من الغرباء لم يعطهنَّ شيئاً[١].

77. وقال: حَدَّثَني بعض البحريين من أمر الحَيَّات بكولم [ملي]ما يُدهش، وذكر أن منها حية تسمى الناغران[a] بنقط على رأسها مثل الصليب [الأخضر] وتحت مثلَه، ترفع رأسها من الأرض مقدار الذراع أو الذراعين على حسب كبر جسمها[b]، ثُمَّ تنفخ فينشر رأسها وأصداغها وآذانها وتصير مثل رأس الأرنب[c]. وإذا سعت لم تُلحق، وتَلحق ما أرادت. وإذا نهشت قتلت.وأن بكولم [ملي][d] رجلاً مسلماً[e] يقال له ابن خالد، يلقب بالهندية بنجي، وهو صاحب الصلاة بكولم، يرقي من نَهَشَتْه هذه الدابّة[f]، فربما كان قد تمكن سمها فلم ينفع؛ وفي الأكثر يعيش من يرقيه. ويرقي أيضاً من نهشته غيرها من الأفاعي والحَيَّات. وأن بهذه الناحية جماعة من الهند يرقون إلاّ أن رقية هذا المسلم لا تكاد تخطئ.

---

(١) في *طبائع الحيوان*: «وفي أراضي لوهوور (لاهور الحالية) مدينة يقال لها راميان فيها صنم مضطجع وحوله أصنام قيام وفيها صنم من صُفْر مموَّه بالذهب وهو صنمهم الأعظم، وله غلاّت كثيرة من العقار والحوانيت في السوق، وله ثلاثون قحبة تُجرى عليهنّ الجراية من غَلاّته والناس يتمتّعون بهنّ مجاناً ويطلبون به الثواب، ولا يبرحن من موضعه الليل والنهار. ويلي هذه المدينة مدينة يقال لها جالهندر وفيها صنم له غلاّت كثيرة وقرى وبيت قحاب ... تليها مدينة يقال لها سلابور ... وفيها بيوت قحاب ولها ثلاثة أسواق كلها أسواق القحاب أجرتهنّ للصنم، فمنهنّ من أجرتها دانق ومنهن من أجرتها دانقان، وأكثر أجرتهنّ درهم لا تزيد عليه. وعلماء هذه المدينة البراهمة. ومدينة أخرى يقال لها بريهون ... وفيها سبع مئة بيت للأصنام ولها غلات وقد رتِّبت لها بيوت قحاب في كل بيت عشر أو اثنتا عشرة منهن، ومن مات منهم من الأغنياء يوصي لبيت الصنم شيئاً من ماله» (٣٨ ب ــ ٣٩ أ).

وقال لي هذا الرجل: وشاهدته وقد جاؤوه برجل قد نهشته هذه الحية وحضر رجل موصوف بالحذق يرقيه ليبرأ، وجعل المسلم يرقيه ليموت فمات [وأنه شاهده أيضاً وقد رقى غير واحد ممن نهشته هذه الحية وغيرها فبرأ وسلم.

وأن ببلاد كولم ملي خاصةً، حيةً صغيرةً ولها رأسان أحدهما الأصغر صغير، يقال لها بطر، وإنما إذا فتحت فمها الأصغر كان مثل منقار العصفور، إذا نهشت بأيِّهما لم يمهل طرفة عين].

78. وحَدَّثَني أبو الحسن قال: حَدَّثَني محمد بن بابشاد قال: رأيت بغبّ سرنديب من أمر الحَيَّات أشياء ظريفة ومن أصحاب الرُّقَى أمراً عجيباً[a]، وشاهدتهم في بعض البلاد القريبة من ترتين نهشت أحدَهم أفعى أو حيّة، رَقَوْهُ؛ فإن نفعت الرُّقْيَةُ[b] وسلم، وإلاّ جعلوه في سرير[c] من خشب فتركوه على وجه الماء مع الجزر في نهر لهم يجري إلى البحر، ودُورهم أو دار أكبرهم على ذلك النهر طولَه[1]. وقد علموا أنه لا يوضع في مثل ذلك السرير إلاّ ملسوع، فمن كان منهم يحسن الرُّقَى أخذ السرير ورقى مَن فيه، فإن نفعت رقيته قام الملسوع ورجع إلى منزله برجليه، وإن لم تنفع تركه مع الماء.

---

(١) يقول البيروني: «ومن رسمهم أن اللسعة إذا نكأت في صاحبها ولم يُظفر براقٍ، أن يشدّوا السليم (أي الذي عضّته الأفعى) على حُزمة قصب ويضعون عليه ورقة مكتوباً فيها: دعاءٌ لمن عثَرَ عليه وأنقذه بالرُّقْية من الورطة» (*تحقيق ما للهند*، ١٥٥)؛ يقول القزويني: «وبها (بالهند) حيات إذا لسعت إنساناً يبقى كالميت فيشدّونه على لوح ويلقونه في الماء، والماء يذهب به إلى موضع فيه مارستان، وعلى الماء من يترصّد الملسوعين، فيأخذونهم ويعالجونهم، فيرجع بعد مدّة إلى أهله سالماً» (*آثار البلاد*، ١٢٩).

ولا يزال بطول البلد يأخذه واحدٌ بعد واحد فيرقيه مَن يحسن الرُّقَى ، فإن نفعت رقيته قام الملسوع وإن لم تنفع سرَّحَه ، فلا يزال كذلك مع الماء حتى يبلغ إلى آخر البلد ، فإذا لم تنفع الرقية فيه حمله الماء حتى يرمي به في البحر ويغرق أو ينفق قبل أن يصل إلى البحر ؛ لأنه ليس في الأمر أن يتركوه على الأرض ، ولا يتمسك به أهله رجاء أن يصلح ، فإن سلم رجع برجليه وإن لم تنفع فيه الرُّقَى فقد مضى.

79. وحَدَّثني محمد بن بابشاد أيضاً أنه قال : رأيت في نهر من أنهار الأغباب التي تجري إلى البحر تجري في الجَزْر[a] جرياً عظيماً والمدّ يجري كذلك.

فمررت في بعض الأيام بذلك النهر والماء قد نزل عن أكثره وظهرت حافتاه ، وإذا بعجوز عليها ثيابها متربِّعة[b] قاعدة على الرمل مع ضفة الماء ، فقلت لها : ما الذي يقعدك ها هنا؟ فقالت لي : أنا عجوز كبيرة وقد عشت مدة طويلة وأكلت من الدنيا قطعة ، واحتجت أن أتقرب إلى خالقي لأنجو. فقلت : فما الذي يقعدك ها هنا؟ فقالت : أنتظر الماء حتى يجيء فيحملني. فما زالت قاعدة في موضعها حتى جاء الماء فحملها وغرَّقها. وقد ذكرت في هذا الجزء في غير موضع من أخبار الهند في قتلهم أنفسهم بضروب القتل ما فيه الكفاية[١].

80. حَدَّثني بعض من دخل الهند أنه رأى بكنبايت[٢] الواحد بعد الواحد يجيء إلى الخور[a] ليغرق نفسه ، فيعطي الأجرة لمن يغرقه ، يتخوَّف أن يدركه

---

(١) تحدَّث المؤلف عن جَلَد الهنود في مواجهة الموت وتحمل الألم (انظر مثلاً : الخبرين 102 ، 131) .

(٢) كَنْبَايت أو كَنْبَاية : وقد تكتب كنبهايت (*تاريخ ألفي*، ٤٥٣) : من مدن بلاد الهند. يقول حوراني : «كَنْبَاية هي كمباي Cambay في الخرائط الإنجليزية على خليج بنفس الاسم» (ص٣١٦). زارها ابن بطوطة (١/٦٢٩، ٧٥) وقال : «كَنْبَايت على مسيرة أربعين يوماً من دلهي». وزارها المسعودي سنة ٣٠٣هـ وقال إنها «على خور من أخوار البحر» (*مروج الذهب* ، ١/١٣٥).

الخوف أو الجزع أو يبدو له في تغريق نفسه، فيعطي الأجرة لمن[b] يضع يده في قفاه ويغطّه[c] في الماء حتى يتلف، وإن صاح أو استعفى أو سأله أن يطلقه، لم يفعل[(١)].

81. وحَدَّثني بعض من دخل بلاد السهال[(٢)] أنه رأى بجزيرة البقر، وهي[a] بين جزيرة سرنديب وبين مندريتين[b]، وهي من الجزائر التي حوالي جزيرة سهيلان بُدّاً للهند عظيماً[c]، وأن الهند يقولون إن هذا البُدّ كان بجزيرة سهيلان فعبر البحر حتى صار بجزيرة البقر وإنه يقيم في كل جزيرة منها ألف سنة ثُمّ يعبر إلى أخرى.

---

(١) يقول البيروني: «أما حقُّ الحيّ في جسده فلا يميل فيه إلى الإحراق إلا الأرملة التي تؤثر اتّباع زوجها، أو الذي مَلَّ حَياته وتبرّم بجسده من مرضٍ عياء وزَمانةٍ لازمةٍ أو شيخوخةٍ وضعف». و إن الطبقة العليا لا تفعل ذلك وإنّما هو مقتصر على طبقة البيش ـ وهم الفلاحون والعمال والرعاة الذين في خدمة رجال الدين البراهمة ـ وطبقة شودر وهم بمثابة العبيد للبراهمة يتصرفون في أشغالهم ويخدمونهم، «ثُمّ لا يفعله مع ذلك ذو فضيلة وإنّما يؤثره بيش أو شودر في الأوقات المرجوّة الفاضلة طلباً لحال أفضل مما هو عليه عند العَوْد. ولا يجوز ذلك بالنصّ لبرهمن أو كشتر (طبقة القُرّاء من رجال الدين). ولأجل هذا يقتل نفسه من يقتلها منهم في أوقات الكسوف أو يستأجر من يغرقه في نهر گنگ (الغانج) ويتولّى إمساكه حتّى يموت» (*تحقيق ما للهند*، ٤٥٧، ٤٨٠؛ انظر أيضاً: *أخبار الصين والهند*، ٨٣).

(٢) يقول إبراهيم خوري عن اسم سرنديب: «أحد أسماء جزيرة سيلان، ومن سنهالا جاءت تسمية سيلان التي شاعت في القرن١٣م واشتقت في رأي بعض الباحثين من لفظ سنهالا أو سيهالا ومعناها عرين الأسود. ومن هنا أيضاً سميت سيهالا دفيبا. ويعيد باحثون آخرون اشتقاق لفظ سيلان في اللغة الجاوية من كلمة سيلا التي تعني حجراً كريماً. وبالتالي يصبح معنى تعبير بولو سيلان، جزيرة الحجارة الكريمة. وتسمى سيلان باللغة المالييزية باتو سيلان أي جزيرة الحجر. أما اسم سيلان الأقدم فهو رتنا دفيبا أي جزيرة الجواهر أو كما عُرفت عند بعض العرب، جزيرة الياقوت (في القرن٩م)، ويسميها اليونان، تابروبان (تعليقاته على *أخبار الصين والهند*، ١٠٦) . يقول حوراني: «كان أهل سيلان في القرن الرابع يسمون جزيرتهم سيهالا Sihala» (ص٢١٢).

82. وحَدَّثَني محمد بن بابشاد قال: رأيت بسَرِبْزة[١] عند امرأة بها، دابةً على صورة بني آدم إلاّ أن وجهها أسود مثل وجه الزِّنْج، ورجليه ويديه طوال أزيد مما عليه الآدمي، وله ذنب طويل وعليه شعر مثل شعر القرد، وهو جالس في حجر المرأة قد تشبث بها.

فقلت لها: ما هذا؟ فقالت: من أهل الغياض والأشجار. وكان يصيح صياحاً ضعيفاً لا يفهم ما هو، وهو قريب من القرد إلاّ أن وجهه وجه بني آدم وخلقته مثل خلقة بني آدم[٢].

83. وحَدَّثَني أن بجزيرة لامري من الزرافة[a] ما لا يوصف كبره، وحكى عمَّن حدَّثه من أهل المراكب الذين كسرهم البحر، أنهم اضطروا إلى المشي من نواحي فَنْصُور إلى لامري وكانوا لا يمشون بالليل خوفاً من الزرافة، لأنها لا تظهر بالنهار، فإذا أقبل الليل، صعدوا على شجرة عظيمة خوفاً منها، فإذا كان الليل أحسُّوا بها تدور حولهم ويرون[b] بالنهار آثار وطئها على الرمل.

وأن بالجزيرة من النمل ما لا يوصف كثرة وخاصة بجزيرة لامري فإن النمل فيها عظيم.

---

(١) عرَّفنا بسربزة فيما مضى وقلنا إنها جزيرة سورابايا الإندونيسية.

(٢) خلال حديثه عن مملكة لامبري (وهي لامري ولا شكّ) قال ماركو بولو: «وبهذه المملكة أناس بذيول طولها شبر كذيل الكلب، ولكنها ليست مغطاة بالشعر. والغالبية العظمى مخلوقون على هذا الشكل، ولكنهم يسكنون الجبال ولا يقيمون في مدن» (٣/٣٦). وعلّق مارسدن على ذلك: «يبدو أن الأصل في فكرة الجبليين ذوي الذيول هو اسم الأورانج أوتان أو الإنسان الوحشي الذي يطلق على بعض أنواع القردة العليا التي تشابه بوجه أخص النوعَ البشري» (٣/١٧٦).

84. وحَدَّثَني أنه سمع بعض البحريين يحكي أن بيولوتينك[١] ـ وهو جون في البحر ـ فيه قوم يأكلون الناس[٢]، لهم أذناب[٣]، وهم فيما[a] بين أرض فَنْصُور وأرض لامري[٤].

85. وحَدَّثَني محمد بن بابشاد أن بجزيرة النيان ـ وهي[a] جزيرة في البحر الخارج بينها وبين فَنْصُور[b] مقدار مئة فرسخ ـ قوما[c] يأكلون الناس أيضاً ويجمعون رؤوس الناس عندهم، ويفتخر الواحد منهم بكثرة ما يجمع من الرؤوس؛ ويشترون سبائكَ صُفْرٍ بالثَّمَن الوافر ويذخرونه مكانَ الذهب، ويبقى في بلادهم الدهرَ الطويلَ كما يبقى الذهب عندنا، والذهب عندهم لا مقام له، بل يكون منه ما يكون من الصُّفْر عندنا؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

(١) في الأصل: بلولويبلنك، لكن استناداً إلى قول المؤلف إن الموضع بين فَنْصُور ولامري، فإننا نجد في هذا الموضع جزيرة بيولوتينك (Belitoeng) Belitung الإندونيسية الواقعة وسط مضيق ملقّا قبالة الجزء الجنوبي الشرقي من سومطرة (عن موقعها على الخرائط، انظر: ...The Times Atlas، الخارطة رقم17)، ونرى أنها بيولوتينك المذكورة أعلاه. ونرجِّح أنها هي نفسها جزيرة فلوفينّج التي ذكرها ابن ماجد في الأرجوزة الملعقية (نسبة إلى ملعقة أي شبه جزيرة ملقّا) (*البعد الجغرافي*، ٨٩):

أمّا فلوفينّجُ قربَ الساحلِ جزيـرةٌ كبيـرةٌ يا سائـلي

(٢) على عهد السفّاح البرتغالي دلبوكيرك الذي استولى على مملكة ملقا سنة ١٥١١م، تحدث عن العقوبات التي كانت قائمة في تلك المملكة فقال: «مَن يحكم عليهم بالإعدام بعضهم يُشنقون وبعضهم يتمّ ضربهم بوحشية، ويعضهم يتم شيّهم على النار ومن ثَمَّ يُقدَّمون طعاماً لبعض أَكَلَة لحوم البشر الذين هم أناس كالمتوحشين من بلاد يقال لها دارو Daru جلَبَهم ملكُ ملقّا ليأكلوا من حُكم عليه بالموت شيّاً» (*السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك*، ٣/ ١٥١).

(٣) في نصٍّ فولكلوري قديم، رأى أحد أبطال *الحكايات العجيبة* (ص١٨٢) في إحدى الجُزُر «خلقاً فيها يذهبون ويجيئون حفاة عراة وعلى (كذا) أذنابهم مثل أذناب الخيل».

(٤) في ع، يَرِدُ بعد «لامري»: «تمَّ الجزء الأول، يتلوه في الجزء الثاني خبر جزيرة النيان إن شاء الله تعالى».

وبعد جزيرة النيان ثلاث جزائر يقال لها براوة، أهلها أيضاً يأكلون الناس ويجمعون رؤوسهم فيتعاملون بها ويقتنونها[(١)].

86. وحَدَّثني أن جميع أهل فَنْصُور[(a)] ولامري وكَلَه وقاقلة وصنفين وغيرهم يأكلون الناس، إلاّ أنهم لا يأكلون إلاّ أعداءهم من طريق الغيظ عليهم، وليس يأكلونهم من طريق الجوع، ويقدّدون[(b)] من لحم الإنسان ويصنعونه من أنواع الصنعة والألوان[(٢)] ويتنقّلون[(c)] به إلى الخمر[(٣)].

---

(١) النيان: يصدق هذا الوصف على جزيرة نياس الإندونيسية الحالية الواقعة قبالة السواحل الوسطى الغربية لسومطرة التي ضربها زلزال مدمّر مساء ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٥م. ذكرها سليمان التاجر ولم يذكر أكلَ أهلِها لحمَ البشر، فقال: «إذا أراد أحدٌ منهم أن يتزوّجَ لم يُزَوَّج إلا بقِحفِ رأسِ رجلٍ من أعدائهم، فإذا قتل اثنين زُوج اثنتين، وكذلك إذا قتل خمسين، زُوِّج خمسين امرأة بخمسين قِحفاً. وسبب ذلك أن أعداءهم كثرٌ، فمن أقدم على القتل أكثر كانت رغبتهم فيه أوفر» (ص٣٢؛ انظر أيضاً: *نزهة المشتاق*، ١/ ٧٧). يذكر ماركو بولو عدة جزر في هذه المناطق أهلها يأكلون اللحوم البشريّة وبعضهم يأكل حتّى أبناء جلدته ممن أصيب بمرض وقرر السحرة أنه لا يمكن شفاؤه منه (٣/٣٠، ٣٥، ٤٠)، يقول عن مملكة فليتش إحدى الممالك الثّمان بجزيرة جاوة الصغرى (جزيرة سومطرة): «معظم سكانها وثنيون، وإن كان كثير ممن يقطنون مدن الموانئ اعتنقوا الدين الإسلامي على يد التجار العرب الذين يترددون عليهم على الدوام. فأما من يسكنون الجبال منهم فيعيشون عيش البهائم، فهم يأكلون لحوم البشر ويتناولون ــ بغير تمييز بين الطاهر والنجس ــ كل أنواع اللحم الأخرى» (٣/٣٠). ويعلق مارسدن: «تشير هذه الصفة بوضوح إلى الشعب المسمى الباتا Battas الذي يسكن شطراً من داخلية سومطرة بالقرب من نهايتها الشمالية والذي لاحظ الرحّالة والكتّاب في جميع العصور أكلهم لحوم البشر، ... إن شعب الباتا لا يعمد إلى ذبح الماشية لاتخاذها طعاماً إلا في المناسبات العامة... إنهم لا يتورعون عن تناول لحم جاموسة ميتة أو خنزير أو فأر أو تمساح أو أي حيوان متوحش» (٣/١٦٩).

(٢) يقول البيروني: «إن جميع أهل فَنْصُور ولامري وكله وقاقلة وصنفين يأكلون الناس» (*الصيدنة*، ١١٥). وينبغي أن تكون هذه البلدان في المناطق المحيطة بسومطرة أو التي فيها.

(٣) التنقُّل: من النُّقل أو النَّقل: ما يُتَنَقَّل به على المشروبات من مكسّرات وفاكهة.

87. وحَدَّثَني أن أهل جزائر لَنْجَبَالوس [a] ـ وهي جزائر كثيرة طولها ثمانون [b] فرسخاً [1] ـ يقصدون المركب ويشترون منهم المتاع يداً بيد، وأنه متى حصل مع أحدهم شيء قبل أن يعطي بدلاً منه، مضى [c] ولم يقدر على استرجاعه منه؛ وربما انكسر المركب ووقع إليهم رجل أو امرأة فيسلم معه شيء من ماله أو ثيابه، فإن كان الذي سلم معه بيده، لم يأخذوا منه شيئاً كائناً ما كان، لأنهم لا يأخذون من يد أحد يقع لهم شيئاً؛ ثُمَّ يقعدونه في منازلهم ويطعمونه مما يأكلون، ولا يأكل الواحد منهم حتى يطعم ضيفه، فإذا أكل الضيف أكل ما يفضل عنه.

ولا يزال عندهم مَن هذه صورته حتى يجتاز بهم مركب، فإذا جاءهم مركب حملوهم إليهم وقالوا لأهل المركب: اعطونا شيئاً وخذوه منا؛ فلا بدّ

(١) لَنْجَبَالوس: جزر نيكوبار الحالية الواقعة قبالة الشواطئ الشمالية لجزيرة سومطرة، و تكتب لنگبالوس أيضاً. يقول البيروني: «من المعلوم عند أهل البحر أن سبب توحش أهل جزيرة لنگبالوس هو أكلهم الناس» (*تحقيق ماللهند* ١٩٨، ٢٦٣). قال سليمان التاجر إنهم لا يفهمون لغة العرب وإنهم يتبايعون معهم بالإشارة فيبادلونهم قطع الحديد بالعنبر وإنهم حاذقون بالسباحة فربما استلبوا من التجار الحديدَ ولا يعطونهم شيئاً (ص٣٦، ٣٧). وقال ابن خرداذبه: «أهلها عراة وطعامهم الموز والسمك الطري والنارجيل وأموالهم الحديد وهم يجالسون التجار» (*المسالك والممالك*، ٦٦). وفي *مروج الذهب*: «جزائر لَنْجَبَالوس وهم أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في القوارب عند اجتياز المراكب بهم، معهم العنبر والنارجيل وغير ذلك، فيتعاوضون بالحديد وشيء من الثياب» (١/١٧٣؛ *نزهة المشتاق*، ١/١٧٣). ويقول المروزي عنها: «في بحر الهند جزيرة تسمى لنكبالوس ويقال إنها سبع مئة فرسخ في مثلها، لا يُفهم لسان أهلها، وفي بحرهم العنبر» (*طبائع الحيوان* ٤٣ ب – ٤٤ أ)؛ وفي *بسط الأرض*: « هي عدةٌ أكبرها ثلاث، وأهلها سود مشوهون يقطعون على المسافرين وفيهم من يأكل الناس وهم مجاورون لخط الاستواء وعرض البحر، بينهم وبين جزيرة السيلان نحو مجراوين» (ص٣٩).

لأهل المركب أن يعطوهم شيئاً عنه ويأخذوه[d]. وربما كان الذي يقع لهم شهماً[e] فيخدمهم ويفتل الكنبار[1] ويبيعه عليهم بالعنبر ويجمع شيئاً إلى وقت اجتياز المراكب، فيجمع شيئاً في مقامه عندهم.

88. قال: حَدَّثَني بعض من دخل بلاد الهند أنه سمع أن الألماس[a] الجيد النادر المرتفع يجلب من نواحي قشمير وأن هناك وادياً[b] بين جبلين، فيه نيران تتّقد الليلَ والنهارَ والشتاءَ والصيفَ، والألماس فيه ولا يطلعه إلاّ طائفة[c] من الهند سِفْلة يحملون أنفسهم على المهالك. فيجتمع الجماعة منهم ويقصدون هذا الوادي ويذبحون الغنم المهزولة ويقطعونها قطعاً ويقذفون بالقطعة بعد القطعة في كفة منجنيق يعملونه، لأن التقرب من الموضع لا يمكنهم لجهاتٍ شتى منها أن وهج النار يمنع من ذلك، ومنها أن بقربَ[d] النار من الأفاعي والحَيَّات ما لا يوصف كثرة ومنها[e] ما لا يمهل حتى يُتْلِف، فيتخوف من يقرب من الموضع تلك الأفاعي.

فإذا قذفوا باللحم انحدرت عليه النسور ـ وهي كثيرة في الموضع ـ فتخطفه إن وقع بعيداً من النار، فترفعه؛ فإذا رأوا النسرَ قد أخذ اللحم اتَّبعوه حيث يمضي، فربما سقط من قطع اللحم التي أخذها شيء الألماس، وربما انحدر فأكلها في

---

(١) الكنبار: ليف أشجار النارجيل (جوز الهند)، يُفتل لتصنع منه الحبال أو تُنسج منه بُسُط توضع تحت السجاجيد لمنع الرطوبة كان يؤتى به لهذا الغرض إلى العراق ويسمَّى الكنبار أيضاً، ويقول الدكتور أندريو واطسون في *الإبداع الزراعي*: «وربما كانت شجرة جوز الهند قد نشأت في أرخبيل الملايو أو في أوقيانوسية» (ص ١٢٨). كانت السفن الشراعية التي تمخر عباب المحيط الهندي ذاهبة إلى الصين تُشد أجزاؤها إلى بعضها بواسطة حبال الكنبار، يقول ابن سعيد عن هذا المحيط وهذا النبات: «النارجيل الذي يصنعون منه حبال مراكبهم ويخرزون ألواحها منه» (*بسط الأرض*، ١٩).

موضع فيجدون في الموضع الذي أكل فيه اللحمَ الألماسَ، وربما سقطت القطعة اللحم في النار فتحترق، وربما سقط النسر عليها وقد حصلت في موضع بقرب النار فيحترق معها أو يتشيّط[1]، وربما اختطفها النسر قبل سقوطها إلى الأرض، وعلى حسب ما يتفق[2].

فهكذا يوجد الألماس، وفي الأكثر يتلف من يطلبه بالأفاعي والحَيّات لكثرتها في الموضع[f]. وملوك الناحية يطلبون الألماس ويشددون في [طلبه و] طلب من يلتمسه ويفتشونهم أشد تفتيش لجلالة الألماس وعظيم[g] خطره[3].

---

(١) شاط: احترق، ومايزال متداولاً بهذا المعنى في العراق، فيقولون: شاطت القِدْر، ويقولون: شاط فلان، أي استشاط غضباً.

(٢) وردت طريقة جمع الألماس من وادٍ محفوف بالمخاطر المهلكة بواسطة اللحوم والنسور في إحدى قصص السندباد من *ألف ليلة وليلة* (١٠/٢، الليلة ٥٤٤). ومن بين المصادر المبكرة بهذا الشأن كتاب *الجواهر وصفاتها* ليوحنا بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣هـ، حيث ورد فيه: «فيُعمد إلى اللحم الطري فيُلقى إلى ذلك الوادي، والنسور تنظر إليه. فتهوي خلفه فتصير إليه وقد سقط إلى أسفل الوادي فيلصق به الألماس وهو صغار، فتحمله حتّى يصير إلى الأرض ثُمَّ تنهشه وتأكله، فيسقط الألماس إلى الأرض فيُلتقط. وهذه النسور معوَّدة بهذا اللحم» (ص٤٧؛ *الجماهر*، ١٨٢؛ انظر أيضاً: *جَهَانْ نامَه*، ٩٤؛ *هَفْتْ كِشْوَر*، ٤٢؛ *الجَعْرافِيَة* للزهري، ١٥٦).

(٣) نقرأ في *نُزْهَتْ نامه عَلائي*: «ومعدن الألماس في أقصى خراسان أسفل وادٍ لا يدرك قعره ولا يمكن لأحد الوصول إليه، وفيه أفاعٍ كثيرة. وكل من وقعت عليه عين واحدة منها مات. وإن تلك الخاصية موجودة فيها ما دامت على قيد الحياة، فإن ماتت زال ذلك التأثير عن عينها. وحين قَدِمَ الإسكندر الرومي قدَّمَ مرايا كثيرة حُملت أمامه كي تموت الأفاعي عند رؤيتها أنفسها في المرايا. وقد ابتكر الناس وسيلة للحصول على الألماس وذلك بأن يذبحوا خرافاً ويقطعوا لحمها إرباً ويلقوه هناك ليلتصق به الألماس فتأتي الطيور لتحمل اللحم طعاماً لها وتطير، فيتساقط الألماس منها قطعاً صغاراً وكباراً» (ص٢٦٠). و بحسب *نزهة القلوب* (ص٢٠٣) فإن هذا الموضع في سرنديب.

89. وحَدَّثَني إسماعيلويه الناخذاه قال: اجتمع لي في كَرَّة واحدة وردتُ فيها من كَلَه[١] إلى عُمَان ـ وذلك في سنة سبع عشرة[a] وثلاث مئة ـ ما لم يجتمع لناخذاه قبلي؛ خطفتُ من كَلَه[b] فلقيني في طريقي سبعون بارجة[c][٢]، فحاربتهم ثلاثة أيام متوالية وأحرقت عدة منها وقتلت جماعة، وتخلّصتُ وقطعتُ من كَلَه إلى أن وصلت إلى شط العرب يعني شِحْر لبان[d] في واحد[e] وأربعين يوماً[٣]؛ فأخذ السلطان بعُمَان من عشور الأمتعة التي في مركبي ست مئة ألف دينار وترك على الناس من العشور في بضائع وغير ذلك مما سامحهم فيه ما لعلّه يكون نحو مئة ألف دينار سوى ما سرق من العشور ولم يوقف عليه. وهذه ثلاثة أشياء اجتمعت في كرّة واحدة تتفق، لم تجتمع ولا متفرقة لأحدٍ وَرَدَ هذه الناحية قطّ.

90. وقال [١٩٩] حَدَّثَني موسى بن ميمون الرَّبّان قال: حدثنا البلوجي المتطبّب بعُمَان قال: كنت بالتيز[٤] وقد وقعنا إليها بالتواهة[٥] فأنزلنا المركب ونجلنا[a] الحمولة[٦] وأقمنا ننتظر الشرتا[b].

---

(١) كله: كرا في سيام (تايلند الحالية) على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو (*العرب والملاحة*، ٢١٣).

(٢) البارجة وجمعها بوارج وهي الزوارق (*تحقيق ما للهند*، ١٦٧)، وتستخدم اليوم للسفينة الحربية.

(٣) الشحر: مدينة في محافظة حضرموت اشتهرت بوجود اللُبان فيها، في *الصيدنة*: اللُبان: وبالفارسية: الكُنْدُر، يجلب من بلاد الشحر... إن شجرة الكندر تشدخ بالفؤوس فيخرج منها اللبان (ص ٥٤٤، ٥٥٢). ولشهرة الشحر به نسبت إليه. وكان فيها سوق من أسواق العرب (*الآثار الباقية*، ٣٢٨).

(٤) التيز: الميناء الرئيس في إقليم مُكْران (القسم الجنوبي الشرقي من إيران المحاذي لباكستان). نقرأ في *نزهة المشتاق*: «التيز على البحر، مدينة صغيرة مشهورة عامرة تقصدها مراكب فارس» (١/ ١٧٣).

(٥) وقعنا إليها بالتواهة: وصلنا إليها لكوننا ضللنا الطريق.

(٦) نجلنا الحمولة: نقلنا حمولة المركب إلى الساحل. الشرتا هي الرياح الموسمية.

فإنّا لكذلك يوماً من الأيام، إذ وافت امرأة لها قَدٌّ وتمام وجسم حسن، ومعها شيخ أبيض الرأس واللحية ضعيف الجسم نحيف فقالت: أشكو إليكم هذا الشيخ وكثرة مطالبته لي فإني لست أطيقه، فلم نزل نرفق بها إلى أن وافقناه على أن يطأها في اليوم دفعتين وفي الليل كذلك[c]. فلما كان بعد أيام عادت إلينا فشكت إلينا مثل ما شكت أولاً، فقلنا: يا هذا! أمرك عجيب، فما خبرك[d]؟

قال: كنت في مركب فلان في سنة كذا فأصيب، وتخلصت مع جماعة من أهل المركب على الشراع ووقعنا بجزيرة فمكثنا أياماً لم نُطعم شيئاً حتى أشرفنا على التلف، ثُمَّ وقعت سمكة ميتة[e] قد قذفها الموج إلى الساحل، فتحامى القوم أكلها خوفاً أن تكون أكلت شيئاً من السموم فنتلف، وحملتُ نفسي ـ للجهد[f] الذي كان عليَّ ـ أكلَها وقلت: إن تلفتُ استرحت مما أنا فيه، وإن عشت كنت قد عملتُ عملاً. فأخذتها والقوم يمنعونني وجعلت آكلها غير مشوية، فلما حصل لحمها في جوفي التهب في ظهري مثلُ النار ثُمَّ صار بطول ظهري كعمود من نار، فأنا منذ ذلك الوقت وإلى يومي هذا على هذه الصورة.

[قال: وكان له منذ أكلِهِ السمكةَ سنين كثيرة[g]].

91. وتذاكرنا أمر إسماعيلويه بن إبراهيم بن مرداس[a] فقيل لي إنه وصل في سنة سبع عشرة وثلاث مئة، وكان وصوله منذ خطف من كَلَه وإلى أن دخل بكَلاّء[1] عُمَان[b]، ثمانية وأربعين يوماً. وورد في تلك السنة كاوانُ من سرنديب وبلغ عشور[2] مركبه ست مئة ألف دينار إلاّ مركب[c] إسماعيلويه.

---

(١) الكلاّء: كل مكان تُرْفأ فيه السفن وهو ساحل كل نهر (*معجم البلدان*، ٤/ ٢٩٣).

(٢) العشور: ضريبة تؤخذ على البضائع نسبتها العُشْر منها.

92. وقال: حَدَّثَني موسى بن نهرويه التاجر وغيره قال: حدثنا من دخل الصين أنه رأى بستاناً لبغبور ملك الصين بخانفو مقدار عشرين جريباً[a] فيه نرجس ومنثور وشقائق وورد وسائر الأنوار[١]، فعجبت من اجتماع أنواع الصيف والشتاء[b] في وقت واحد في بستان واحد.

فقال لي: كيف ترى؟ فقلت: ما رأيت شيئاً إلاّ وهذا أحسن منه، ولا طرفة إلاّ وهذا أطرف منها. فقال لي: جميع ما ترى من الأشجار والأنوار والأوراق معمول من الحرير.

فتفقّدته بعد أن قال لي هذا، فوجدت الورقَ والأنوارَ من الحرير الصيني قد عُمل بالمقاريض وسُوّي، ومن رآه لم يشك [٢٠٠] في أنه شجر ونَوْر لا غير[c].

93. وبأندمان الكبير بيت كبير[a] من الذهب فيه قبر يعظّمه أهل أندمان، ولشدة تعظيمهم إياه بنوا عليه بيتاً من الذهب؛ وأهل الجزيرتين يزورونه ويقولون إنه قبر سليمان بن داود عليه السلام، وإنه كان دعا الله عز وجل أن يجعل قبره حيث لا يصل إليه أهل ذلك العصر، وإن الله تعالى خصّهم به فجعل قبره عندهم؛ فأندمان[b] لم يقع إليها أحدٌ عاد إلينا، وإنما حكى لي بعض من دخل بلاد الذهب أنه رأى بصنفين رجلاً[c] ذكر أنه وصل إلى أندمان في جملة أهل مركب كانوا فيه وأُكلوا ولم يتخلص غيره، وأنه حدّثه بهذا الحديث[٢].

---

(١) الأنوار: مفردها النَّوْرة وهي الزَّهرة.

(٢) إن كون سكان أندمان متوحشين من أكلة اللحوم البشرية، يقتلع من الأساس قصة كونهم يقدسون قبر النبي سليمان وينفي حديثهم عن الله سبحانه. ويمكن أن يكون القبر هيكلاً وثنياً أو قبراً لأحد أسلافهم. و بحسب *ألف ليلة وليلة* (٣٤/٢، الليلة ٥٦٣)، فإن قبر سليمان موجود في إقليم الملوك الإندونيسي.

94. وقال: حَدَّثني غير واحد من البحريين بأمر الدُّرّة المعروفة باليتيمة. وإنما سميت اليتيمة لأنه لم يوجد لها أخت في الدنيا، وأجودهم شرحاً للقصة حدّث أنه كان بعُمَان رجل يقال له مسلم [بن بشر]، وكان رجلاً مستوراً جميل الطريقة وكان أحد من يجهِّز الغاصةَ[a] في طلب اللؤلؤ، وكانت بيده بضاعة فلم يزل يجهز الرجال للغوص ولا ترجع إليه بفائدة، حتى ذهب جميع ما كان يملكه ولم يبق له جملة ولا ذخيرة[b] ولا ثوب ولا شيء يجوز بيعه إلاّ خلخال من خمس مئة دينار[c] لزوجته، فقال لها: أقرضيني هذا الخلخال لأجهّز به فلعلّ الله يسهّل علينا[d]. فقالت له: يا هذا الرجل! لم يبق لنا ذخيرة ولا شيء نعول عليه، وقد هلكنا وافتقرنا، فلأن نأكل هذا الخلخال أصلح من أن نُتْلِفَهُ في البحر. فلاطفها وأخذ الخلخال وصرفه وجهز بجميعه الرجال إلى الغوص وخرج معهم. ومن رسم الغوص أن يقيم الغاصة[e] فيه شهرين لا غير وعلى هذا يشارطون.

فأقاموا يغوصون تسعة وخمسين يوماً ويخرجون الصدف ويفتحونه ولا يحصل معهم شيء، فلما كان غداة اليوم الستين[f] غاصوا على اسم إبليس لعنه الله، فوجدوا فيما أخرجوا صَدَفةً استخرجوا منها حبة لها مقدار كبير لعل ثمنها يفي بجميع ما كان يملكه مسلم من لدن كان وإلى وقته ذلك.

فقالوا[g]: هذا وجدناه على اسم إبليس لعنه الله؛ فأخذها ودقّها[h] وسحقها ورمى بها في البحر. فقالوا: يا هذا الرجل! لم فعلت هذا؟ أنت قد افتقرت وهلكت ولم يبق لك شيء يقع بيدك مثل هذه الحبة التي لعلها تساوي آلاف دنانير، تسحقها[i]؟

فقال: سبحان الله! كيف أستحل [أن] أنتفع بمال استخرج على اسم إبليس وأنا أعلم أن الله عز وجل لا يبارك فيه، وإنما وقعت هذه الحبة بأيدينا ليختبر الله بها يقيني ويعرف من تعرّف خبرها اعتقادي. ولئن[j] أنتفع بها ويقتدي كل أحد بعدي بي فلا يغوصون إلاّ على اسم إبليس لعنه الله، فإثمُ [٢٠١] ذلك يعفّي على كل فائدة عظيمة. ووالله لو كان مكانها كل لؤلؤ في البحر ما تلبّستُ به. امضوا وغوصوا وقولوا: باسم الله وعلى بركة الله.

قال: فغاصوا على اسم الله، فما صلى صلاة المغرب من ذلك اليوم وهو آخر يوم من الستين حتى حصل بيده دُرّتان إحداهما اليتيمة والأخرى دونها.

فحملهما إلى الرشيد وباع عليه اليتيمة بسبعين ألف دينار والصغرى بثلاثين ألف دينار[k] وانصرف إلى عُمَان بمئة ألف دينار، فبنى بها داراً عظيمة، واشترى واعتقر عقاراً[l]، وداره معروفة بعُمَان وبعض حيطانها وأبنيتها باقٍ إلى هذا الوقت. فهذا ما كان من خبر [الدُّرّة] اليتيمة[١].

95. حَدَّثني يونس بن مهران السِّيرافِيّ التاجر ـ وقد كان دخل الزَّابَج ـ قال: رأيت في البلد الذي فيه مهراجا الملك بالزَّابَج من الأسواق العظيمة ما لا يحصى، وعددتُ[a] في سوق الصيارف بهذا البلد ثمان مئة صيرفي سوى ما في البلد من الصيارف المتفرقين في الأسواق. وحكى من أمر جزيرة الزَّابَج وعمارتها وكثرة البلدان والقرى فيها ما لا يقع عليه وصف.

---

(١) هناك من يرى أن الدرة اليتيمة عُثر عليها في جزيرة خارك (*الجماهر*، ٢٤١،٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤؛ *المسالك والممالك* للإصطخري، ٣٠؛ *الجغرافيا* لحافظ أبرو، ١/٢٣٠)؛ وقال الجاحظ إنها من بحر القلزم (البحر الأحمر) (*التبصُّر بالتجارة*، ١٩؛ *نوادر التبادر*، ١٥٣). وفي *نخبة الدهر*: «الدرة اليتيمة، حملها مسلم بن عبد الله السيرافي إلى الرشيد فابتاعها منه بتسعين ألف دينار» (ص٨٦).

96. قال: ومن طرائف الأخبار[a] ما حَدَّثني به بعض أصحابنا قال: ركبت في سفينة من الأُبُلَّة[1] أريد عُمَان[b] فأخذتنا الرياح والأمواج، وزاد الأمر علينا حتى نزعنا ثيابنا ولم يكن عندنا شك في أنّا تالفون، وكان في السفينة امرأة معها صبي وكانت ساكنة[c]، فلما اشتدّ بنا الأمر أخذت ترقّص الصبي وتضحك؛ ولم يكن فينا فضل لخطابها لأنّا كنّا يئسنا من الحياة.

فلما صرنا في الشط وأمنّا الغرق قلت لها: يا هذه الإمرأة! أما تتقين الله عز وجل، أنت ترين ما حلّ بنا من البلاء وإنّا قد يئسنا من الحياة وأنت ترقّصين الصبيّ وتضحكين، ما خفتِ الغرق كما خفنا؟ فقالت لنا: لو سمعتم حديثي، لعجبتم وما أنكرتم عليّ صبري وتهاوني بالغرق. قلنا لها: حَدِّثينا.

قالت: أنا امرأة من أهل الأُبُلَّة وكان لوالدي صديق من ربّانِيَّة المراكب المختلفة[2] من عُمَان إلى البصرة، وكان إذا ورد المركب الذي هو [فيه] من عُمَان، نزل إلينا وأقام عندنا أياماً وأهدى إلينا [وإذا أراد الخروج فعلنا][d] مثل ذلك وأهدينا إليه ما يمكننا؛ وكان رجلاً مستوراً، فزوّجني أبي به، فما مضت إلا ثلاث سنين حتى توفي أبي، فقال لي: قومي أحملك إلى عُمَان فإن لي بها والدة وأهلاً [٢٠٢]، فخرجت معه إلى عُمَان وكنت مع أهله بها مقدار أربع سنين

(١) الأُبُلَّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. وهي أقدم من البصرة (*معجم البلدان*، ١/٩٧). كانت ميناء مهماً في العصور الإسلامية الأولى تنطلق منها السفن المتجهة إلى عُمَان والسند والهند والصين (*المسالك والممالك* لابن خرداذبه، ١٥٤). تحدث الإدريسي عن سعة عمارتها وبساتينها ورفاهية أهلها (*نزهة المشتاق*، ١/٣٨٤).

(٢) المختلفةمن عُمَان إلى البصرة: المتردِّدة بين عُمَان والبصرة.

وهو مختلف[e] بين عُمَان والبصرة. ثُمَّ توفي بعُمَان بعد أن وُلد هذا الصبي بخمسة أشهر. فلما انقضت العِدَّة لم يطب لي المقام بعُمَان لأن مقامي إنما كان بسببه، فقلت لوالدته وأهله: أريد أن أرجع إلى أهلي بالأُبُلَّة، فقالوا لي: إن أقمت عندنا قاسمناك حَيَاتَنا فليس لنا في هذه الدنيا غير هذا الصبي؛ وسألوني فأَبَيْتُ.

فلما عزمت على الخروج اشتريت للصبي سريراً وثيقاً من خيزران[وجعلت] فيه ثويبات[f] كنت قد جمعتها، وحُليّات لي، وللصبيِّ ذخيرة كنت قد ذخرتها، وغطَّيتُ ذلك كُلَّه وأحكمته وجعلت الصبيَّ فوقه.

وخرجت في مركب [يريد البصرة]، فلما صرنا بخَوْرِ فُكَّان[1] أخذنا الخِبّ[g] فانكسر المركب نصف الليل وتفرّق الركاب والبانانية في البحر، فلم يرَ أحدٌ صاحبه[h]، وتعلقتُ بلوح من الألواح فضبطته ولم أزل عليه إلى نصف النهار من الغد[i] حتى رآنا صاحب مركب مجتاز، فجمع من رأس الماء نحو عشرة أنفس كنت أحدهم وحملنا إلى مركبه ونكّسوا رؤوسنا حتى قذفنا الماء الذي شربناه في البحر، وسقونا أدوية وعالجونا إلى الغد حتى رجعتْ نفوسنا إلينا؛ وأنا قد نسيت[j] ابني لما أنا فيه وزال الفكر فيه عن قلبي.

فلما كان من غدٍ قال صاحب المركب ـ وأنا أسمع ـ انظروا هذه المرأة ألها لبنٌ، لأن هذا الصبي الذي وجدناه هو ذا يموت؟ فقالوا لي: يا امرأة! ألكِ لبنٌ؟

فذكرتُ الصبيَّ، فقلت: قد كان لي لبن، ومع ما مرّ بي فما أقدّر أنه قد بقي منه شيء. فقالوا: على كل حال انظري هذا الصبيَّ فإنه يموت[l].

---

(١) يقول ياقوت: الخور عند عرب السواحل كالخليج يندّ من البحر... خَوْرُ فُكّان: بُلَيْدٌ على ساحل عُمَان يحول بينه وبين البحر الأعظم جبلٌ وبه نخل وعيون عذبة (*معجم البلدان*، ٢/٤٨٨، ٤٨٩).

فجاؤوني بالسرير وفيه الصبي بحاله ما فتحوه ولا أخذوا منه شيئاً. فكما رأيته وقعت على وجهي وصرخت وغشي عليّ، فرشّوا عليَّ الماء وقالوا ماتت. فأفقتُ بعد ساعة وأقبلتُ أبكي وأضمُّ الصبي إليَّ. قالوا: يا هذه المرأة ما لك؟ فقلت: هذا الصبي ابني.

فقام صاحب المركب واجتمع كل من في المركب عليَّ وقالوا: هذا ابنك؟ فقلت: نعم. فقالوا: إن كان ابنك فأيشٍ الذي فيه؟

فأقبلتُ أعدُّ لهم ما تحته، ففتحوه وجعلوا [٢٠٣] يخرجون شيئاً شيئاً كأنه إنما وُضِعَ الساعة، فما منهم أحدٌ إلاّ بكى بكاءً عظيماً وحمدوا الله وشكروه.

فأنا غرقتُ في ذلك البحر وفرّق الله بيني وبين ابني، فجمعني الله وإيّاه على تلك الصورة، أخاف من هذه الوَحلة[m] ؟ إن كَتَبَ اللهُ عليَّ الغرق، لم ينفعني الحذر.

97. وحَدَّثني بعض تجار سيراف قال: ركبت في مركب من عُمَان يريد البصرة، وكان في المركب جارية منصورية[١] جميلة الوجه فارهة، ورأيت أحد بانانية المركب يومئ إليها في الوقت إذا قرب من البلنج[٢]، ولم يكن يقدر عليها لكونها في البلنج. فلما قربنا من خارك[a] تغيّر البحر وأخذَنا الخِبّ فأصيب المركب، واتّفق أن تعلقت بالشراع وقد تعلق به قبلي جماعة فيهم الجارية المنصورية وذلك الباناني الذي كان يولع بها، فجعل يراودها عن نفسها وهي ترفسه برجلها وتمنعه بقية نهارها والأمواج ترفعنا وتضعنا إلى أن وضعت الجارية

---

(١) نسبة إلى مدينة المنصورة التي عرّفنا بها فيما مضى.

(٢) البلنج: الحجرة في السفينة.

وتمكن منها فوطئها وأنا أرى، وليس فينا فضل للقيام ولا خطابِهِ ولا قدرة على منعه ولا الفكر أيضاً فيه لأنّا هالكون[b] في البحر. وأصبحنا وقد تلفت الجارية وسقطتْ عن الشراع في البحر مع أكثر من سلم على الشراع[١].

98. وحَدَّثني أنه كان بصيمور رجل من أهل سيراف يقال له العباس بن ماهان، وكان هُنَرْمَن المسلمين بصيمور ووجه البلد والمُنْضَوى[a] إليه من المسلمين[٢]، فدخل بعض بانانية المراكب وكان من أهل الفَجْر[٣][b]، فمرَّ بصيمور فرأى فيه صنماً على صورة جارية في نهاية الحسن، فطلب غفلة من القُوَّم[٤] وتقدم إليها فأنزل بين أفخاذها، وأجتاز به ⟨واحد⟩ من القُوَّم، ففزع وتباعد وفطن به القيِّم فتقدم إلى الصنم فوجد بين أفخاذه ماءً، فتعلَّقَ بالرجل

---

(١) فضل: قوّة. وقد تحدَّثت إحدى قصص *ألف ليلة وليلة* (٧١٨/١، الليلتان ٤٦٦، ٤٦٧)، عن امرأة على ظهر سفينة وكانت حاملاً، فهاج الموج وتحطَّمت السفينة ونجت هي على لوح وولدت الصبي على ذلك اللوح، ثمَّ إن أحد الملاَّحين راودها عن نفسها وهي على تلك الحال، فلما رفضت أخذ الصبي من حجرها وقذف به في البحر فابتلعته الأمواج، فازداد كربها ودعت الله أن ينجيها من ذلك الملاَّح، فخرجت دابَّة من البحر فاختطفته من ذلك اللوح، فبقيت وحدها على اللوح إلى أن أنقذتها سفينة كانت مارَّة في نفس المياه، وحين أصعدوها إلى ظهر السفينة فوجئت بطفلها موجوداً بينهم فرمت بنفسها عليه وسألتهم عن خبره فقالوا: «بينما نحن نسير في البحر إذ حَبَّسَت (علقت أو توقفت) السفينة، فإذا دابَّة كأنها المدينة العظيمة وهذا الصبي على ظهرها يمصُّ إبهامه فأخذناه».

(٢) هُنَرْمَن: فسَّرها المؤلف في الخبر رقم 114 وقال: الهُنَرْمَن: هو مثل القاضي في بلاد الإسلام، ولا يكون الهُنَرْمَن إلا من المسلمين. وقد وردت لدى المسعودي بشكل الهزمة، وفسَّرها بقوله: «الهزمة يُراد به رئاسة المسلمين، وذلك أن الملك يملِّك على المسلمين رجلاً من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة إليه» (*مروج الذهب*، ٢٤٨/١). أما صيمور فهي Chaul الواقعة إلى الجنوب من بومباي.

(٣) من أهل الفجر: من أهل الفجور.

(٤) القوَّم: جمع قَيِّم، وهو القائم على خدمة ذلك الصنم.

ورفع من ساعته إلى الملك بصيمور وعرف الصورة، وأقرّ الرجلُ بما فعل، فقال: ما ترون؟ فقالوا: يطرح للفيلة حتى تدوسه. وقال آخر: يقطّع قطعاً. فقال: لا يجوز هذا فإنه من العرب، وبيننا وبينهم شروط، ولكن يمضي واحد منكم إلى العباس بن ماهان هُنَرْمَن المسلمين فيقول له: ما حكم الرجل منكم إذا وجد في مسجد من مساجدكم ‹يزني› بامرأة؟ وانظروا ما يقول فافعلوا به.

فمضى إليه أحد الوزراء واستفتاه، فأحبَّ العباس بن ماهان أن يعظِّم أمر الإسلام عندهم[c] فقال: إذا وجدنا أحداً على هذه الصفة قتلناه؛ فقتلوا الرجل.

فاتصل الخبر بالعباس وكيف جرت هذه القضية، فخرج من[d]صيمور سرّاً من الملك خوفاً أن يمنعه من الخروج عن بلده لمحلّه وموضعه[١].

99. وحَدَّثَني داريزين السِّيرافِيّ وهو أخو امرأة عبيد الله بن أيوب، وعبيد الله خال عبد الله بن الفضل القاضي، قال: كنت بخانفو[a]ـ وهي قصبة الصين الأكبر[٢] ـ يوماً إذ قيل لي: في غد يدخل البلد واحد من حجّاب بغبور قد وافى من بعض النواحي. فجلس الناس من غدٍ في الطريق الذي يجتاز ‹به› للنظر إليه، وابتدأ أصحابه يدخلون طلوعَ الشمس قطعةً [قطعةً] إلى وقت العصر ثُمَّ أُدخل الحاجب نفسه، وإذا معه من الرجال نحو مئة ألف فارس.

100. ومن الأخبار الطريفة[a] ما حَدَّثَني به العباس بن ماهان هُنَرْمَن[b] صيمور أن بعض التجار أخبره عن نفسه أنه جهّز مركباً من سندان أو صيمور (الشك مني)، وأنه سلَّم إلى وكيله في المركب خشبة طويلة من الساج عليها

---

(١) من الممكن أن يكون العبّاس بن ماهان خائفاً على حَياته من أهل ذلك الباناني (الملاح) المظلوم أو من يمتُّ إليه بصلة والذي أُزهقت روحه بسبب فتواه.

(٢) قوله إن خانفو هي قصبة الصين الأكبر خطأ واضح، فخانفو كما مرَّ بنا هي قصبة الصين الأصغر.

علامة[1] وقال له: بِعْ هذه واشترِ[c] بثمنها كذا وكذا من السقط، وكتب له بذلك تذكرة؛ وخطف المركب.

فلما كان بعد شهرين أو زيادة عليها وأنا جالس في منزلي وإذا برجل قد وافى فقال لي: قد دخلت الخور خشبة طويلة عليها اسمك، فقمت أعدو[d] وليس عقلي معي، فأنظر فإذا الخشبة بعينها، فلم أشك أن المركب انكسر في البحر، لأنها خشبة طويلة تحت الخشب فلم يمكن إخراجها من المركب في وقت الخِبِّ وطَرْح المتاع إلى البحر. وزال الشك عني في أن المركب أصيب، فجاء الناس فعزّوني وتعزّيت عن المركب وما فيه وعدت إلى شغلي وليس عندي البتّة[e] شك في أنه تلف، لأنه ما جاءنا من البحر أحدٌ عنده خبر.

فما مضى إلاّ شهران أو نحوهما حتى جاءني البشير فقال: مركبك قد طلع؛ فقمت مبادراً فإذا بالمركب قد شارف البلد، ونزل الوكيل منه وجاءني فسألته عن الخبر فقال: سلامة وعافية، فقلت: هل ذهب منكم شيء أو طرحتم إلى البحر شيئاً؟ فقال: لم يذهب منّا خَلالة[2]. فحمدت الله كثيراً فقلت له: ما فعلت تلك الخشبة الفلانية؟ فقال: بعتها بنيف وثلاثين ديناراً واشتريت لك بالثمن.

وكثر تعجبي من ذلك. ثُمَّ تحاسبنا فحاسبني على ثمنها.

فقلت: لا بدّ أن تصدْقَنِي عن هذه الخشبة، وعزمتُ عليه.

فقال لي: إني لَمّا حوّلت جميع ما في المركب إلى الساحل، وقع بعُمَان خِبٌّ عظيم في البحر، فحملت الأمواج الأخشاب إلى البحر وقلب البحرُ الرملَ على الساحل فغطى ما شاء الله أن يغطيه من الأخشاب، فلما كان من الغد جمعت

---

(١) الساج: هو الخشب المعروف بصلابته الذي يستخدم في صنع الأثاث وغيره، يسمّى في العراق: الصاج.

(٢) الخَلالة: التمرة التي لم يكتمل نضجها بعد.

الرجال وطلبنا الأمتعة فلم نفقد شيئاً غير الخشبة الطويلة، فقلت لعلّ الرمل قد سَفَا عليها فغطاها، فاستأجرت من حفر في الساحل ليطلبها فما وقعنا لها على خبر. وإذا الأمواج قد قذفتها إلى البحر فعادت إلى صاحبها.

وهذا من أطرف ما سمعته في هذا المعنى.

101. وخرج في سنة اثنتين[a] وأربعين وثلاث مئة مركب لبعض التجار بالبصرة من عُمَان إلى جُدَّة ولحقه الخِبّ في بعض نواحي شِحْر لُبان، وطرحوا إلى البحر شيئاً من الحمولة وفيما طرح خمسة أعدال قطن حليج[b] وسلم المركب.

واتفق أن خرج مركب لهذا التاجر في هذه السنة أيضاً من البصرة يريد عدن وغلافقة، فلما صار إلى تلك الناحية من شحر لُبان، انقطع القارب أو الدونيج من خلف المركب وأخذته الأمواج فطرح البانانية نفوسهم في القارب أو الدونيج ومضوا خلفه ليأخذوه[c]، فدخل موضعاً شبيه البطن في البحر فدخلوا خلفه فإذا على الساحل خمسة أعدال قطن حليج[1] بعلامة صاحب المركب، فحملوها في القارب، ورزق الله السلامة.وقد كانوا قدّروا أن مركباً انكسر فيه الأعدال، فعرفوا بعد ذلك الخبر أن هذه الأعدال من جملة ما طرح من ذلك المركب.

102. وحَدَّثَني من أثق بقوله[a] أنه شاهد ببعض بلاد الهند رجلين ... ...[b] منهم قد بقينا (؟)، وحفر كل منهما بئراً[c] وملأها بعد أن قام فيها على رجله، سرجيناً وجعل فيه ناراً[d]، ووسّطا بينهما نرداً وجعلا يلعبان بها ويمضغان التانبول ويغنّيان، والنار تعمل فيهما من أسفل إلى أن بلغت النار إلى

---

(١) قطن حليج ومحلوج: الذي تمَّ ندفه حتى عُزل حَبُّهُ عنه.

قلوبهما فطفيا[1] ولم يظهر منهما تألم ولا تغير. وقال إنه لا يعلم هل حدّثه هذا الرجل أنهما ماتا في اليوم الأول أو جلسا يلعبان إلى اليوم الثاني وماتا فيه[2].

103. وحَدَّثني عبد الواحد بن عبد الرحمن الفَسَويّ ـ وهو ابن أخي أبي حاتم الفسوي، وقد سافر سنين كثيرة في البحار ـ أن الهند كانت تشدّ شعورها مثل القلانس على الرؤوس، وكانت سيوفها مستقيمة قائمة، فوقع بين طائفة منهم وبين طائفة أخرى حرب، فاستظهرت إحداهما على الأخرى فتحكّموا عليهم وقالوا: ما نرجع عنكم إلاّ أن تجعلوا شعوركم ساجدة لشعورنا وسيوفكم ساجدة لسيوفنا.

فصارت الفرقة المستظهَر عليها تشدّ شعورها منكوسة وسيوفهم مقوّسة وهو القراطل، فالرسم باقٍ إلى اليوم على هذا في تلك الطوائف.

---

(١) طفيا: ماتا.

(٢) يقول المسعودي إن الأغلب لدى الهنود أن يتقامروا خلال لعبهم الشطرنج والنرد على الثياب والجواهر، وربما نَفَدَ مالديهم من مال فيلجأون إلى المقامرة بقطع أحد أعضاء أبدانهم، بأن «يجعلوا بحضرتهم قِدْراً من النحاس صغيرة على نار فحم فيها دهنُ لحمٍ أحمر، فيغلي ذلك الدهن المُدْمِل للجراح والماسك لسيلان الدم. فإذا لعب في إصبع من أصابعه وقُمِرَ، قطعها بذلك الخنجر ـ وهو مثل النار ـ ثُمَّ غمس يده في ذلك الدهن فكواها، ثُمَّ عاد إلى لعبه. فإذا توجَّه عليه اللعب (غُلِبَ) أبان (قَطَعَ) إصبعاً ثانية. وربما توجَّه عليه اللعب في قطع الأصابع والكف ثُمَّ الذراع والزند وسائر الأطراف» (*مروج الذهب*، ١١٤/٢). ويقول أبو زيد السيرافي: «ومن لامال له ممن يذهب إلى طلب الباطل والفتوّة ربّما لاعب في أنامله، فيلعب وإلى جنبه شيء قد جُعِلَ فيه من دهن الجوز أو دهن السمسم إذ كان الزيت معدوماً عندهم، وتحته نار تحميه، وبينهما فأس صغيرة مشحوذة؛ فإذا غلب أحدهما صاحبه، وضع يده على حجر، وضرب القامرُ بالفأس أُنملة المقمور فأبانها، ووضع المقمور يده في الدهن، وهو في نهاية الحرارة فيكويها. ولا يقطعه ذاك عن المعاودة في اللعب. فربما افترقا وقد بطلت أناملهما جميعاً. ومنهم من يأخذ الفتيلةَ فينقعها في الدهن ثم يضعها على عضوٍ من أعضائه ويشعل النار فيها، فهي تحترق، ورائحة اللحم تفوح، وهو يلعب بالنرد، لا يظهر منه جزعٌ» (ص٨٥).

104. وحَدَّثَني علي بن محمد بن سهل المعروف بسرور وقد دخل تَنْبَتَه[١] ودبابد[٢]، هذه الدور بها راكبة على الماء، وسائر أهلها بهم الشُّبْكَرة[٣] صغيرهم وكبيرهم لكثرة أكلهم الغَيْلَم[a] ـ وهو ذَكَرُ السَّلاحف ـ وأن كل واحد منهم يشدّ من باب منزله إلى الماء حبلاً في وَتَد، فإذا اصفرت الشمس أخذتهم الشُّبْكَرَةُ، فيخرج الواحد من بيته ويمسك الحبل إلى الماء ليقضى حاجته ويتطهر ويعود إلى منزله، فلا يزال كذلك إلى من الغد ضحوةَ النهار حتى تنبسط الشمس ويضيء النهار، وأن مُجّان الغرباء إذا دخلوا بلادهم أخذوا حبل هذا فجعلوه مشدوداً على باب هذا وحبل هذا على باب هذا، فيخرج الواحد منهم إلى الماء ويعود إلى منزل[b] الآخر فيدخله، فيقع بينهما الشر ويقول له دخلتَ بيتي متعمداً.

105. وقال[a]: حُكِيَ عن رجل يقال له أبو طاهر البغدادي أنه قال: دخلت من بلاد جزيرة الزَّابَج بلداً يقال له مزفاويد[b] وبه عنبر كثير، وأنه ما حُمل قطّ من ذلك العنبر في مركب[c] وخرج عن البلد إلاّ رجع إليه، وأنهم يحتالون في بيع العنبر على الغرباء ومن لا يعرف خبر العنبر، بأرخص سعر

---

(١) في الأصل: تنبة؛ وفي *نزهة المشتاق* (١/ ٦٠): بتهنة؛ وفي *تقويم البلدان* (ص ١٥٢): بتينة؛ وفي *بسط الأرض*(ص١٥): «المفازة التي بين الزّنج وبين سُفَالة، وفيه مدن سُفَالة ‹و› بتينة وهي جون عظيم». ونرى أن صوابها هو تنبته، وأنها هي الواردة في *معجم البلدان* (٤/ ٣٦٦) باسم تنباتو (إلى الجنوب من ممباسا) (عن موقعها، انظر الخارطة التاريخية في «تطور الحضارة السواحلية»، ٤/ ٤٥٥).

(٢) دبابد: لم نهتدِ إليها وقد تكون تحريفاً لدمادم؛ نقرأ في *بسط الأرض*: «من مدن السودان، دمدمة التي خرج منها الدمادم على بلاد النوبة والحبشة في سنة سبع عشرة وست مئة، وهم تتر السودان» (ص ١٣؛ انظر أيضاً: *تقويم البلدان*، ١٦٣). ذكرهم العيني ضمن بلدان مصاقبة لهذا الموضع كزيلع، فقال في *السيفُ المُهَنّد* (ص ١٨): «الدمدام وهم تتر السودان ويخرجون على السودان كل وقت ويقتلون منهم». وفي *نخبة الدهر*: «أرض بربر وبعض بلاد دمدم والحبش السفلى» (ص ١٥١).

(٣) الشبكرة: داء العشو الليلي.

وأدونه، وأن أبا طاهر هذا كان في مركب فيه شيء من هذا العنبر[d] قد حمل سراً من صاحب المركب، فرجعت الريح إليهم وردّتهم إلى البلد.

106. وقال: حَدَّثني علي بن الحسين بن يزيد الخَلاّل العُمَانيّ قال: رأيت في نواحي بلاد الزَّنج جبلين[a] عظيمين بينهما وادٍ[b] فيه آثار النار وعظاماً نخرة وجلوداً محترقة فسألت عنه فقيل: هذا وادٍ[c] تجري فيه في وقتٍ من السَّنَة نارٌ فربما جاءت النار وفي الوادي غنم ومواشي ترعى ولم يستعدّ أربابُها ورعاتُها لذلك فتحرقه وإن النار تجيء[d] في الوادي أياماً مثل السيل إذا جرى في الأودية[1].

107. وقال: ببلاد الهند لصوص يجيء منهم الجماعة إلى البلد من بلاد الهند فيعيِّنون على تاجر موسر إما غريب أو هندي[a] فيقبضون عليه في بيته أو في السوق أو في الطريق ويجرِّدون في وجهه السكاكين ويقولون له: أعطنا كذا وكذا وإلاّ قتلناك؛ فإن تقدم إليهم أحدٌ يمنع عن الرجلِ أو سلطانٌ، قتلوا الرجل ولم يبالوا بأن يُقتلوا أو يَقتلوا هم أنفسَهم، كل ذلك عندهم سواء. فهم إذا أخذوا الإنسان وطالبوه لم يترك أحداً يكلمهم ولا يعرض لهم خوفاً على نفسه[b]؛ ويمضي معهم فيجلس حيث شاؤوا [من سوقه أو داره أو دكانه أو في بستانه] ويجمع لهم المال الذي قاطعوه وشارطوه عليه [والمتاع]، وهم مع ذلك يأكلون ويشربون ويزنون وسكاكينهم مجردة وهي في أوساطهم [٢٠٤]، فإذا جمع لهم سائر ما وافقوه عليه، أحضر من يحمله معهم ومضى وهم محيطون به حتى يبلغوا الموضع الذي يأمنون فيه على أنفسهم فيطلقونه من هناك ويأخذون المتاع والمال.

---

(١) في *نخبة الدهر*: «الجزيرة المحترقة: واغلة في الجنوب وقلّ أن يصل إليها ‹أحدٌ› ... في كل ٣٠ سنة يطلع على أفقها كوكب ذو ذنب ولا يزال يرتفع حتى يتوسط السماء بالجزيرة في مدة نصف سنة فتبرز منه نار إلى الجزيرة تحرق ما بها. فإذا طلع رحلوا وهاجروها مدةً ثم يعودون إليها» (ص ١٦٣).

108. وحَدَّثني محمد بن مسلم السِّيرافِيّ وكان مقيماً بتانه [a] نيفاً وعشرين سنة[1]، وقد سافر إلى أكثر بلاد الهند وعرف أحوال أهلها ومعاملتهم معرفة جيدة، ثُمَّ إن اثني عشر نفساً جاؤوا إلى صيمور وتانه فقبضوا على رجل من التجار هندي له أب يملك مالاً عظيماً والأب شديد المحبّة له[2] لا ولد له سواه، فقبضوا عليه في وسط منزله وطالبوه بعشرة آلاف دينار أو نحو ذلك. وكان هذا بعض ما يملكه أبوه، فوجّه إلى أبيه يعرّفه ما نزل به ويسأله أن يشتريه و يخلصه منهم، فجاء إليهم فكلمهم ورفق بهم ليأخذوا منه ألف دينار أو نحو ذلك فأبوا وقالوا: لا نأخذ[b] إلاّ عشرة آلاف دينار.

فلما رآهم على هذه الحالة مضى إلى الملك وعرّفه القضية وقال: هذا الشيء لا دواء له، ومتى لم يقع بهؤلاء القوم نكاية لم يكد[c] أحدٌ يقيم عندكم. فقال له: كيف نصنع[d] وإن كلمناهم قتلوا ابنك؟ فقال له: كيف العمل؟ قال: قتلهم سهل عليّ وإنما أخاف أن يقتلوا ابنك ولا ولد لك غيره. فقال: ما أبالي، هؤلاء يطلبون مالاً عظيماً، ولا يجوز لي أن أفقر نفسي وأخلّص ولدي بأي وجه. أيها الملك! نجمع الخشب حول الدار ونسدّ بابها ونضرمها بالنار عليهم. فقال له: يحترق ابنك وعيالك. فقال: احتراقهم أهون عندي من ذهاب مالي.

---

(١) تانه: من مدن الساحل الغربي للهند المطل على بحر عُمَان، تقع إلى الشمال من بومباي وما زالت تحمل الاسم نفسه، وهي على الساحل في حدّ لاران (بحر لاروي الذي هو القسم الشمالي من بحر العرب الشمالي الواقع قبالة شبه جزيرة كاثياوار)، بين مدينتي سندان وصيمور الساحليتين (*القانون المسعودي*، ٢/٥٥٠؛ *الصيدنة*، ٤٠٢؛ *مروج الذهب*، ١/١٧٦).

(٢) في الأصل: شديد المحنة به. فرجّحنا أن الصواب ما أثبتناه أعلاه.

فوجّه الملك وسدّ باب الرجل وضرم الباب بالنار فاحترق القوم وولده وعياله وجميع ما كان في الدار[1].

109. قيل إن في بلاد الهند الأعلى، الرسمُ في إحراق الشيوخ والعجائز باقٍ[2].

---

(١) يقول أبو زيد السِّيرافِيّ: «وقد كان بجزيرة سرنديب يقدم الرجل الهندي على دخول السوق ومعه الجربى وهو خنجر لهم عجيب الصنعة مرهَف، فيضرب بيده إلى أجلّ تاجرٍ يقدر عليه ويأخذ بتلابيبه ويشهر الخنجر عليه، ويخرجه من البلد في مجمع من الناس، لايتهيأ لهم فيه حيلة. وذلك أنه متى أُريد انتزاعه منه، قَتَلَ التاجرَ وقَتَلَ نفسَه. فإذا خرج من البلد، طالبه بالفدية، وتبع من يفتديه بالمال الكثير. فدام ذلك بهم مدّة من الزمان حتّى مَلَكَهم ملك أَمَرَ بمن فَعَلَ ذلك من الهند أن يؤخذ على أية حال كان. ففُعِل ذلك، فَقَتَلَ الهنديُّ التاجرَ وقَتَلَ نفسه. فجرى هذا على جماعة منهم وتلفت فيه أنفس الهند والعرب. فلمّا وقع البأس، انقطع ذلك وأمن التجار على أنفسهم (*أخبار الصين والهند*، ٨٤).

ويقول محمد بن عمر بن شجاع المتكلم البغدادي الذي زار الهند إن هؤلاء الخاطفين لصوص يُعرفون بالبانوانية وهم «يجرون مجرى المستقفين والسلطان يطلبهم كما يطلب اللصوص، الواحد منهم يتبع التجار الذين يطرأون إليهم من المسلمين والذمّة، فإذا رأى الواحدُ منهم الواحدَ من التجار في طريق خالٍ قبض عليه، فلا يمكن لأحد من الناس أن يخلّصه لعلمهم أنه إذا استغاث أو نطق قتله الهندي وقتل نفسه في الحال» (*الفرج بعد الشدّة*، ٣/٣٩٩ ـ ٤٠٢؛ *نشوار المحاضرة*، ٨/ ٢١٨ ـ ٢٢١).

ونعتقد أن الشتيمة التي لدى البغداديين عندَ قولهم: فلان بانياني، أو: فلان ابن البانياني ــ ويقصدون بذلك مَن لاذِمّة له ولامروءة ــ يرجع إلى تشبيههم بهؤلاء، أو إلى تشبيههم بالبانيان وهم تجار وأصحاب حِرَف هنود (*غرائب الأخبار*، ٦٧)، قال الرحّالة تومه بايريس إنهم عُرِفوا بالكذب والغش والتطفيف بالكيل وأخذ الربا الفاحش (*العلوم البحرية*...، تعليقات خوري، ٥٠٢ ـ ٥٠٣).

(٢) من تقاليدهم الشنيعة ما نقلته *الوطن* الكويتية، ٢٠٠٢/٨/٢٣م عن صحيفة *Indian Express* الهندية وهو: دُفِنَ ١٠٥ أطفال في الأقل أحياء يوم ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢ لفترة دقيقة في بلدة بيرابور جنوب الهند تكريماً لاثنين من آلهة الهندوس، وأن الأطفال بعد أن تمّ تخديرهم وُضعوا في حفر طمرت تماماً مدة ستين ثانية قبل أن يُسحبوا منها. وأضافت أن هذا التقليد الذي يعتقد أهالي البلدة أنه يحقق لهم أمنياتهم يطبّق كلّ سبعة أعوام، جرى في حضور وزير الإسكان والتنمية في حكومة إقليم تاميل نادو.

110. وكان من رسم ملوك بلاد الذهب والزَّابَج أن لا يجلس أحد بين أيديهم من المسلمين والغرباء، كائناً من كان وسائر أهل ممالكهم إلاّ مُربَّعاً ويسمى ذلك البرسيلا. فمن مدّ رجليه أو قعد غير تلك القعدة فعليه غرامة ثقيلة بحسب ما يملك.

فاتفق أن كان عند ملك من ملوكهم يقال له سرناتا كَلَه رجل من النواخذة يقال له جهود كوتاه[١] له موضع ومحل، وكان شيخاً مسناً وجلس بين يديه فطال عليه الأمر ولم يقم سرناتا، وكانوا في حديث لهم، فأخذ جهود كوتاه يحدثهم بحديث آخر فأدخل في حديثه ذكر الكنعد[a]، فقال: وعندنا بعُمَان سمك يقال له الكنعد تكون الواحدة كذا ـ ومدَّ رِجْله وقبض على نصف فخذه ـ ومنه ما يكون مثل هذا، ومدّ الرِّجْلَ الأخرى وقبض على حَقْوِه[٢].

فقال ‹الملك› لوزيره: إن لهذا الرجل سبباً، فإنا كنا في حديث وخرج منه إلى حديث السمك، فما السبب في ذلك؟

فقال: أيها الملك هذا رجل شيخٌ قد أسنَّ وضعف ولا يحتمل أن يجلس هكذا، فلما تعب جعل لاستراحته سبباً ووجهاً.

فقال: الصواب أن نرفع هذا الرسم عن المسلمين الغرباء خاصة. فرُفع عنهم، فهو إلى اليوم رسمٌ أن يجلس المسلمون بين أيديهم كما يشتهون، ويجلس غيرهم على الرسم الأول برسيلا، فإن غيَّر جلسته كانت عليه الغرامة.

---

(١) كوتاه: فارسية تعني القصير القامة.

(٢) الحقو: الخصر.

111. ذكرت في فصلٍ قبل هذا، أمرَ عُبَّاد الهند وزُهَّادهم، وهم عدّة أصناف، منهم البيكور وأصلهم من سرنديب[١]، وهم يحبون المسلمين ويميلون إليهم مَيْلاً شديداً، وهم في الصيف عراة حفاة لا يستترون بشيء، وربما جعل الواحد منهم على سوءته خرقة أربع أصابع في مثل ذلك مشدودة بخيط في الوسط، وفي الشتاء يتّشحون بالحُصُر الحشيشة[٢].

ومنهم من يلبسون الإزار مرقّعاً من كل لون على لون المرقّعة للشهرة، ويلوثون أبدانهم برماد عظام الموتى من الهند الذين أُحرقوا، ويحلقون رؤوسهم وينتفون لحاهم وشواربهم، ولم يحلقوا[a] شعر العانة ولا شعر الإبطين، وفي الأكثر يقصون أظفارهم؛ ومع الواحد منهم قِحْفُ رأسِ إنسانٍ[b] ميتٍ، فيه يأكل ويشرب على سبيل الاتّعاظ بذلك والتواضع.

وكان أهل سرنديب وما والاها لمّا بلغهم خروج النبي (صلى الله عليه وسلم)، أرسلوا[c] رجلاً فهيماً منهم وأمروه أن يسير إليه فيعرف أمره وما يدعو إليه، فعاقت الرجل عوائق ووصل إلى المدينة بعد أن قُبِضَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتوفي أبو بكر (رضي الله عنه)، وَوَجَدَ القائم بالأمر عمر بن

---

(١) يسميهم أبو زيد البيكرجيين، ويقول إنهم «عراة قد غطت شعورهم أبدانهم وفروجهم، وأظفارهم مستطيلة كالحراب إذ لا يُقصّ إلا ما ينكسر منها. وهم على سبيل سياحة، وفي عنق ‹كل› رجل منهم خيطٌ فيه جمجمة من جماجم الإنس. فإذا اشتد به الجوع، وقف بباب بعض الهند فأسرعوا إليه بالأرز المطبوخ مستبشرين به، فيأكل في تلك الجمجمة. فإذا شبع انصرف فلا يعود لطلب الطعام» (ص٨٦).

(٢) المعروف والمُشاهَد من هؤلاء العبّاد أنهم حين يأتون للتطهر بمياه الغانج، يبدأون بالركض وهم عراة تماماً حتّى من الخرقة التي تغطي عوراتهم وقد ضمّخوا أجسادهم بالرماد، ليلقوا بأنفسهم في النهر.

الخطاب (رضي الله عنه)، فسأله عن أمر النبي (صلى الله عليه وسلم)، فشرح له وبيَّن، ورجع فتوفي الرجل بنواحي بلاد مكران.

وكان مع الرجل غلام له هندي، فوصل الغلام إلى سرنديب وشرح لهم الأمر وما وقفا عليه من أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر (رضي الله عنه)، وأنهم وجدوا صاحبَ النبي (صلى الله عليه وسلم) عمرَ بنَ الخطاب (رضي الله عنه)، ووصف لهم تواضعه وأنه كان يلبس مرقَّعة ويبيت في المساجد؛ فتواضعهم لأجل ما حكى لهم ذلك الغلام، ولبسهم الثياب المرقعة لما ذكره من لبس عمر (رضي الله عنه) المرقَّعة، ومحبتهم للمسلمين وميلهم إليهم، لما في قلوبهم ممَّا حكاه ذلك الغلام عن عمر (رضي الله عنه)[1].

وفي مذهب أهل الهند أن الشراب على الرجل حرام وهو للنساء حلال، ومن الهند من يشرب سِراً.

وبالهند كهنة وسحرة أمرهم مشهود. وقد ذكرت بعض ذلك في هذا الجزء.

---

(١) يقول المروزي: «المهادوية، زعموا أن رسول الله إليهم ملك من الملائكة يقال له مهادويه أتاهم في صورة البشر وهو راكب ثوراً، على رأسه إكليل مكلل بعظام الموتى متقلد بقلادة منها، بإحدى يديه قحف إنسان وبالأخرى مزراق ذو ثلاث شُعَب يستظل بظلال من ذَنَب الطاووس، أمرهم بعبادة الله وأن يتَّخذوا على مثاله صنماً يعبدونه وهو سبيلهم إلى الخالق... ويتقلدوا بأعظُم الناس ويتخذوا منها أكاليل، ويمسحوا وجوههم وأجسادهم بالرماد، وأن يستروا من أوساطهم إلى أقدامهم بخرق عرضها إصبعان على طول ما بين الكعب إلى أوساطهم...» (*طبائع الحيوان*، ٣٣ أ – ٣٣ ب). ويقول عن طائفة أخرى: «ومنهم الكابالية، زعموا أن رسولهم ملك من الملائكة يقال له شب أتاهم في صورة إنسان يتمسح بالرماد، على رأسه قلنسوة من لبود أحمر طولها ثلاثة أشبار مخيط عليها صفائح من قحف إنسان، قد تقلَّد وانتطق وتسوَّر وتخلخل من أعظُم الناس، بإحدى يديه قحف إنسان وبالأخرى طبل مثل طبل المهادوية ...» (*طبائع الحيوان*، ٣٣ ب؛ يذكر هذا النص أيضاً الگرديزي في *زين الأخبار* (ص٦٢٣، وقال إنه نقله من الجيهاني صاحب *المسالك والممالك*).

112. وحَدَّثَني أبو يوسف بن مسلم قال: حَدَّثَني أبو بكر الفَسَويّ بصيمور قال: حَدَّثَني موسى الصَّنْدَابُوريّ[١] قال: كنت عند صاحب صندابور[٢] يوماً ما أتحدث إذ ضحك، فقال: أتدري لِمَ ضحكت؟ قلت: لا. فقال: على الحائط وزغة[٣]، وتقول الوزغة: الساعة يجيء ضيف غريب. قال فعجبتُ من حماقته وأردت الانصراف بعد ساعة، فقال: لا تبرح حتى تنظر آخراً من هذه[a].

قال: فإنّا لفي حديثنا إذ دخل بعض أصحابه فقال: وافى الخورَ من عُمَان مركبٌ، ثُمَّ لم نلبث إلاّ ساعة حتى دخل جماعة ومعهم أقفاص فيها أسقاط وقماش وماوَرْد، ففتح منها قفص فيه ماوَرْد، فقفزت منه وزغة كبيرة وصعدت إلى الحائط تغذو[b] إلى الوزغة الأولى، فصارت الوزغة وزغتين[c] وأنا أرى.

113. وحكى أن هذا هو الذي رقى التمساح في خور صندابور، فهو إلى الساعة لا يؤذي أحداً البتة في خور صندابور؛ وكذلك خور سَرَبْزة لا يؤذي فيه التمساح اليوم أحداً، وقد كان قبل هذا لا يتمكن أحد[a] أن يدنو من الماء إلاّ أثبته (؟) التمساح. وقد كان في الخور منه شيء عظيم يجاوز الحدّ؛ فوقع إليهم رجل هندي فقال[b] لملك سَرَبْزة: أنا أرقي التمساح لا يؤذي أحداً في الخور، فقال له: افعل حتى أعطيك كذا وكذا. ثُمَّ هرب الرجل فلم يُقدر عليه.

---

(١) عندما دخل المسعودي سنة ٣٠٤هـ مدينة صيمور التي قال إنها «من بلاد الهند من أرض اللار وكان بها آنذاك من المسلمين نحو ١٠٠٠٠ قاطنين وبياسرة وسيرافيين وعُمَانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار»، رأى موسى بن إسحاق الصَّندابوري هذا الذي قال عنه إنه كان من وجوه التجار (*مروج الذهب*، ٢٤٨/١: الصَّنْدَبوري). ستأتي قصة شبيهة بها لكن بسند مختلف تحت الرقم 157.

(٢) عرّفنا بها فيما مضى وقلنا إنها ميناء غوا Goa في السواحل الغربية للهند.

(٣) الوزغة: جنس من الزحافات وهو المسمى سام أبرص، بُرص، أبو بريص، بريص (*معجم الحيوان*، ١١٣). قلت يسمى في العراق: أبو بريص.

فلما كان بعد مدة، دخل إلى سَرَنْبزة رجل هندي صاحب رُقى وكهانة وسحر، فصادف بسَرَنْبزة صديقاً فقال له: أأريك شيئاً طريفاً[c]؟ فقال: نعم. فجلس على الخور وتكلم بكلامه، ثُمَّ قال: إن شئتَ فادخل الخور فإن التمساح لا يؤذيك، وإن شئت فأحضر من يدخل، وإن شئت دخلتُ أنا. فقال له: تدخل أنت. فدخل هو ثُمَّ دخل الآخر ثُمَّ دخل آخر، فجعل التمساح يطوف بهم لا يؤذيهم. ثُمَّ صعدوا، فقال له: أ تحب أن أخلّي عنهم؟ فقال: افعل؛ وطرحوا كلباً فقطّعه التمساح. فبلغ الملكَ خبرُه فأحضره وقال: ما عندك كذا وكذا؟ فقال: نعم. فركب الملك إلى الخور فأحضر معه رجلين يريد قتلهما، فقال له: تكلَّمْ على الخور، فَتَكَلَّمَ، فأدخل أحدَ الرجلين الخورَ، فأطافت به التماسيح فلم تؤثر فيه البتة ولم تعرض له، ثُمَّ قال له: أطلق ‹الآخر› بينهم، فتكلم، فقطعت التماسيحُ الرجلَ عضواً عضواً. ثُمَّ قال له: قد فعلتَ فعلاً حسناً ووجبتْ مجازاتك. فخلع عليه ووهب له شيئاً ووعده ومنّاه.

فلما كان من غد قال له: أحب أن تفعل اليوم مثل ما فعلت أمس، فقال: نعم. ثُمَّ دعا[d] الملك بغلام من غلمانه جَلْدٍ جَسورٍ ولم يكن معه مثله، فقال له: إذا أومأت إليك بضرب عنق هذا الهندي الكاهن فاضرب عنقه من ساعتك.

ومضى إلى الخور، وتكلم الهندي على الخور وطرح فيه أحد الرجلين فطافت به التماسيح ولم تعرض له، ثُمَّ لم يزل يعوم في موضع ويتحول إلى آخر حتى لم يبق في الخور ناحية إلاّ دخلها ذلك اللص، والتماسيح تطوف به ولا تعرض له، فلما علم الملك أنه قد رقى جميع الخور أومأ إلى غلامه فضرب عنقه من ساعته. فخور سَرَنْبزة إلى هذا الوقت لا يؤذي التمساحُ فيه أحداً[1].

---

(١) سيورد المؤلف فيما بعد (النص رقم 155) هذه القصة بشكل وافٍ، من غير عزوٍ لراوية بعينه.

114. والسرقة عند الهند عظيمة، فإذا سرق الهندي في بلاد الهند قتله الملك إن كان الهندي وضيعاً أو لا مال له؛ وإن كان له مال[a]؛ أخذ الملك ماله بأسره أو غرَّمه غرامةً عظيمةً؛ وكذلك إن اشترى شيئاً مسروقاً بعد علمه بذلك غُرِّم الغرامة العظيمة. ومجازاة السرقة عندهم القتل[١].

وإن سرق مسلم ببلاد الهند رُدَّ الحكمُ في أمره إلى هُنَرْمَن[b] المسلمين ليعمل فيه بما يوجبه حكم الإسلام. والهُنَرْمَن[c] هو مثل القاضي في بلاد الإسلام، ولا يكون الهُنَرْمَن[d] إلاّ من المسلمين.

115. قال لي راشد الغلام بن بابشاد[٢]: كنت سائراً[a] من سيراف أريد البصرة في ذي القعدة سنة خمس وثلاث مئة في قارب لطيف، فوقع علينا الخِبّ بناحية رأس الكاملا[٣] وطرحنا بعض الحمول إلى البحر، فكنت أرى الأمواج تظل على القارب حتى يقع لي أنها قد ظللته بأسره، ثُمَّ تنكسر الأمواج تحته.

وتفقّدت غير مرّة السماءَ إذا ظللتنا الأمواج فلا أراها، لأنَّ الأمواج قد حالت بيننا وبين السماء وغشينا من الأمواج ما يستر السماء عنا.

---

(١) يؤيد ذلك سليمان التاجر بقوله: «والسرق في جميع بلاد الصين والهند ــ في القليل منه والكثير ــ القتل. فأما الهند فإذا سرق السارق فلساً فما فوقه، أُخذت خشبة طويلة فيحدد طرفها ثُمَّ يُقعد عليها على استه حتّى تخرج من خلفه (الصواب: من حلْقِه)» (ص٥٣). وهي العقوبة التي عُرِفت بالخازوق.

(٢) يمكن أن يكون: راشدُ غلامُ ابنِ بابشاد، ففي الخبر 29 نجد: حدثّني محمد بن بابشاد عن غلامه.

(٣) لم نهتد إلى رأس الكاملا؛ لكن هناك احتمالاً في أن تكون كَنْجَمَنْجَلا (انظر: *تحفة المجاهدين*، ٢٨٤؛ *حاوية الاختصار*، ٥٦)وهي إحدى الجزر الكبيرة التابعة لمليبار (ولاية كيرالا، أي السواحل الغربية الهندية المطلّة على بحر العرب)، وأن الأعاصير قذفت بهم إليها بدل الاتجاه بهم نحو البصرة؛ وأن الناسخ لم يتعرَّف إليها، أو أن البحارة يدعونها هكذا لثقل اسم كَنْجَمَنْجَلا على ألسنتهم.

116. وحَدَّثَني أن الجليلَ من تجارِ الهندِ والجندِ وغيرِهم، أو الجليلةَ من النساء وإن كانت حَظِيَّة الملك[a]، يجتاز بروث البقر والجواميس، فإن كان معه من يحمله وإلاّ جَعَلَ علامةً ليُعلم أن ذلك قد صار في حَيِّزٍ آخر، فإذا وجد من يحمله أخذه[١].

117. والهند يأكلون الميتة وذلك أنهم يأخذون الشاة أو الطير وما أرادوا أكله فيضربون رأسه حتى يموت، فإذا مات أكلوه[٢].

قال: وقيل لي إن بعض كبارهم بصيمور أو سوبارة، اجتاز بفأرة ميتة، فأخذها بيده ودفعها إلى غلامه، وحملها إلى منزله فأكلها. والفأر عندهم من ألطف ما يؤكل[٣].

118. ومما يحكى عن بغبور ملك الصين ـ وهو من الحكايات الطريفة[a] ـ أن له بِرْكة عظيمة يجيئها الماء من فرسخ أو نحوه، ثُمَّ يفتح الماء عنها فينصب كلُّه

---

(١) مما عابه البيروني على الهنود أنهم «يأكلون أوحاداً وفرادى على مندل السرقين ... ويَحْسُون بولَ البقر ولا يأكلون لحمها، ويتضمَّخون في الأعياد بالأخثاء بدل العِطْر» (*تحقيق ما للهند*، ١٤٤، ١٤٥).

(٢) يجمعهم سليمان التاجر مع الصينيين فيقول: «والصين والهند يقتلون ما يريدون أكله ولا يذبحونه، فيضربون هامته حتّى يموت» (*أخبار الصين والهند*، ٥٤؛ *البلدان* لابن الفقيه، ٧١).

(٣) في ١٩٨٨/١٢/٢٣م نشرت وكالة الصحافة الفرنسية صورة رجل هندي بلباس عصري وضع بين يديه طبقاً كبيراً غاصاً بالفئران، بينما أحاطت به فئران أخرى، وعلّقت الوكالة بالقول: «إن الفئران لا تثير الاشمئزاز لدى طائفة الهندوس في الهند، حيث تعتبر الفئران خادمة لابن الإله. وفي الصورة هندوسي في معبد دشنوك في ولاية راجستان يؤدّي صلاته الخاصة، وأمامه كمية من الفئران أعدّها للأكل خلال الصلاة» (الصورة والخبر في *السفير* اللبنانية، ١٩٨٨/١٢/٢٤م). كما يأكلها الصينيون في بعض مناطق البلاد، فقدنقلت إذاعة BBC البريطانية في ٢٠٠٣/٨/٢٥م من إحدى المجلات العلمية أن سبب مرض الحُمَّى اللانمطية (السارز) هناك هو وجبات الفئران السود التي تُقدَّم في جنوبي الصين.

وهي فارغة، فإذا أراد أن تملأ[b] أمر بفتح الماء عليها من الموضع الذي يجيئها[c] الماء منه وهو على نحو فرسخ، ثُمَّ يطرح اللؤلؤ مع الماء فيجري الماء إلى البركة في نهاية الصفاء والحسن واللؤلؤ فيه، إلى أن تمتلئ البركة من اللؤلؤ ويفيض الماء على جوانبها، ثُمَّ يقطع الماء عنها ويقيم اللؤلؤ مقام الحصى[١].

119. وقد ذكرت في بعض هذه الأجزاء طرائف[a] من أخبار ديبجات الدم[٢] ـ وهي جزائر أولها بالقرب من ديبجات الكستج وآخرها عرضاً بالقرب من جزائر الواقواق ـ ويقال إنهم نحو ثلاثين ألف جزيرة، والتجار يقولون إن العامر منها اثنتا عشرة[b] ألف جزيرة وطول الجزيرة من نصف فرسخ إلى عشرة فراسخ، وبين كل جزيرتين فرسخ فما دونه[c]، وكلها رمال.

---

(١) كان من عادة ملك الزّابَج (جاوة) أن يجعل له غديراً صغيراً ملاصقاً لقصره يلقي به صبيحة كل يوم لَبِنةَ ذهب، فإذا مات أخرجها القائم من بعده وأذابها وفرّقها على أهل المملكة رجالهم ونسائهم وأولادهم وقوّادهم وخدمهم. فما فضل بعد ذلك، وزّع على أهل المسكنة والضعف. ثُمَّ دُوّن عدد اللبن الذهب ووزنه... (*أخبار الصين والهند*، ٧١؛ انظر أيضاً: *بسط الأرض*، ٤٠؛ *مرآة الزمان*، ١ / ١١٨).

(٢) ديب تعني الجزيرة بلغة الهنود (*تحقيق ما للهند*، ١٩١)، وقد يقال ديوه، وجمعها ديبجات، وإذا قيل «الديبجات» مطلقاً فالمقصود هو جزر اللكاديف (Lacoadive) الواقعة قبالة شواطئ الهند الغربية في بحر عُمَان، وجزر مالديف (Maldives) (ذيبة المهل قديماً) الواقعة إلى الجنوب الغربي من الهند. وتشغل هذه الجزر لدى سليمان التاجر ما بين بحر هَرْكَنْد (خليج البنغال) وبين بحر لاروي (القسم الشمالي من بحر العرب الشمالي) (*أخبار الصين والهند*، ٣٠). و «تتقسم هذه الجزائر إلى قسمين بما يرتفع منها، فتسمى ديوه كُوذه أي ديبجات الودع يجمعونها من أغصان نارجيل يغرزونها في البحر؛ وديوه كنبار، الغزل المفتول من ليف النارجيل» (*تحقيق ما للهند*، ١٦٩؛ انظر أيضاً: *الصيدنة* ٦١٥؛ *الجماهر*، ٢٣٠). ويبدو أن ديبجات الدم هي ديوه رَم التي وصفها البيرونيُّ بقوله: «ديوه رَم وقصبتها مكان بين سرنديب (سري لانكا) وبين كولم (ميناء على الساحل الجنوبي الغربي للهند» (*الصيدنة*، ٦١٢). والكستج هو الودع كما يقول سليمان التاجر (ص٣١)، وقوله: آخرها عرضاً بالقرب من جزائر الواقواق، يجعلنا نرجح أنها واقواق أفريقيا وليست واقواق القريبة من الصين.

120. قال: وأخبرني غير واحد أنه شاهد[a] ببعض بلدان الهند فيلة تتصرف في حوائج أربابها[1] وأن الفيل يُدفع إليه الوعاء الذي يشتري فيه الحوائج وفيه الوَدَع ـ وهو نَقْدُ القوم[2] ـ وأُنموذج الحاجة مثل الفِلْفِل والأرز والسقط وأي حاجة كانت فيكون معه في الوعاء شيء من ذلك الجنس والنعت[b]؛ ويمشي إلى البقال، فإذا رآه البقال ترك جميع شغله ولو كان على رأسه أجلّ تاجر يشتري منه ويفرّق الزّبون عنه، وأخذ الوعاء فعدَّ الودعَ الذي فيه ونظر بما يريد بحسب الأنموذج، فباعه بأرخص سعر ودفع إليه أجود ما عنده من ذلك النوع، ويستزيده الفيل فيزيده، وربما عدَّ البقال[c] الوَدَع فغلط فيه، فيشوّشها الفيل بخرطومه، فيعدُّ البقال عدةً ثانية، ويمضي الفيل بما اشتراه فربما استقلّه صاحبه فيضربه[٢٠٥]، فيعود إلى البقال فيشوّش متاعه ويخلط بعضه ببعض، فإما أن يزيده أو يرد عليه الوَدَع؛ وأن الفيل الذي هذه صورته يكنس ويفرش ويدق الأرز بمدقة يأخذها بخرطومه فيدق ورجلٌ يجمع له الأرز، ويطحن الأرز ويسقي الماء، وفي الوعاء حبل مشدود يدخل خرطومه فيه ويحمله ويقضي الحوائج.

---

(١) في ٢٠٠٣/٨/٩م نقلت وكالة رويترز للأنباء عن ف. جويناث المسؤول عن غابات ولاية كيرالا في جنوب غرب الهند، أن الولاية حدّدت الخامسة والستين سنّاً إجبارياً لتقاعد مئات الفيلة التي تستخدم في الاحتفالات الهندوسية أو في جر الأخشاب عبر تضاريس شديدة الانحدار، بعد أن كانت تظل تعمل دون توقف طوال حَياتها، وأن الكثير من الفيلة كانت تساء معاملتها ولم تكن تتلقى الاهتمام الطبي المناسب، وأشار إلى أن كيرالا هي أول ولاية تضع ضوابط لتقاعد الفيلة. وقد ذكرت الوكالة أنه يوجد في كيرالا نحو ٨٠٠ فيل عامل وأن الفيلة تعيش ٨٠ عاماً في المتوسط.

(٢) هو نوع من الأصداف يستخدم للتداول النقدي في بعض مناطق أفريقيا وآسيا. يقول ابن بطوطة: «وصرف أهل هذه الجزائر الودع وهو حيوان يلتقطونه في البحر ويضعونه في حفر هناك فيذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض» (٢/٦٥٨).

ويركبه صاحبه في حوائجه البعيدة، ويركبه الصبي ويمضي عليه إلى الصحراء فيقطع الحشيش وورق الشجر بخرطومه ويدفعه إلى الصبي فيجمعه في الكساء[d] ويحمله، فيكون ذلك طعامه؛ وأن الفيل الذي تكون هذه صفته يبلغ مالاً له قدر، وقيل عشرة آلاف درهم.

121. ومن مصائب البحر المشهورة التي أُثرت إلى يومنا هذا، ما حَدَّثني به بعض التجار قال: خرجت في مركب من سيراف في سنة ست وثلاث مئة يريد صيمور، وكان معنا مركب عبد الله بن الجنيد ومركب سبا، وكانت هذه الثلاثة مراكب في نهاية الكبر ومن المراكب الموصوفة في البحر، ونواخذتها مشهورون لهم قدر ومنزلة في البحر، وفي المركب ألف ومئتا[a] رجل من التجار والنواخذة والبانانية وغيرهم من صنوف الناس، وفيها من الأموال والأمتعة ما لا يُعرف مقداره لكثره[1]. فلما سرنا أحد عشر يوماً، رأينا آثار الجبال ولوائح أرض سندان[2] وتانه وصيمور، وما سار هذا السير السريع قبلهم أحدٌ ـ فيما سمعنا ـ فاستبشرنا وسررنا وبشّر بعضنا بعضاً بالسلامة وأخذنا في الاستعداد لأنّا قدّرنا أنّا نصبِّح من غدِ الأرضَ. ثُمَّ جاءتنا الريح من الجبال فلم نضبط الشُّرُع[3] وأخذنا الخِبّ والمطر والرعد والبرق، فقال الرُّبّانِيَّة والبانانية: نطرح الأمتعة، فمنعهم أحمد[4] وقال: لا أطرح إلاّ بعد أن يخرج الأمر عن يدي وأعلم أني هالك.

---

(١) كذا في الأصل، ويمكن أن تكون: لكثرته.

(٢) سندان: بكسر السين وفتحها، هي سنجان على الساحل الغربي للهند بين دمان Daman وباسين Bassein كما يرى فان ديرليث، لكن إليوت يرى أنها دمان نفسها (*العرب والملاحة*، ٣١٦).

(٣) الشُّرُع: جمع شراع.

(٤) هو ريان المركب كما سيأتي.

ونزل الرجال ينزفون الجمّة من الجانبين والمركبين على مثل حالنا، كل واحد منهما ينتظر صاحبه ما يفعل من طرح أو غيره فيفعل مثله، وضجّ[b] التجار وقالوا له: اطرح الأمتعة وأنت في الحِلّ فإنا نهلك. فقال: لا أطرح البتة. ولم يزل الأمر يتزايد إلى أن مضت ستة أيام، فلما كان في اليوم السادس وكاد المركب أن يغوص في البحر قال: اطرحوا الحمولة، فلم يمكن طرح شيء، لأن الخوابي والأعدال ثقلت بالمطر، وكان ما فيه خمس مئة مناً، فقد صار فيه ألف وخمس مئة منا بالمطر، وعاجلهم الأمر وطرحوا القارب إلى الماء ونزل فيه ثلاثة[c] وثلاثون رجلاً وقيل لأحمد: قم فانزل في القارب، فقال: لا أبرح من مركبي فإنه أرجى في السلامة من القارب، وإن تلف تلفت معه فلا حظّ لي في الرجوع بعد تلف مالي.

قال لي هذا التاجر: فمكثنا في القارب خمسة أيام ليس معنا ما يؤكل ولا ما يشرب إلى أن لم يبق فينا فضل أن نتكلم بكلمة من الجوع والعطش والشدة التي مضت علينا في البحر، والقارب تقلبه الأمواج والرياح لا ندري هو في البحر أم لا. ولشدة الجوع وما نحن فيه أومأنا إلى بعضنا بعضاً أن نأكل واحداً منا[d]؛ وكان معنا في القارب صبي سمين لم يبلغ[e] وكان أبوه في جملة من تخلف في المركب، فعزمنا على أكله، فأحس الصبيُّ بذلك فرأيته وهو ينظر إلى السماء ويحرك شفتيه وعينيه تحريكاً خفيّاً. فما مضت ساعة حتى رأينا آثار الأرض، ثُمَّ لاحت لنا الأرض ثُمَّ جنح القارب على البر وانقلب القارب ودخله الماء وليس لنا قوة للقيام ولا لحركة، وإذا برجلين قد نزلاً إلى القارب، فقالا لنا: من أين أنتم؟ فقلنا: نحن من مركب فلان. فأخذوا بأيدينا وأخرجونا إلى الأرض فوقعنا على وجوهنا مثل الموتى، ومضى واحد منهما يعدو على وجهه.

فقلت للآخر: أين نحن؟ فقال: هذا الدخان الذي تراه من التِّيز[f] [1] وقد راح صاحبي إلى القرية فعندنا الزاد والماء والثياب. فحملونا إلى البلد.

وهلك جميع أهل المراكب[g] الثلاثة فلم يسلم منهم أحد ولا نفر[h] من الذين كانوا في القارب، وكان في جملتهم ربّان المركب أحمد، وكان اسمُه بَقِيَ.

وكان قد زاد تلفُ هذا المركب وما فيها من المعائش في اختلال سيراف لعظيم ما كان فيها من الأموال ووجوه النواخذة والرُّبّان والتجار.

122. قال: وقال لي بعض من دخل الصين، إنه رأى هناك حجارة تجتذب الرصاص من وراء طَسْت[2]، وأنه إذا ترك تحت الحامل سَهَّلَ عليها أمر الولادة[3]، ومنها حجر يجتذب الصُّفْر؛ ومنها حجر يجتذب الذهب[4]؛ وحجر المغناطيس المشهور الذي يجتذب الحديد. وحجر[a] يطفو على الماء، وإذا حُرِّك تحرّك في جوفه شيء[5].

---

(١) بلدة على ساحل بحر مُكْران أو السند وفي قُبالتها من الغرب أرض عُمَان (*معجم البلدان*، ٩٠٧/١).

(٢) في *عجائب المخلوقات*: «حجر سمح اللون نتن الرائحة مشوب بشيء من البياض» (ص١٥٥).

(٣) يقول القزويني: «معدنه جبل بين مدينة عُمَان والبحرين... أنثى النسر إذا حان وقت أن تبيض يبلغ بها حدّ الموت من شدة العسر وربما ماتت وجعاً، فعند ذلك يذهب النسر الذَّكَر إلى الجبل ويأتي بذلك الحجر ويجعله تحتها» (*عجائب المخلوقات*، ١٥٧، عن أرسطو؛ *حياة الحيوان الكبرى*، ٣٥١/٢).

(٤) نقل الزهري من *عجائب البلدان* لابن الجزّار أن في مدينة من مدن الهند تُدعى سكندرين (سكدرين) جبلاً فيه: «حجر الذهب، وهو حجر يجذب الذهب من البُعد الكبير» (*الجَعرافيّة*، ٣١).

(٥) تدلّ خواصه على أنه هو نفسه الحجر المُذهِب لعسر الولادة الذي ذُكر قبل قليل، إذ نقرأ في *نُزْهَتْ نامه عَلائي*: «حجر العقاب: ويعرف بالليف الأرمني، إذا حُرِّك يسمع منه صوت وإذا كُسر لا يرى فيه شيء ولا تبطل تلك الحركة فيه. يوجد في عش العقاب، يجلبه من الهند. فإذا قصد أحد عشه أخذ هذا الحجر ورمى به لعلمه أن ما يريده هذا الحجر. وخاصيته أنه إذا عُلّق على من بها عسر الولادة تضع بغير ألم» (ص٢٧٩؛ انظر أيضاً: «ميدان العقل»، ٢١٩؛ *الجماهر*، ١٨٢).

123. وقال لي هذا الرجل إنه رأى بباب أغباب سرنديب حجراً قد كُسر، فخرج فيه دودة[b]. فلما ظهرت دبّت مقدار عشرة أذرع ثُمَّ ماتت، وأنه كان على رأسها وذنبها زغب مثل [زغب] الفَرْخ.

124. قال: ومن العجائب جبل باليمن يقطر من رأسه ماء، فإذا صار إلى الأرض استحال فصار هذا الشب اليماني[١].

125. قال: ومن أعجب العجائب ما حَدَّثني به بعض البحريين ممن أقام ببلاد الهند وغيرها السنين الطويلة[a] أنه سمع غير واحد ممن دخل تخوم الهند أن بنواحي قشمير الأعلى في موضع يقال له بربارا[b] بين بساتين وأشجار وغياض ومياه تجري[٢]، سوقاً للجنّ يسمع فيها ضجيجهم في الشراء والبيع ولا تُرى أشخاصهم، وأن ذلك لم يزل يعرف على قديم الدهر بهذا الموضع، فقلت للرجل: فسمعتَ أنها سوق قائمة أبداً، أو في وقت دون وقت؟

فقال: لم أضبط المسألة عن هذا[٣].

---

(١) «في اليمن جبل يقطر من رأسه ماء فينحدر على جانبي ذلك الجبل، وقبل أن يصل إلى الأرض يجمد تدريجياً فيصبح كالثلج والملح فيصير الشبُّ اليماني» (*الصيدنة*، ٣٦٤؛ *البلدان* لابن الفقيه، ٥١١).

(٢) بربارا: يمكن أن تكون مدينة بَرّبَر الهندية الواردة لدى البيروني في *تحقيق ما للهند* (ص ٢١٧).

(٣) يبدو أن هذه الأصوات منبعثة من السرطانات المعروفة بذوات القيثارة، ويمكننا أن نستعين بعالم البحار المصري أنور عبد العليم الذي جاب المحيط الهندي ضمن بعثة استكشاف دولية لدعم ما نرى، فهو يقول: «إذا كنت من هواة الموسيقى فسوف تستمتع بنغمات الأوركسترا المنبعثة من ملايين السرطانات الصغيرة التي تعيش في منطقة المدّ والجزر والتي تُعرف بالسرطان ذي القيثارة، لأن له كلاّبات يستعملها كآلة موسيقية تنبعث منها نغمات إذا احتكت ببعضها. وتخرج هذه السرطانات من جحورها أثناء الجزر على الساحل الرملي أو الطيني عندما ينحسر عنها الماء» (*مذكرات عالم بحار*، ٢٣٩).

126. قال[٢٠٦]: وقال لي من رأى شجر اللُّبان وهو نابت في أودية[a] ومسايل المياه وليس له فراخ ولا بزر ولا نخل، وكباره لا تصغر وصغاره لا تكبر، وهو على قدر واحد منذ كان لا يعرفه أربابه إلاّ على صورة واحدة، وهو مع هذا يتفاضل في الجودة، وليس يوجد له شجر في سائر الأرض إلاّ بالشحر من حدّ حاسك إلى حدود خارد[b]، والجميع نحو مئة وخمسين فرسخاً[(١)].

127. وقال: قال لي من دخل الهند، أنه رأى في غيضة بنواحي مانكير ـ وهي قصبة الهند التي بها بَلَّهَرَى ـ شجرة عظيمة غليظة الساق تكون مثال شجر الجوز، لها ورد أحمر فيه بياض[a] [مكتوب]: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله.

128. قال: وفي بحر الصَّنْف جزيرة، إذا وقعت السرطانات إلى أرضها صارت حجراً[a]، وهو حجر معروف يجلب إلى العراق وسائر الدنيا، وهو أكبر الأدوية[b] في جلاء البياض من العين[والصيادلة يسمونه السرطان النهري] [(٢)].

129. وقال: قال بعض البحريين إن رجلاً حدَّثه أنه رأى بالبُجَة[(٣)] عيناً

---

(١) خارد: وردت في الأصل: جارح، وفي مخطوطة آيا صوفيا: حاريح (؟)، فرجّحنا أنها خارد، ذلك أن الموضع من مسايل المياه كما يقول المؤلف، وكان الخارد من مسايل المياه المعروفة في هذه المنطقة من اليمن (*صفة جزيرة العرب*، ٢٨٠، ٢٨٣).

(٢) في *الصيدنة*: «ريباع: السرطان البحري المستحجر» (ص٣٣٢). وفي *مروج الذهب* (١/١٨٤) عند ذكر بحر الصين: «وفي هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر ... فإذا بان عن الماء بسرعة حركةٍ وصار على البر، صار حجارة وزالت عنه الحيوانية، وتدخل تلك الحجارة في أكحال العين وأدويتها».

(٣) في س: بالبحر، فأخذنا بما في ف. وكما في *دائرة المعارف الإسلامية* (الطبعة العربية الثانية، مادة البجة): «قبائل بدوية تعيش بين النيل والبحر والأحمر من الطريق الواصل بين قنا والقصير حتّى الزاوية الحادثة من عطبرة (من مدن السودان الحالي) والتلال القائمة على الحد الإريتري السوداني».

غزيرة[a] عليها حجر من زَبَرْجَد[1] عظيم تحمله أربعة أصنام من ذهب، فإذا طلعت الشمس عليه، اخضرت[b] العين كلها بخضرته، [وأنّ عَبَر - وهو ملك من الملوك المقاربة[c] لتلك النواحي - غزاهم لأجل هذا الحجر طمعاً أن يظفر بهم فيأخذه فلا يقدر عليهم أحد، وإنهم قد جرّبوا، وقال إنهم ما زالوا يستَبِقون، وإن بعض ملوكهم عزم على أخذ الحجر فلحقه سوء منعه، أو نحو هذا].

130. وقال لي بعض أصحابي إن بناحية أغباب سرنديب طائراً كبيراً[a] إذا أفرخ على شاطئ البحر لم تهبّ الرياح في تلك الناحية إلاّ بعد أربعة عشر يوماً.

131. وحَدَّثني العُمَانيّ محمد قال: رأيت بِبِرْن[a][2] من بلاد الهند غلاماً من الهند قد أخذه الملك في سرق أو غير ذلك، وأمر بسلخه وهو يتكلم ويغني ولا يتأوّه، إلى أن بلغ السَّلْخُ إلى سُرَّته، فلما قطعها طَفَا[3].

132. وقال: حُدِّثتُ أن بجزيرة من جزائر الواقواق طيراً ملوناً[a] بحمرةٍ وبياض وخضرة وزرقة على نحو الشِّقِرّاق وفي قدّ الحمام الشامي الكبار يسمونه السَّمَنْدَل[b]، يدخل النار ولا يحترق البتة ويمكث الأيام ولا يطعم إلاّ التراب؛ وإذا حضن بيضه لم يشرب الماء الأيامَ الكثيرةَ حتى يفقص[c] البيض، فإذا خرجت فراخه من بيضه تركه أياماً لا يدنو منه، ويطوف[d] بالفراخ [الذبابُ

---

(١) «الزُمُرُد والزبرجد اسمان يترادفان على معنىً واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر إلا بالجودة والندرة، ويختص بهما ثُمَّ يعمهما» (*الجماهر*، ٢٦٢؛ *الصيدنة*، ٣٠٤؛ *نُزْهَتْ نامه عَلائي*، ٢٦٠).

(٢) في الأصل الكلمة غير منقوطة، فرجحنا أنها ببرن التي قال البيروني إنها من المدن الواقعة على أحد فروع نهر الغانج و إن الكلمة تعني الذين لا لون لهم لشدة سواد بَشَرَتهم (*تحقيق ما للهند*، ٢١٨).

(٣) عن جلادة الهنود في مواجهة الموت والآلام الجسدية، انظر: *أخبار الصين والهند*، ٨٢ـ٨٣؛ *مروج الذهب*، ٢٤٧/١؛ *الروض المعطار*، ٣٧٠؛ *الجُعرافيّة*، ٢٩؛ *البدء والتاريخ*، ١٦/٤ ـ ١٨.

والبَقّ] فيكون ذلك غذاء الفراخ إلى أن يخرج ريشهم، فإذا تحركوا وريّشوا زقّهم حينئذٍ[(١)].

133. وقال: قال لي[a] إن بجزيرة من جزائر الواقواق دابّة تشبه الأرنب، يصير الذكر منها مرةً أنثى ومرةً ذكراً، والأنثى تصير مرةً ذكراً و مرةً أنثى. والذي حكى لي ذَكَرَ أن بعض الهند حدَّثه[b] بسرنديب بهذا[٢٠٧].

وما أدري ما أقول في هذه الحكاية. وقد يقال إن الأرنب بهذه الصورة، وهو عندي مستحيل[c]. والله أعلم[(٢)].

134. وقال[a]: قال لي بعض من سلك البحر إنه رأى ببلاد سُفَالة الزَّنْج حيواناً في قدر الضبِّ أو أكبر قليلاً إلاّ أنه على نحو صورته ولونه، وللذكر منه ذكران وللأنثى فرجان، وإن هذه الدابة تعضُّ فلا تبرأ عضتها ولا يزال الجرح أبداً ينتقض على صاحبه ويُعالج فلا يبرأ، وإن هذه الدابة أكثر ما تكون في مزارع قصب السكّر والذرة، وأكثر أكلها الحَيَّات والأفاعي، وإذا اجتمع منها على رجل واحد ثلاثة أو أربعة قطّعوه؛ وهم يَثِبون في وجه الإنسان. وكل[b] أكّار أو حافظ[(٣)] فلا بدّ له من كلبين[c] أو ثلاثة لا يفارقونه من أجلهم.

---

(١) يقول القزويني: «هو طائر... ومن عجيب أمر السمندل استلذاذه بالنار ومكثه فيها، وإذا اتّسخ جلده لا يغسل إلا بالنار، وكثيراً ما يوجد بالهند. وهي دابة دون الثعلب خلنجية اللون (نارنجية اللون) حمراء العين ذات ذنب طويل. يُنسج من ويرها مناديل إذا اتسخت ألقيت في النار فتنصلح ولا تحترق. وزعم آخرون أنَّ السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ في النار» (*حياة الحيوان الكبرى*، ١/ ٥٧٣؛ *نوادر التبادر*، ٢١٠). ويرى الكرمليُّ أنَّ الكتّاب العرب كانوا يطلقون لفظة السمندل وأخواتها على الحيوان المسمى Salamandre وعلىالطائر المعروف بالفنقس Phoenix (*معجم الحيوان*، ٢١٤).

(٢) يقول عليّ المدائني: «في *كتاب الفلاحة* (ربما كان المنسوب لابن وحشية)، إن الأرنب تصير إناثها ذكوراً وذكورها إناثاً، ويتوالدون على ذلك» (١) «« كتاب الخَوَاصّ»، ٣١٨).

(٣) الأكار: الحارث، من أكَرَ الأرضَ إذا حفرها؛ الحافظ هو الحارس المكلف بحراسة المزارع والبساتين.

135. وقال: حَدَّثَني[a] جعفر بن راشد [المعروف بابن لاكيس] ـ وهو أحد رُبَّانِيَّة بلاد الذهب ونواخذته المشهورين فيه ـ قال: حَدَّثَني بعض التجار بصيمور أن حية جاءت إلى خور صيمور فابتلعت تمساحاً كبيراً، وبلغ صاحب صيمور الخبر فوجّه بمن يطلبها، وأنه اجتمع عليها زيادة على ثلاثة آلاف رجل حتى ظفروا بها وشدوا في عنقها الحبال، واجتمع عليها جماعة من أصحاب الحَيَّات فقلعوا أنيابها، ثُمَّ[b] ضموا إليها قصبات الساج وشدوها بالحبال مع الساج من رأسها إلى ذنبها، وذرعوها فكانت أربعين ذراعاً بالعُمَرِيّ(١)، وحملها الرجال بالدُّهوق(٢) على أعناقهم، وكان تقدير وزنها آلاف أرطال، وأن ذلك كان في سنة أربعين وثلاث مئة.

136. وقال: حَدَّثَني بعض البحريين ممن دخل تلك البلاد أن من خرج من بحر صنجي ـ وهو بحر الصين ـ وقطع عرضاً ثلاثين زاماً ودون ذلك، وقع في جزائر الواقواق.

فإن كان هذا على ما حكى فطول جزائر الواقواق يحتمل أن يكون[a] خمسة آلاف فرسخ، وستة آلاف، وسبعة آلاف.

‹و› لا يحصى كم بين سُفَالة الزَّنْج إلى حد الصين ولا يضبطه أحد، ومَن قال إنه يضبطه أو يحصره فقد أخطأ.

137. وقال[a]: حكى لي قوم[٢٠٨]أنهم رأوا من دخل الواقواق كثيراً [واتَّجر] ووصف[b] سعة البلاد والجزائر، وليس أعني سعة البلاد أن البلدان كبار، ولكن أهل الواقواق كثير، منهم مشابه من الترك، وهم أحذق خلق الله

---

(١) الذراع العمري: طوله «ذراعٌ وسطٌ وقبضةٌ وإبهامٌ قائمةٌ» (*المحرر في الفقه*، ٢/ ١٧٩).

(٢) الدُّهوق: مفردها الدَّهَق، آلة للتعذيب وهما خشبتان تضغطان بعد وضعهما في أرجل المعذَّبين.

بالصنائع[ثُمَّ إنه يَتَخَرَّجُ في جميعها] (١)، والواحد منهم يكفيه أن يقيم أدنى طرف من الصنعة ثُمَّ يبني عليه، وهم أهل حيل ومكر وخبث [وخديعة وشدة بأس في كل شيء] .

138. وقال: قال لي رجل من التجار أقام باليمن أن جاراً له في منزل بعد أن اجتمع عنده ستة غلمان أو سبعة من أهل الواقواق فعلمهم صنائع، وكان منهم حدّاد فزاد أمره حتى أنه عمل من آلة الحديد والصُّفْر ما تحيّر فيه أهل عَدن لحسنه، وزاد أمره حتى بلغنا حذقه فيما يعمله الشيء الكبير الذي يقارب أجرةَ غيره، وكسب مولاه به جملة، وأنه التمس منه جارية مُثمنة فامتنع مولاه من ذلك، فأمسك عنه.

واتفق أن خرج مولاه إلى زيلع ـ وهي بحد البلاد المقاربة لعدن وبينهما مسافة قريبة ـ فأخذ الغلمان الواقواقيين معه، وكان هناك رجل من الواقواقيين فأفسد الغلمان وأخذهم ومضى، فما يعرف لهم خبر إلى اليوم.

139. وحَدَّثَني ابن لاكيس أنهم شاهدوا من أمر أهل الواقواق ما يدهش، وذلك أنهم وافوهم في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة في نحو ألف قارب، فحاربوهم حرباً شديداً ولم يقدروا عليهم لأن حول قَنْبَلَة[a] حصناً وثيقاً وحول الحصن خور[b] فيه من ماء البحر، وقَنْبَلَة[c] في ذلك الخور مثل القلعة الحصينة، وأنه وقع إليهم قوم منهم فسألوهم عن[d] مجيئهم دون سائر البلاد، فذكروا أنهم إنما[e] جاؤوهم لأن عندهم من الأمتعة ما يصلح لبلادهم والصين مثل العاج

---

(١) يتخرَّج في جميعها: يتقن جميع تلك الصنائع، ومايزال هذا التعبير العراقي متداولاً، فإذا وصفوا شخصاً بحسن التدبُّر في الأمور وإتقانها قالوا: فلان يِتْخَرَّجْ، ولمن لايمكنه ذلك: فلان ما يِتْخَرَّجْ.

والـذَّبل[١] والنمـور والعنـبر، ولأنهـم يريـدون الـزَّنج لصـبرهم علـى الخدمـة وجَلَدهم، وأنهم جاؤوا من مسيرة سنة ونهبوا جزائر بينها وبين قَنْبَلَة مسيرة ستة أيام وظفروا بعدة قرى ومدن من سُفَالة الزَّنج ما عُرف خبره سوى ما لم يُعرف.

فإن كان قول هؤلاء وحكايتهم صحيحة أنهم جاؤوا من مسيرة سنة[f]، فهذا يدل على صحة ما ذكره ابن لاكيس من أمر جزائر الواقواق وأنها قبالة الصين، والله أعلم.

140. وقد ذكرت أمر سَرَبْزة وأنها في آخر جزيرة لامري[٢]، وبين سَرَبْزة وكَلَه مسيرة مئة وعشرين زاماً، والله أعلم.

ويلغني أن خور سَرَبْزة يدخل في الجزيرة خمسين فرسخاً، وهو نهر أوسع من دجلة البصرة بكثير، ماؤه عذب مثل ماء دجلة البصرة، وليس في أخوار هذه الجزيرة أطول منه، والمدُّ فيه اثنتا عشرة ساعة[a]، وفيه التماسيح إلاّ ما كان منه بين الدور ‹فإنه› لا يضر، لأنه ـ فيما قد حُكِيَ ـ قد رُقي[b]، وما كان خارج الدور فليس يمكن أحداً يدنو منه بسبب التمساح.

ودور سَرَبْزة بعضها في البر ومعظمها[c] في الماء مبني على خشب ملفّق مثل الأطواق[d] ويبقى طول الدهر؛ وكل ذلك بسبب النار، فإن الحريق يقع كثيراً

---

(١) الذبل: في *الصيدنة*: «الذبل: ظهر السُّلَحْفَاة تصنع منه أساور النساء» (ص٣٨٣). (وفي *نزهة المشتاق*: «يتخذ منه حليّ وأمشاط لأنه غليظ... يتخذ منه أهل اليمن قصاعاً لغسلهم وخبزهم» (١/٥٢، ٧٠؛ انظر أيضاً: *مروج الذهب*، ١/ ١٧٦). ولقد ظلّ استخدام الذّبل في صناعة الأمشاط قائماً حتى عصرنا (انظر: قصة هدايا المجوس من مجموعة *قصص مختارة* من تأليف أو. هنري، ص١٤).

(٢) ذكرنا بهامش ص ٥٠ فإنه استناداً إلى يول و غروينفلدت فأن لامبري تقع في طرف سومطرة الشمالي الغربي، وعليه فهي بعيدة عن سربزة التي رجَّحنا (هامش ص ٩٦) أنها سورابايا الواقعة إلى الشمال الشرقي من جزيرة جاوة الإندونيسية قبالة جزيرة مادورا.

عندهم لأن الأبنية من خشب، فأدنى شيء يقع من النار فتحترق سائر الدور، فقد جعلوا هذه الدور في الماء استظهاراً[e] فإن وقع حريق أمكن صاحب المنزل أن يقطع الأناجر من منزله ويتحول إلى ناحية أخرى فيهرب من النار؛ وربما كره بعضهم جوار بعضهم فيتحول إلى حارة أخرى. والدور صفوف في الخور مثل الشوارع، والماء بين الدور غزير جداً وهو عذب لأنه من فوق إلى أن ينصب في الخور ويخرج إلى البحر، على هيئة دجلة من البحر.

141. وحكى لي أنه سمع بعض الرُّبَّانِيَّة يقول: إن المركب إذا مضت إلى سُفَالة الزَّنْج، فأكثر ما يبلغون إلى بلد فيه زَنْج يأكلون الناس[1]، وإنما يقع المركب إليهم على سبيل الغلط لأن الماء والريح يحدرانه، فلا يقدر الرُّبَّان على ضبطه ويغلبهم فيقع إليهم. وبين قَنْبَلَة وبين هذا الموضع الذي فيه الزَّنْج الذين يأكلون الناس نحو ألف وخمس مئة فرسخ، والله أعلم.

فأما الموضع الذي تمضي إليه المركب فهو بعد قَنْبَلَة بنحو ألف فرسخ، وأقلّه ثمان مئة، وهو مسيرة اثنين وأربعين زاماً ونحوها.

142. وقال: قال ابن الأكيس إن رجلاً حدَّثه بقَنْبَلَة، أنه كان عند بعض ملوك الزَّنْج بها، فجاءه من قال له إن فرخاً من فراخ طيور كذا ـ ونسي ابن الأكيس اسم الطير ـ قد وقع في الغيضة الفلانية وكان فوق الفيل يأكله، فقام ذلك المِلك وخرج إلى الغيضة الفلانية ومعه خلقٌ أنا منهم[a].

---

(١) تتحدث وثيقة رسميَّة من أول عهد الخليفة المعتضد بالله (حَكَمَ من ٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ) عن خَدَمٍ من السودان في دار الخلافة أكثرهم «من زغاوة ونوبة ابتيعوا من مصر ومكة، ومنهم الزَّنْج العجم المستأمنة من عسكر الخارجيّ بالبصرة (ممن شاركوا في ثورة الزَّنْج التي اندلعت سنة ٢٥٥ هـ) ممن كان صَبَرَ معه وألقى نفسه عليه عند قتله، وهم غُتْمٌ قُحٌّ يأكلون لحوم الناس والبهائم الميِّتة، وقد عوقبوا على ذلك فلم يرجعوا، وكانوا منفردين لايختلطون بالبيضان» (*تحفة الأمراء*، ١١).

فوقفنا على الطائر [وهو يضطرب] والفيل مطروح تحته وقد أكل منه نحو ربعه، فأمر ذلك المتملك فأثخنوه بالسهام والحراب والحجارة حتى صرعوه وقتلوه [فأمر الملك بأخذ ريش جناحيه، فإذا بالكبار منها اثنتا عشرة ريشة، في كل جناح ست، وأُخذ من ريشه شيء غير ذلك]، وأَخَذَ منقارَه وشيئاً من مخالبه[b] وشيئاً من جوفه وحمله معه، فكان في ذلك الريش الذي أخذ من جناحيه شيء قُطع أسفله فكان يسع قربتي[c] ماء أو نحو ذلك.

وحكموا أنه من فراخ طيور تكون بسُفَالة الزَّنْج [وأنه اجتاز بالغُوطة فرأى الفيل فأخذه بمخاليبه ورفعه إلى الهواء ورمى به فقتله ثُمَّ نزل عليه فأكله، وأحسَّ به قوم كانوا هناك فأثخنوه بالسهام المسمومة والحراب حتى صرعوه وقتلوه].

143. وقال لي ابن لاكيس: إن بين تَنْبَتَه[1] وجزيرة الغيلمي بحر صغير يقال له بحر صفير[a] طوله مسيرة ستة أيام، ويحتاج المركب إذا سلكه أن يأخذ ماء ثلاثين باعاً، فإنه إن كان في عشرين باعاً غاص، وذلك أن في هذا البحر وحلاً رقيقاً إذا وقع فيه المركب أتلفه، قليل أن يسلم منه أحد.

144. قال[a]: ومن الجزائر الموصوفة التي ليس مثلها في البحر [٢٠٩]، جزيرة سرنديب وتسمى[b] سهلان وطولها نحو مئتي فرسخ ودَوْرُها نحو مئتين وخمسين فرسخاً، وفيها مغاص اللؤلؤ النقي إلاّ أنه صغار، وما كان فيه من كبار فهو رديء، وجبلها حصين[c] وهو جبل الراهون معدن الياقوت والألماس.

قال: ويقال إن هذا الجبل هو الذي هبط عليه آدم صلى الله عليه وسلم[d]، وفي موضع منه أثر قدم طوله نحو سبعين ذراعاً، وأهل الجزيرة يقولون: إن هذا الأثر هو أثر قدم أحد رجلي آدم صلى الله عليه وسلم[e]، وإنه وضع رِجْلاً هاهنا

---

(١) تنبته: في الأصل: تبتة (انظر الخبر 104). الغيلمي وصفير، المرجح أنهما شمالي مضيق موزمبيق.

والرجل الأخرى في البحر[١].

وتراب موضع من هذه الجزيرة أحمر، وهو هذا السُّنْبَاذَج[f] [٢]، الذي يُخرط به البلور والزجاج ويثقب به اللؤلؤ[g]، وقشور أشجارها القِرْفة المرتفعة وهي القرفة السهلانية[h] الموصوفة[٣]. وحشيش هذه الجزيرة أحمر تصبغ[i] به الثياب والغزل وهو صبغ يفوق البَقَّمَ والزعفرانَ والعُصْفُرَ وكلَّ صبغ أحمر[j]، وبها غير هذا مما يطول ذكره [ويتعجب منه].

وقيل إن بجزيرة سرنديب نحو من مئتي ألف قرية[k].

145. وقال: سمعت غير واحد يحكي أن رجلاً[a] من أهل البصرة كان ينزل[b] في وسط سِكّة قريش بالقرب من الـمُعْتَرَض الذي يخرج سالِكُهُ إلى المتومين (؟) خرج من البصرة قَبْل الزَّنْج[c] إلى الصين[٤]، واختلف إلى البحر، ثُمَّ كُسر به في بعض كَرّاته بنواحي الزَّابَج أو ما قاربه[d]، فتخلص ووقع إلى جزيرة.

---

(١) في *أخبار الصين والهند*: «وقَدَمُهُ في صفا رأس هذا الجبل منغمسة في الحجر، في رأس هذا الجبل قدماً واحدة. ويقال إنه عليه السلام خطا خطوة أخرى في البحر. ويقال إنَّ هذه القدم التي على رأس الجبل نحوٌ من ٧٠ ذراعاً» (ص ٣١؛ *ذكر الأقاليم*، ٣٢٣؛ *المسالك والممالك* لابن خرداذبه، ٦٤؛ *البلدان* لابن الفقيه، ٦٥). وفي *عجائب الدنيا*: «يأتي كلَّ مساء سحاب ليهطل على الموضع الذي فيه قدما آدم ولايهطل على أي موضع آخر» (ص٣٤٧). ويدعى اليوم Adam spek . وفي *أحسن التقاسيم* (ص ٢٧): «يُرى عليه كل ليلة نور».

(٢) السنباذج: حجر تُجلى به الأدوات المعدنية ، ونقل البيروني عن ديسقوريدس قوله: هو حجر سيمرس وبه تُجلى الفُصوص للخواتم و معدنه في جزائر الصين (*الصيدنة*، ٣٥٤؛ *الجماهر*، ١٨٤ ـ ١٨٧).

(٣) القرفة: لحاء شجرة، يستفاد منه في خليط التوابل وبعض الاستخدامات الطبية وكشراب ساخن. قال البيروني إن العامة تسمي هذا النبات الدارصيني (*الصيدنة*، ٤٨٤). ويُدعى في العراق الدارْسِين.

(٤) قبل الزَّنْج: كان خروج بطل هذه القصة قبل ثورة الزَّنْج التي اندلعت في البصرة سنة ٢٥٥هـ.

قال: فصعدت تلك الجزيرة وتعلقت بشجرة كبيرة، فواريت شخصي بين أغصانها وورقها[e] وبتُّ ليلتي.

فلما أصبحت، رأيت غنماً قد أقبلت نحو مئتي رأس أو أكثر في قدر العجاجيل يسوقها رجل لم أر مثله عظم خلقٍ وطولٍ وعرضٍ وبشاعةِ منظرٍ ومعه عصا[f] يسوق بها الغنم، فقعد على ساحل البحر ساعة والغنم ترعى بين ذلك الشجر، ثُمَّ طرح نفسه على وجهه فنام إلى حدود نصف النهار، ثُمَّ قام فرمى بنفسه في البحر[g] واغتسل وخرج، وهو مع ذلك عريان ليس عليه إلاّ ورقة من ورق الشجر تشبه ورق [٢١٠] الموز[h] إلاّ أنها أعرض منه قد جعلها في وسطه [كالمئزر]، ثُمَّ عمد إلى شاة فقبض على رجلها وأخذ ضرعها في فمه[i] ومصَّه إلى أن شرب ما فيه، ثُمَّ فعل ذلك بعدة من الغنم، ثُمَّ استلقى في ظل شجرة، ففي تأمُّلِهِ الشجرةَ، وقع طائر على الشجرة التي أنا فيها، فأخذ حجراً فيه أرطال وحذف به الطائر فلم يخطئ رجليه، وسقط الطائر بين أغصان الشجرة بالقرب مني فرآني، فأومأ إليَّ بيده أن انزل؛ فلخوفي منه بادرت وأنا ضعيف ميت جوعاً وعطشاً وخوفاً، فنزلت. وصعد إلى الشجرة وأخذ الطائر ورمى به إلى الأرض[j]، فقدّرت أن وزن الطائر نحو مئة رطل أَقَلُّهُ[1]، ثُمَّ نزل ونتف ريشه وهو حي يضطرب، فلما نتفه أخذ حجراً فيه نحو عشرين رطلاً فضرب به رأسه وتركه حتى مات، ثُمَّ لم يزل يضربه بذلك الحجر حتى فسخه[k] وهراه، ثُمَّ جعل ينهشه بأسنانه ويأكله كما تأكل السباع حتى أتى عليه ولم يبقِ إلاّ عظامه، فلما اصفرّت الشمس قام وأخذ العصا وساق الغنم بعد أن صاح صيحة ‹و›

(١) أقلّه: في الأقل.

أرعبني[l]، فاجتمعت[m] الغنم إلى موضع واحد وأوردهم شبه خليج[n] في الجزيرة فيه ماء عذب، فسقاهم وشرب وشربتُ ضرورةً وقد أيقنتُ بالموت.

ثُمَّ ساقنا أجمعين حتى[o] أوردنا موضعاً قد عَمِله بين الأشجار وحَجَرَهُ مثلَ الحظيرة وحوله الخشب طولاً كأحكم ما يكون، وله شبه الباب الذي يكون في الدار يرفعه ويرمي به قائماً، ولا يمكن أن يدخل من خلال ذلك الخشب شيء؛ فرفع الباب ودخلت الغنم ودخلتُ معها، وإذا في وسط تلك الحظيرة مثل العِرْزَالَة[p] في ارتفاع نحو عشرين ذراعاً على الخشب الوثيق[1]، والعِرْزَالَة على سقف البيت[q]، فما عمل شيئاً حتى أخذ شاة كانت من أصغر الغنم وأهزلها فدقّ رأسها حتى فَدَغَهُ[2]، ثُمَّ أجَّجَ ناراً وجعل يقطع الشاة بيديه وأسنانه كما تفعل السباع ويرمي باللحم مع الجلد والصوف في النار، ويأكل كما يأكل السَّبُعُ، وأكَلَ الكَبِدَ [٢١١] وما أشبهه مما في جوف الشاة نيئاً؛ ثُمَّ عمد إلى الغنم فلم يزل يشرب من هذه وهذه حتى شرب من عدة كبيرة، ثُمَّ أخذ شاة من أكبر الغنم فقبض على وسطها بيديه وأتاها[r] وهي تصيح[3]، ثُمَّ أخذ أخرى ففعل بها مثل ذلك، ثُمَّ صعد إلى تلك العرزالة فأخذ شيئاً كان يشربه ونام، وجعل ينخر كما ينخر الثور[s].

---

(١) العرزالة أو العرزال: كوخ يتّخذ من السعف أو أغصان الشجر.

(٢) فَدَغَهُ: شَجَّهُ، وقد سمعتها في صِباي بهذا المعنى في الفرات الأوسط.

(٣) في ع: «فَسَخَّمها وهي تصيح». وقد علّق الشاروني بهامش طبعته (ص١٤٧) على الكلمة بقوله: «فسخمها: وصحتها: فسَّخها. وقد ترجمها مارسيل ديفيك بالمعنى المعروف دون تصحيح». انتهى كلامه. قلت: الصواب ما فعله ديفيك فالفعل «سخَّمَ» يستخدم في العامية العراقية لحالات الاغتصاب وما يزال متداولاً في العراق للاعتداء الجنسي، ويُلفظ بالصاد بدل السين كناية عن سواد الوجه (العار).

فلما انتصف الليل جعلت أدبّ قليلاً قليلاً إلى موضع النار وتتبعت ما بقي من لحمٍ ويطونٍ فجعلت آكل منه بمقدار ما يمسك رمقي، وخفت من شرب اللبن أن تنفر[I] الغنم فينتبه فيجعلني مثل الطير أو الشاة. ويقيت مطروحاً إلى الغداة[II].

فلما أصبح نزل وساق الغنم وساقني معهم ويومئ إليّ مع هذا بكلام لا أفهمه، وأتكلم بما أعرف من اللغات فلا يفهم عني. وكنت قد صرت مثل الخشبة ضراً وهزالاً وصار عليّ من الشَّعر أمر عظيم، وأظنه لما رآني على تلك الصورة عافتني نفسه وكان ذلك سبب تأخيره أكلي.

ولم أزل معه في تلك الجزيرة[V] نحو عشرة أيام يفعل كل يوم مثل ما يفعل في الذي قبله سواء، ولا يمضي يوم إلاّ ويصيد فيه الطير والطيرين، فإن حصل له من الطيور ما يشبعه لم يأكل [شيئاً] من الغنم، وإن قصرتْ به الطيور[IV] أكل شاةً. وصرت أعاونه في إيقاد النار[X] وجمع الحطب وأدبر الحيلة لنفسي؛ إلى أن مضى لي عنده نحو من شهرين وصلح جسمي، ورأيت في عينيه[V] آثار السرور، ووقع لي أنه قد عزم على أكلي لأنه قد زاد في الاحتياط عليّ. وعرفت أمره فيما يشربه وأنه من شجر الموز ومن شجر في الجزيرة يجمع ورقه وثمره مع أبدان الموز فينقعه في الماء ثُمَّ يصفيه ويشربه فيسكر طول ليلته حتى لا يعقل.

وكنت أرى في تلك الجزيرة طيوراً كباراً في عظم الفيل والحمار والثور وأكبر منه وأصغر ومنها شيء قد أكل بعض غنمه، وإنما يبيت هو وغنمه في تلك الحظيرة [خوفاً] من تلك الطيور لأنها بين شجر كبار، وقد جعل تحت الشجر مثل السراديب من وثاقة ما قد عمل، والطير تفزع [٢١٢] أن تنزل إلى هناك فتتعوّق في الأشجار وتبقى في مكانها[Z].

فلما كان في ليلة من الليالي شرب وسكر ونام، ثُمَّ قمت ودببت وتعلقت بشجرة ومسكت غصناً من بعض أغصانها، ونزلت أمضي على وجهي في طلب

صحراء قد كنت أشرفتُ عليها من بعض ذلك الشجر[aa] الذي صعدته في مقامي، فلم أزل أمشي على وجهي بين الأشجار إلى الصباح.

فلما أصبحت تنكّبت طريقي خوفاً منه وتعلقت بشجرة عظيمة الساق ومعي خشبة قد أعددتها[bb]، وعملتُ على أنه إن لحقني فصعد خلفي ضربت رأسه، فإما أن أدفعه عن نفسي وإما أن يقتلني، إذ كان الموت لا بدّ منه أقمتُ معه أم فارقتُه، فمكثت يومي في الشجرة فلم أره، وقد كنت أخذت معي قطعة من ذلك اللحم المشوي فلما أمسيت أكلتها.

ونزلت فمشيت ليلتي إلى الصباح، فلما أصبحت وجدتني في صحراء وفيها أشجار متفرقة. وأمنت ذلك الرجل فمشيت وما أرى أحداً إلاّ الطيور ووحوشاً لا أعرفها وحيَّات. ووصلت إلى ماء عذب وأشجار فأقمت بمكاني وجعلت آخذ من ذلك الثمر[cc] ومن موز وجدته، فآكل وأشرب من ذلك الماء أياماً، والطيور تطيف بي بالغيضة إلى أن عَيَّنْتُ على طير منها[dd] فأعددت شيئاً من قشور الشجر مثل الحبال، ولم أزل أرصد ذلك الطائر حتى سقط في الغيضة[ee] يرعى ودرت من خلفه [فـ]ـتعلقتُ بساقه، وهو مع هذا مشغول يرعى، وشددت نفسي مع ساقه بذلك القشر، فلما فرغ من أكله شرب ماء وتحلّق في الهواء، فأشرفتُ[ff] على البحر وعاينتُ أمراً عظيماً؛ ولأني قد علمت على أنه الموت لا محالة هان عليَّ، فلم أكْذِب[1] أن قطع بحاراً إلى ما شاء الله وانحطّ في جزيرة على جبل فيها، فحللت نفسي من ساقه ونزلت، وأنا قطعة لحم ضعفاً في جسمي وقلبي، وجعلت أجرُّ نفسي إلى خلف خوفاً أن يدور عليَّ فلا

---

(١) يبدو أن الصواب: فلم يكذب أن قطع بحاراً، ذلك أن الحديث يدور عن الطير وليس عن المتحدث. وهو تعبير متداول في العاميّتين العراقية والسورية ويعني: «ما أسرع ما»، أي: ما أسرع ما قَطَعَ بحاراً.

آمن منه[1]. وطلعت إلى شجرة أخفيت شخصي فيها.

فلما أصبحت رأيت دخاناً فقلت الدخان لا يكون إلاّ مع الناس، فنزلت من [٢١٣] الشجرة وجعلت أمشي إلى أن قاربت الدخان، فما مشيت قليلاً حتى اعترضني جماعة فأخذوني وكلّموني فلم أعرف لغتهم، وكلّمتهم فلم يعرفوا لغتي، وحملوني إلى أن وافوا بي قرية بيوتها من طين وخشب، فأدخلوني في منزل من منازلهم وحبسوني في بيت فيه ثمانية أنفس أو تسعة، فسألوني عن خبري فحدّثتهم، وسألتهم فخبروني أنهم أهل مركب فلان وكان خارجاً من الصنّف إلى الزّابَج فوقع عليهم الخِبّ فانكسر مركبهم وتخلصوا في قارب مع نحو عشرين رجلاً من أهل المركب، ووقعوا إلى هذه الجزيرة فأخذهم قوم منهم واقتسموهم، وأنهم قد أفنوهم وأكلوا منهم جماعة إلى هذا الوقت. قال(gg): فنظرتُ فإذا مقامي عند صاحب الغنم كان أصلح، ثُمّ فكرت وإذا إلفي بالقوم ـ وإن كنتُ أؤكل ـ قد هوّن عليّ الموت، لأنّا جماعة ويعضنا يتأسى ببعض.

---

(١) تنطبق أوصاف هذا الطائر الضخم على الرُّخّ الذي عرّفنا به فيما مضى. نقرأ في قصص السندباد من *ألف ليلة وليلة* (٩/٢، الليلتان ٥٤٣، ٥٤٤)، كيف أنه وقع إلى جزيرة واستولى عليه اليأس إلى أن رأى طيراً عظيم الخلقة كبير الجثة عريض الأجنحة طائراً في الجوّ وهو الذي غطّى عين الشمس وحجبها عن الجزيرة، فتذكّر حكاية أخبر بها قديماً السّيّاحةُ والمسافرون عن طائر الرُّخّ، وتابع السندبادُ قائلاً إنه عندما نزل ذلك الطائر على القبة الكبيرة البيضاء الشاهقة العلوّ التي هي بيضته وحضنها بجناحيه ومدّ رجليه من خلفه على الأرض ونام عليها، فعند ذلك فككتُ عمامتي من فوق رأسي وثنيتها وفتلتها حتّى صارت مثل الحبل وتحزّمت بها، وشددت وسطي وربطت نفسي في رِجلَي ذلك الطير وشددتها شداً وثيقاً... ؛ وفي قصة بحرية من *مجمل التواريخ والقصص* يلجأ بطل القصة عند غرق سفينته، إلى جزيرة منعزلة لم ينقذه منها إلا تعلّقه برِجْل طائر أبيض كأنه البعير في ضخامته، حيث حمله إلى جزيرة مأهولة (ص٥٠٥ ؛ وقد أكملنا النص من المخطوطة المطبوعة طبعة تصويرية، الورقة ١١٨ ب).

فلما كان من غد ذلك اليوم جاؤوا بسمسم أو شيء يشبهه مع موز وسمن وعسل ووضعوه عندنا، فقال لي القوم: هذا طعامنا منذ وقعنا معهم، فأكلنا مقدار ما يمسك أرماقنا. ثُمَّ جاؤوا ونظروا إلينا فأخذوا أحسننا حالاً في جسمه[hh] فودّعناه، وقد كان بعضنا أوصى إلى بعض وبكينا عليه.

فأخرجوه إلى وسط ذلك المنزل ودهنوه من رأسه إلى قدمه بالسمن، ثُمَّ أقعدوه في السمن مقدار ساعتين، ثُمَّ[ii] اجتمعوا عليه فذبحوه وقطعوه بالسكاكين قطعاً صغاراً ونحن نراه، ثُمَّ شووا بعضه وطبخوا بعضه وأكلوا بعضه نيئاً بليمو[1] مملوح وسمن، ثُمَّ جلسوا فشربوا شراباً لهم وسكروا فناموا.

فقلت لهم: يا قوم! ليس نتوقع إلاّ أن نؤكل واحداً بعد واحد. والقتل فليس وراءه شيء، والوجه أن نقوم فنقتل هؤلاء لأنهم سكارى ونخرج على وجوهنا، فإن سلمنا فالحمد لله، وإن هلكنا فهو أسهل من هذا البلاء الذي يحلّ بنا وبعضنا يرى بعضاً؛ وإن لحقنا أهل القرية فهو الأكل وهو هذا الذي نتوقعه.

واختلف رأينا بقية يومنا وأظلّنا الليل وأصبحنا فجاؤونا بما نأكله على الرسم.

ومضى ذلك اليوم [٢١٤] واليوم الثاني والثالث والرابع على الرسم فيما نأكله، فلما كان في اليوم الخامس جاؤوا وأخذوا منا واحداً ففعلوا به مثل ما فعلوا بذلك الأول، فلما سكروا وناموا، قمنا إليهم وقد كنا حَقَّقْنَا العزمَ عليهم، فذبحناهم بأسرهم.

---

(١) الليمو: ثمرة الليمون المعروفة (*عمدة الطبيب*، ١/٤٤؛ *الصيدنة*، ٥٦٣)، وفي *الإبداع الزراعي*، ١٠٣ — ١٠٥ عرض مهم لتاريخ هذه الثمرة في التراث الإسلامي.

وأخذ كل واحد منّا سكّيناً وحديداً من حديدهم وشيئاً من ذلك العسل والسمن والسمسم. فلما أظلمت الدنيا خرجنا من المنزل وقد كنا رتّبنا أمرنا من النهار وميّزنا كيف الخروج ومشينا نطلب ساحل البحر من جانب آخر لا من وسط القرية، وأصبحنا من غد في غيضة ونحن سبعة أو ثمانية فتعلقنا بالشجر خوفاً من القوم وطلبهم إلى الليل.

فلما جنّنا الليل نزلنا ومشينا ونحن نقدّر الطريق على الكواكب ونطلب ساحل البحر إلى أن أصبحنا من غد على ساحل البحر، فأخذنا نمشي الساحلَ الساحلَ يومنا، ثُمَّ أَمِنَّا القومَ وكنا نمشي ونستريح ونأكل من ثمار الغياض وهي كثيرة الموز زماناً طويلاً، إلى أن وقعنا في غيضة حسنة فيها ماء عذب طيب، فعزمنا على المقام فيها أبداً إلى أن يمرّ بنا مركب أو نموت فيها.

فأقمنا بتلك الغيضة دهراً لا يمرّ بنا أحد، ومات منا ثلاثة أنفس وبقي أربعة أو خمسة، فإنّا في بعض تلك الأيام نمشي وإذا نحن بقاربٍ خَلَقٍ قد قذف به الموج وفيه جماعة موتى وقد تقطعوا، والقارب جانح في الطين يضربه الموج في المدّ ويدخله في الجزر وهو مطروح، فاحتلنا إلى أن رمينا بهم من القارب في البحر وغسلنا القارب بالرمل والطين والماء من رائحتهم بحسب ما أمكننا، واحتلنا في أن جذبناه إلى الساحل وأخذنا معنا طيناً من طين الجزيرة مثل الغري من جودته وأصلحنا فيه شبه الدَّقَل بعد أن فتلنا من ليف نخل النارجيل حبالاً وأصلحنا به شبه الشراع، وملأنا القارب من النارجيل وثمار الأشجار، وقد كنا فرّغنا شيئاً كثيراً من قشور النارجيل وملأناه بالماء وسددنا حوله بالطين والخوص والليف.

ثُمَّ ركبنا في القارب وبعضنا يُبصِر عمل البحر وسرنا نحو خمسة عشر يوماً، ووقفنا [٢١٥] بقرية من قرى الصَّنْف بعد أهوال وعجائب مرت بنا.

وتسبّبنا[١] من تلك القرية إلى أن وصلنا إلى الصَّنْف، وخبّرنا الناس بأخبارنا فجمعوا لنا ما تزودنا به وتحملنا وخرجَ كل واحد يقصد بلداً[٢].

ورجع هذا الرجل إلى البصرة بعد أربعين سنة من غيبته وقد باد أكثر أهله ووجد ولداً لولده فأنكروه؛ وقد كانوا لما انقطع خبره اقتسموا ماله ــ وكان موسراً حسن الحال ـ فلم يصل من ماله إلى شيء وأقام مُدَيْدَةً ومات.

146. قال[a]: وحَدَّثَني بعض البحريين أنه كان ماضياً بين سَرَبْزة [والصين في سُنبوق[٣]].

---

(١) تسببنا: تدبَّرنا أمرنا وتوسلنا بوسيلة وصلنا بها إلى الصنف. وفي العامية العراقية اليوم نجد قولهم: نريد نتسبب باب الله؛ أي نتوسل بوسيلةٍ ما للحصول على الرزق.

(٢) في إحدى قصص السندباد من *ألف ليلة وليلة* (٢/ ١٢ــ ١٤، الليلتان ٥٤٦، ٥٤٧)، و بعد أن استولت القرود الشريرة على سفينتهم واضطروا للنزول إلى جزيرة، وقعوا بين براثن شخص عظيم الخلقة «في صفة إنسان، وهو أسود اللون طويل القامة كأنه نخلة عظيمة، وله عينان كأنهما شعلتان من نار، وله أنياب مثل الخنازير، وله فم عظيم الخلقة مثل فم البشر، وله مشافر مثل الجمل مرخية على صدره»، كان يختار السمين منهم ليُدخل سيخاً في حَلْقه حتى يخرج من دبره ليشويه ويأكله... وفي إحدى الليالي وبعد أن أكل ونام، طلب السندباد إلى رفاقه أن يقتلوه، فأخذوا سيخين أحموهما حتى الاحمرار وأدخلوهما في عينيه، فهبَّ وهو يصرخ متألماً وغادر وجاء باثنين من جنسه أكبر وأوحش خلقةً، فلما رآه السندباد ورفاقه اسرعوا وفكّوا الفُلْك الذي صنعوه وهربوا.

(٣) السنبوق: في *تكملة المعاجم العربية* (٤٦/٦): «سنبوق: زورق كبير لاسقف له يحمل من ٨٠ ـ ١٨٠ طنّاً، وهو محدَّد المقدمة عريض المؤخرة وله شراع كبير»، ولدى ابن بطوطة: الصنبوق (١/ ٢١٠، ٢٧٩). وفي *تاريخ المستبصر*: «فإذا قرب المركب، ركب المبشّرون الصنابيق للقاء المركب...وينزل المبشرون في الصنابيق راجعين إلى البلد» (ص١٣٩، ١٣٨). ويقول فالح حنظل: «سَمبوك وكذلك سَنبوك، هو نوعان: الأول ويسمى يماني، وهو كبير الحجم يستعمل للغوص وللأسفار البحرية والتجارية أيضاً؛ الثاني اصغر حجماً يصل طوله إلى ١٥٠ قدماً وعرضه ٢٥ قدماً، وحمولته حوالي ٣٠٠ طن. وهذا النوع يستعمل في الغوص» (*معجم الغوص*...، ٢٠٤).

قال: فلما سرنا من سَرَبْزة مقدار خمسين زاماً وقع علينا الخِبّ ورمينا بعض الحمولة إلى البحر، ومكثنا في الخِبّ أياماً، ثُمّ وقعت علينا الريح ولم نضبط المركب، فأشفينا على الهلاك واستعددنا لأن نرمي نفوسنا في البحر ونتعلق بجزيرة. فإنّا لعلى صورتنا إذ سكنت الأمواج وطرحنا الأناجر ونحن لا نصدق أنّا قد تخلصنا. ولم تمضِ ساعة حتى لاح لنا من الجزيرة جماعة، فانتظرنا أن يخرج إلينا قوم منهم فلم يخرج إلينا أحد، وأومأت إليهم فلم يجيبونا ولم نعرف الموضع وخفنا متى نزلنا إليهم أن نتأذى بهم أو يكون وراءهم قوم فيوقعوا بنا فلا نطيقهم. فمكثنا في موضعنا أربعة أيام لا ينزل منا أحد إلى الجزيرة ولا يعبر إلينا منهم أحدٌ.

فلما كان في اليوم الخامس أجمع رأينا على النزول إليهم لأنّا احتجنا إلى الماء وإلى مسألتهم عن الطريق وأنّا لم نعرف الطريق والمسلك إلى طريقنا الأول، فنزل منا مقدار ثلاثين رجلاً بالسلاح في القارب والدونيج.

فلما صعدنا إليهم تهاربوا كلهم ولم يبقَ إلاّ رجل واحد [فكلّمنا فلم نعرف لغته إلاّ رجل واحد منا] كان في المركب فقال لنا: هاتان جزيرتان من جزائر الواقواق.

وجعلنا نسائله بترجمة ذلك الرجل على[1] الجزيرتين، فحكى لنا أنهما من جزائر الواقواق وأنه ليس بقربهم [بلد] إلى مسيرة ثلاث مئة فرسخ، [وهي] جزيرة [ليس] فيها أحد سواهم، وأن عددَ جميعِهم نحو أربعين نفساً.

---

(١) كذا في الأصل، وهو أمر مألوف في العامية العراقية.

فسألناه عن طريقنا[إلى الصَّنْف] [1] فذكر أنّا نريد أن نأخذ عرضاً أياماً إلى [٢١٦] أن نرجع إلى الطريق[2]، فضمنّا له شيئاً نهبه له وكسوناه فوطتين، فردّ علينا ذلك وقال: خذوا طريق كذا حتى تروا جبلاً من حاله كذا، وأخذ يصف الجبل صفةً من يعرفه، وامتنع أن يرشدنا وهو معنا في المركب.

فقبضنا عليه وأدخلناه المركب وأوثقناه وأقمنا يومين نطوف الجزيرة لنظفر بمن بقي فنسألهم عما نحتاج إليه، فلم نتمكّن من أحدٍ منهم ولم نجد بالجزيرة شيئاً مما يؤكل على وجه ولا سبب، فعجبنا من ذلك وقلنا للرجل: إنّا نحملك معنا إلى الصين ونردّك إلى بلادنا ونحسن إليك ونفعل بك ونصنع، وهو لا يزيدنا على البكاء والتضرّع أن نردّه إلى الجزيرة. وقال لنا: إن له جوزة[b] بالجزيرة وإنه يحبها ولا يصبر عنها ولا عن مولده[3] وموطنه.

فسألناه: ما الذي يأكلون في الجزيرة؟ فقال: أكثر ما نأكل الحَيَّات والفأر، وفي الأوقات السمك، لا يعرفون غير ذلك. فحملناه معنا، وأخذنا في الرجوع إلى الطريق، وسلّم اللهُ ورجعنا ووصلنا إلى الصين.

قلت له: فما فَعَلَ الرجل؟ فقال: إنه كان يمضي به اليوم واليومان والثلاثة لا يَطْعَم شيئاً، وأنهم إذا خافوا عليه التلف أكرهوه حتى يأكل، إلى أن رموا به في بعض الجزائر في الطريق.

---

(١) هنا تنتهي مخطوطة آيا صوفيا بالشكل التالي: « فسألناه عن طريقنا إلى الصَّنْف فعرّفنا ودلّنا. وملأنا الماء وشرعنا نحو الصَّنْف ـ على ما قال ـ فأقمنا خمسة عشر زاماً وأشرفنا سالمين إلى الصَّنْف والسلام».

(٢) أنّا نريد: ينبغي لنا أن نأخذ عرضاً لأيام لنصل إلى الطريق ؛ يقال اليوم في العامية العراقية لمن يبتغي تحقيق أمرٍ ما: يريدْ لك (يُراد لك، ينبغي لك) أن تُعِدّ كذا أو تفعل كذا ؛ أو يريدْ لي...

(٣)جوزة: زوجة، الكلمة ما تزال في بعض العاميات العربية. مولده: مسقط رأسه.

147. وأهل الصين كلهم يأكلون الميتة[1].

148. وقال: حَدَّثني ابنُ الأكيس أن شجرة[a] الكافور مثل المنارة ملساء ليس عليها شيء إلى رأسها، ثُمَّ يصير في رأسها أغصان تتفرع على عمل المظلّة، وربما زاد طول الشجرة على مئة ذراع، وخشبه خَوّار لا يصلح للعمل.

وقال: حكى لي أنه رأى شجرة مطروحة قد مضت عليها سنون منذ سقطت أو قطعت، فمشى فيها من أولها إلى أن خرج من آخرها وهو قائم قد بسط يده ومدّها، وهذا يدل على أن سُمك تجويف هذه الشجرة على الأقل ستة أذرع أو خمسة ونصف.

قال: وليس يقطع أشجار الكافور إلاّ أهل فَنْصُور لأنهم مثل القبائل، ولكل قبيلة صُقْع وخطة لا يتعدى بعضهم إلى ناحية بعض، وهم يستسلفون من [٢١٧] التجار على الكافور، ويخرجون لقطع الشجر وطلبه ويحملونه ويبيعونه عليهم.

149. وحَدَّثني عبد الواحد بن الحسن الفسوي[2] قال: رأيت بِبَيْرَن[a] غلاماً صبيح الوجه حسن البدن من أولاد المسلمين مولده ببلاد الهند، وقد ذهب مذهب الهند وتخلّق بأخلاقهم، يطوف بالبلد وبين يديه طبول وبوق ومطرد، فسألته عن أمره فذكر أنه قد خاطر[3] رجلاً من الهند في أن يقتل نفسه، فاجتهدتُ به ولطفت له في أن يرجع عن رأيه فامتنع وقال: لا يجوز أن أكذب.

---

(١) يجمعهم سليمان التاجر مع الهنود فيقول: «والصين والهند يقتلون ما يريدون أكله ولا يذبحونه، فيضربون هامته حتّى يموت» (*أخبار الصين والهند*، ٥٤؛ *البلدان* لابن الفقيه، ٧١).

(٢) رجّحنا في مقدمة الكتاب أنه هو نفسه عبد الواحد بن عبد الرحمن الفسوي الذي في الخبر103.

(٣) خاطرَ: راهنَ.

فقلنا له: أنت من أولاد المسلمين وهذا فضيحة عليهم فلا تعجل بنفسك إلى نار الله، واتّق الله عز وجل، فلم ينفعني كلامي له.

فلما كان من غدٍ حَضَرَ فَيْسَرُ[١] المتملك بِبِبَرْن وأهل البلد وجاء الغلام يخطر وهو يمضغ التانبول وعليه ثوبان قد ارتدى أحدهما[b] واتّزر بالآخر، فطاف حول مسجد في الموضع وسجد للمسجد ولم يدخله، ثُمَّ خلع الثوبين على رجلين كانا في جملة مَن معه وصعد على كرسي خشب قد عُمل له ومُدّ على خشبتين، ويداه[c] بين ثلاث خشبات وشدّ شعره مع رأس قناة، وكلُّ إبهام من رجليه مع رأس قناة، ثُمَّ جاءه رجل معه طَبَر فيه نحو من عشرة أرطال أحدّ من الموسى، فضرب أحد ساقيه ضربة فتعلقت رجله مع ساقه في رأس القناة، ثُمَّ فعل بالرجل الأخرى مثل ذلك، ثُمَّ وضع المنشار على عاتقه فقطعه إلى الجانب الآخر مورياً، ثُمَّ قطع ضلعين من أضلاعه، ثُمَّ وضع المنشار على عاتقه الآخر فألحق القطع الثاني بالقطع الأول، فتعلق الرأس مع العنق مع الصدر وما مع ذلك في رأس القناة، ثُمَّ وافى أهلُه فجمعوه ودفنوه[٢].

150. قال: وحَدَّثَني شاهان بن حُمُّوَيْه المعروف بدود في سنة خمسين وثلاث مئة قال: أنفذني أحمد بن مروان التاجر في مركب جهّزه على يدي إلى كَلَه، فاضطروا إلى المضي إلى فَنْصُور.

---

(١) الفيسر: أو البيسر، وجمعها البياسرة: «هو المولود على مِلّة الإسلام في الهند» (*الفرج بعد الشدة*، ٣٥٩/١)، وفي *مروج الذهب*: «يراد بهم الذين وُلدوا من المسلمين بأرض الهند» (٢٤٨/١).

(٢) شاهد المسعودي انتحار واحد من هؤلاء الفياسرة، فقال: «أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقّه، ثُمَّ أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم، فقطعها بالخنجر فدفعها إلى بعض إخوانه تهاوناً بالموت ولذةً بالنُّقْلة، ثُمَّ هوى بنفسه في النار» (*مروج الذهب*، ٢٤٨/١).

قال: وكانت لي مع صاحب سَرَبْزة نكتة[1] لم أقم أنا على حفظها، واتصل به خبر موافاتي إلى [٢١٨] فَنْصُور، فأنفذ مَن أشخصني مع المركب وجميع ما معي إلى سَرَبْزة، فلما وصلت إلى سَرَبْزة أهديت إليه شيئاً كثيراً مما كان معي وأهديت إلى وزرائه وصانعتهم، فزال بذلك ما كان في نفسه عليّ وأكرمني غاية الإكرام وكنت لا أفارقه وقت الغداء أو الشُّرب وفي الخلوات. وتسوّقت بما معي.

فاتفق بعد مضي خمسة أشهر أو ستة أشهر أن خرج صاحب سَرَبْزة لمحاربة أصحاب الزَّابَج[2]، ومن رسوم أولئك الملوك وملوك الهند إذا خرج الملك في حرب ملكٍ آخر قد قَصَدَه، حمل معه ما خفّ حمله من أمواله وآلاته وذخائره، وما ثقل عليه حمله أحرقه بالنار حتى يكون همّه التجريد في القتال وأن يجعل قصده المضيّ أمامه لا الرجوع إلى منزله، ولا يفكر في شيء يخلفه. ولعله ينهزم فيملك عدوّه داره فيتقوى عليه بما يجد من أمواله وذخائره وعُدَدِه.

فلما عزم صاحب سَرَبْزة على الخروج لمحاربة الزَّابَجيّ حمل معه ما أمكنه حمله ثُمَّ عزم على إحراق ما بقي في خزائنه.

فقال له وزيره، وكان شديد العناية بي والمحبة لي: أيها الملك! لا تحرقْ هذا وهَبْهُ لشاهان بن حمويه؛ فقال لي: خذ جميع ما في الخزائن فقد وهبته لك.

قال لي شاهان: فجعلت حمولة المركب كلها من أصناف الأمتعة، وإنه حمل في جملة ما حمل ثلاثة آلاف مناً كافوراً مما أخذه من خزائن صاحب سَرَبْزة، وإنه قدّر قيمة ما حمله مما أخذه من خزائن صاحب سَرَبْزة ما لا أستجيز ذكره لعِظَمِهِ.

---

(١) النكتة: المسألة الدقيقة. ويُفهم من السياق أنه حدث ما أدى إلى برود في العلاقة بينهما.

(٢) في الأصل: الزّنج، فصوّبناه في ضوء ما سيأتي، ذلك أن الزّابَج (جاوة) قريبة من سربزة فضلاً عن أن بلاد الزّنج (زنجبار) بعيدة جداً عن الموضع الذي تدور فيه حوادث القصة أعلاه.

ثُمَّ خَطَفَ من سَرَبْزة في سنة ثلاثين وثلاث مئة يريد عُمَان، فلما جاوزها ووصل هَرْكَنْد[1]، وقع عليه الخِبّ وذهب الشّرتا من يده في البحر[2]، فلم يزل في التيه ستة أشهر لا يعرف في أيّ موضع هو، ومرّ به من الأهوال والعجائب ما لا يعلمه إلاّ الله عز وجلّ وتلف بعض ما كان في المركب، فلما كان بعد ستة أشهر وقع إلى ساحل الهند وأصبح يوماً من الأيام وهو بحدّ خور تانه.

قال لي شاهان: فلما رأيت خور تانه أو علامات الخور، طرحتُ الأناجر ونزلت في الدونيج ومعي [٢١٩] جماعة من البانانية لنمضي[a] إلى تانه ونأخذ الماء، فإن الماء الذي كان معنا قد نفد ونحن تالفون من العطش والبلاء الذي قد مضى علينا. فلما حصلتُ بتانه سمعت أن أحمد بن مروان توفي بعُمَان، وبقيتُ بتانه بعض يومي وأخذنا الماء وعدنا إلى المركب فوجدناه قد غرق ولم يسلم منه شيء قيمته حبة فضة، ورجعت إلى تانه.

وهذا حديث لم اسمع في معناه بأظرف منه ولا حَدَّثَني أحدٌ من البحريين على كثرة من شاهدت منهم ومن شيوخهم الذين ركبوا البحار السنين الكثيرة أنهم تاهوا ستة أشهر، وحديث شاهان هذا كالمتعارف بينهم وأنه لما نزل إلى تانه في الدونيج أخذ معه قطع ياقوت.

قال: وحَدَّثَني بعض البحريين أنه حدَّثه ـ أعن ي شاهان بن حمويه ـ أنه لما سمع بتانه موتَ أحمد بن مروان عزم على أن يسرق جميع ما في المركب ويفوز به ولا يردّ على ورثة أحمد بن مروان منه شيئاً، فمضى وقد هلك المركب.

---

(١) في الأصل: فلما جاوز راهلي وجعل هَرْكَنْد، فصوّبناها فيما أثبتناه أعلاه. هَرْكَنْد: خليج البنغال.

(٢) الشرتا: الرياح الموسمية، التي قد تكون سريعة فتدفع المركب بعيداً عن وجهته، وتهب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية منذ نوفمبر حتى نهاية أبريل؛ أما الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فتأخذ في الهبوب مابين مايو وسبتمبر (*جغرافية البحار والمحيطات*، ٢٦٠ـ ٢٦١).

وقيل لي: إن قيمة ما كان فاز به عند نزوله عشرة آلاف دينار، ثُمَّ لم يبقَ معه من ذلك أيضاً حبّةٌ واحدةٌ، وذهب منه في البحر.

ولو لم يكن من الدليل على سوء عاقبة الخيانة الرديئة إلاّ خبر شاهان بن حمويه وما جرى في أمر هذا المركب خاصةً، لكان فيه عبرة.

151. قال: وحَدَّثَني إبراهيم بن محمد السِّيرافِيّ الأعرج قال: حَدَّثَني يعقوب بن حوان بواداان[1] أنه خطف من صيمور إلى سيراف ووافاها[a] في ثمانية عشر يوماً، وأقام بسيراف أحد عشر يوماً وعاد إلى صيمور في ثلاثة عشر يوماً.

152. وقال: رأيت بكَلَه قوماً يقال لهم الكمل يلعون شيئاً من الشجر على ما ذكروا، يُضربون بالسيوف فلا تعمل في أبدانهم، ويُرمَون بالنشّاب فتنبو عنهم فلا تضرُّهم، فسألت عن ذلك الشيوخ من أهل كَلَه ومن له تحصيل فذكروا أن هذا صحيح، فسألتهم من أين صحّ لكم هذا وممن[a] علمتم حقيقته؟ فذكروا أن لصوصاً من الزّابَج[b] جاؤوا إلى كَلَه في البحر في قوارب لهم ليدخلوا إلى كَلَه وينهبوها، وكان [٢٢٠] السبابطى بابه بن المبلى[2](؟)، فخرج إليهم بالقوارب والرجال وظفر بهم وقتل منهم جماعة، وقُدّم واحد من رؤسائهم فأمر أن يضرب رأسه، فما عمل فيه السيف، فأمر به أن يصلب على خشبة ويُرمى بالنشاب ففُعل به مثل ذلك فما عمل فيه شيء.

---

(١) في الأصل: بوداان. وهي قرية قال ياقوت إنها بين مكة والمدينة (*معجم البلدان*، ٤/ ٩١٠؛ *الأماكن* للحازمي، ٢/ ٨٦٤؛ *صورة الأرض* لابن حوقل، ٣٣) ونستبعد ذلك. وارتأينا أن يكون واداان وهو أحد الموانئ القريبة من جزر فَرَسان التي قال الهَمْداني إنها في البحر بين تهامة وبلد الحبش (*صفة جزيرة العرب*، ١٩٤). وقد ورد هذا الموضع لدى البحّار ابن ماجد بقوله: «فإن أطلقتَ من حَمِضة أو كُدُمُّل أو الإشارة أو واداان وكل مرسى بقرب ذلك المكان...» (*الفوائد*...، ٢٥٥).

(٢) الاسم في الأصل غير منقوط في الموضعين اللذين ذُكر فيهما هنا، وكتب مرة بابل بدلاً من بابه.

ورُمي بالحراب فما عملت فيه، فَوَجَدَ بابه بن المبلى من ذلك وجداً شديداً على أصحابه، فقال له واحد منهم: أنا أقتله. فقال له بابل: افعل.

فأخذ نشابةً وجعل على رأسها شيئاً من العذرة ورماه بها فنفذت[c] فيه، ثُمَّ إن أصحابه عملوا مثل ذلك وقتلوا الرجل، وقد كان معروفاً أنه يلقى الرجال ويقاتلهم فكلما أصابه من الحديد لم يعمل فيه[1].

153. وقال: ورأيت أنا بكَلَه في سنة سبع وستين وثلاث مئة إنساناً اسمه ركبن رئيس اللصوص، وكان له في البحر صولة ومهابة عظيمة، وكان يذكر عنه مثل ذلك، فرجع عن اللصوصية ودخل إلى متملّك سَرَبْزة في الأمان وصار من أصحابه وفي جملته، فوجّه به المتملك إلى كَلَه على شيء من أعماله، فرأيته أنا وسألت أهل كَلَه عنه فأجمعوا عليه أنه لا يصل إليه الحديد.

وهذا مشهور من هذا الصنّف من أهل تلك الديار لا ينكره أحد ممن يصل إليها، ويذكرون أنه شجر يبلعونه.

154. قال: ومما رأيت من عجائب كَلَه أنه إذا وصل مركب إلى جبل الذهب أو قريباً منه فلا بدّ أن يجيء مطر شديد مثل الزلازل، وإذا جاء الرعد والمطر من جبل الذهب فهو مركب يصل في وقته أو غير وقته، وإذا جاء الرعد

---

(١) نقل أبو حامد الغرناطي (*تحفة الألباب*، ١٢٩ – ١٣٠) عن الشيخ أبي العباس الحجازي الذي التقاه بمصر سنة ٥١٢ هـ، و وصفه بأنه أقام بالصين والهند أربعين سنة وكان الناس يحدثون عنه بالعجائب، قوله إنه كان قد سمع بوجود دهنٍ مَن دَهَنَ به نفسه لا يؤثر فيه الحديد، وإن ملك سرنديب أعطاه حجرين كل واحد كالبيضة الصغيرة الواحد أبيض منقّط بحمرة، والآخر منقّط بسواد، ليضعهما في زيت شيرج مغلي و يأخذ الدهن ويدهن به نفسه او يشرب منه قليلاً فلا يؤثر فيه الحديد، وإن أحد خَدَمِهِ شرب منه، فجربَ به أصحابُه السكاكينَ على ذراعيه وحَلقه (في الورقة٤٥ب من المخطوطة: وعنقه) فلم تؤثر فيه شيئاً (١).

من جبل يقال له بنوار[1]، وهو على يمين كَلَه الداخل إليها، فهو يؤذِن بلصوص، ويكون مع ذلك مطر شديد، لا يشك أهل البلد في شيء من هذا؛ فإذا رأوا المطر وسمعوا صوت الرعد من بنوار، طرحوا القوارب والعُدّة في البحر انتظاراً لحرب اللصوص، وإذا سمعوا الرعد ورأوا المطر من جبل الذهب ـ وهو يسرة الداخل إلى كَلَه ـ فيتباشرون بوصول مركب ويستعدون لذلك، وهو عندهم متقارب [٢٢١] وربما وصل مركب في الصيف من بعض الأخوار القريبة ويكون وقتٌ ليس فيه مطر، فلا بدّ أن يجيء المطر والرعد الشديد إلى أن يدخل المركب البلد وينقطع الرعد والمطر. وهذه عادتهم لا تُخلِف ولا تحيل.

وكنت أنا بكَلَه شتاء وصيفاً ورأيت الأمر على ذلك وجرّبته فلم يخطئ؛ وهذا مشهور لا ينكره أحدٌ ممن دخل تلك الديار.

وأقمت بكَلَه سنة ستين وسنة إحدى وستين وثلاث مئة وخرجت منها إلى پنچالان[2] فوصلت إلى گَرْن[3] وهي ساحل پنچالان، تنجل المراكب بها ويقيمون نحو شهرين، إلى أن يزيد الماء العذب من خور پنچالان في وقت الزيادة والانتظار، فيجري الماء من پنچالان في خليج إلى گَرْن ويصب إلى البحر ماءً

---

(١) يمكن أن يكون الموضع هو بَنواس الوارد لدى البيروني بقوله: «مملكة كَنْكَرَه، وبعد ذلك أبسور ثم بنواس» (*تحقيق ما للهند*، ١٦١).

(٢) حيثُما ورد اسم هذا الموضع فهو في الأصل غير منقوط، ورجّحنا أنه پنچالان وهي من المدن الواقعة على نهر الغانج في الهند، ويعزز ذلك كون گَرْن ساحلاً لها حيث ذُكرت الاثنتان ضمن المدن الواقعة على مجرى نهر الغانج (انظر: *تحقيق ما للهند*، ٢١٨).

(٣) في الأصل: كوب، ورجّحنا أنها گَرْن الواقعة على نهر الغانج والقريبة من پنچالان. قال البيروني إن گَرْن هو وصف لأهلها وتعني هذه الكلمة: الذين انقلبت شفاههم كآذانهم (*تحقيق ما للهند*، ٢١٨).

عذباً، ويحمل الناس حمولتهم في القوارب ويخرجون فيه من گرْن إلى پنچالان مسيرة سبعة أيام، فيه مواضع مثل البطائح والأهواز، نباتها القصب لا فرق بينها وبين البطائح، فإذا وصل الناس إلى پنچالان يقيمون ثلاثة أشهر، فينصرف ذلك الماء الذي جرى في الخليج ويجفّ حتى يكون فيه طريق يمشي فيه الناس، ويبقى القصب فيباع بأموالٍ وهو رطبٌ علفَ الأفيلة وسائر البهائم، وهذه صورته من السنة إلى السنة.

155. وكان الناس بسَرِبْزة في حالة عظيمة، يأخذ التمساح في كل يوم من الساحل جماعة، فضجّ أهل البلد وشكوا إلى السلطان فجمع علماءهم وقال لهم: هل من حيلة في هذا التمساح أو له دواء عندكم؟ فقال له واحد منهم: أنا أشدّه وأكفي الناس أمره. فقال السلطان: إن فعلت ذلك أحسنت مكافأتك. فمضى البنكوا[1] وغاب عن السلطان أياماً وعاد إليه وقد فرغ من الأمر ونصب الصورة التي عملها، وقال للسلطان: تأمر بضرب الطبل في البلد وتأمر الناس يغتسلون في الخور. فقال السلطان: إن الناس على خوف شديد، وإن فعلتُ هذا لست آمن أن يكون الأمر غير تام فيلحق الناس من حال أكون ملوماً عليه. فقال البنكوا: إن لحق أحد‹اً› من الناس سببٌ [٢٢٢] من التمساح فدمي لك حلال.

فأمر السلطان بضرب الطبل في البلد فضُرب، ودخل الناسُ مجرّبين فما رأوا إلاّ خيراً، ووقفت التماسيح على وجه الماء وما رأوا إلاّ خيراً، وكان عند الناس من هذا سرور عظيم.

---

(١) ربما كانت: البنكو، فالناسخ دأب على إضافة ألفٍ لبعض الكلمات المنتهية بالواو كما فعل بخانفو مثلاً، ربما ظناً منه أنها واو جماعة.

ومضى عليه مدة يسيرة فقال السلطان لبعض غلمانه: إذا دخل فلان البنكوا فخذه واضرب رأسه ولا تسلني عنه. فدخل البنكوا على الرسم إلى دار السلطان فاستدعاه الغلام وفعل به ما أمره السلطان.

فلما وقف على ذلك أصحاب السلطان ومن يخصه، قالوا له: أيها السلطان! بِمَ[a] استحق فلان البنكوا أن يقتل؟ قال: ما كان له ذنب، ولكني سُرِرْتُ بما عمله من أمر التمساح وتخوّفت أن يتغيّر قلبه بعد وقتٍ فيُفْسِد ما عَمِلَهُ، وأحببت أن يبقى الأمر على هذا لأجل ذلك ولمنفعة الناس بهذا الحال.

وبقي التمساح بسَرَنْبزة مشدوداً إلى هذه الغاية في الجانب الذي فيه الصورة مما يلي البحر يغير[b] ويأخذ الناس من القوارب ومن السواحل، والناس يخافون منه هناك ‹وهم في› أمر عظيم، فأما في البلد وإلى حدّ الصورة فليس له سلطان[c].

156. قال: وحَدَّثني أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى البصريّ، وكان رجلاً يسافر البحرَ منذ ثلاثين سنة على ما ذكر، وصدَّقَ حديثَه عليُّ بنُ سعيد السِّيرافِيّ المعروف بابن أبي سهل أو ابن سهل وغيرُه ممّن سمع حديث أبي العباس، أن قروداً من ذاك جانب خور سَرَنْبزة كبيرة، وذاك الموضع قد رأيته ليس فيه عمارة وفيه أشجار، فذكر أن أهل سَرَنْبزة ربما عبروا إلى هناك للنزهة والتفرّج فيحملون الطعام لهم ولتلك القرود؛ وأكثر مضيِّهم إلى هناك لينظروا إليها.

قال: فإذا جلس الناس يأكلون، يكون القرود متفرقين على الأشجار ينظرون إليهم، فإذا انقضى أكلهم، أخذوا طعاماً مثل الخبز واللحم والموز والحلاوة وذهبوا به ناحية عنهم وطرحوا تحته حشيشاً أو خوصاً من خوص النارجيل وفرشوا عليه الطعام ورجعوا إلى مواضعهم.

قال: وتنزل[a] [٢٢٣] القرودُ كلُّها من فوق الشجر يقدمها واحد كبير له لحية مثل لحية خراساني، عظيم الخلقة وخلفه قردة دون خلقه، فإذا قرب من الطعام يقدم القرد الكبير وحده فيأكل من ذلك الطعام والباقون وقوف ينظرون إليه، فإذا فرغ أكله تباعد ناحية عن الطعام وتجيء الأنثى وحدها فتأكل وتمضي نحوه، ويجيء الباقون كلهم كافةً لا يتخلف منهم أحد فيأكلون بقية الطعام، فإذا فرغوا مما بقي انصرف القرد الكبير والأنثى وراءه وتبعه الباقون كوكبةً واحدة. وبسَرِبْزة من يصلح لهم الطعام وينذر لهم النذور ويشتري لهم المأكول ويمضي به إليهم قاصداً[١]. وهذا مشهور معروف عند كل من وصل إلى هناك وسأل عنه.

157. ورأيت الهند يحكمون بصياح الوَزَغ في قدوم الغائب وورود الخبر السار و ما يحدث من همّ وغمّ[٢].

قال: وحَدَّثَني أحمد بن محمد الكِناني أنه كان بمندريتين[٣][a] عند عليّ بن محمد اللؤلؤيّ وهو يومئذ رئيس الفُرس وزعيمهم، وأنه كان يأكل معه فصاح وَزَغٌ من السقف، فقال علي بن محمد اللؤلؤي: يقدم غائب. وليس هو وقت مجيء المراكب[b].

---

(١) أشرنا بهامش الخبر 44 إلى بعض المصادر عن وجود تنظيمات وزعماء للقرود.

(٢) مرّ في الخبر 112 كلام على تنبؤ الهنود عند سماعهم صوت الوزغ. لكن سند الخبر هناك هو: حدّثني أبو يوسف بن مسلم قال: حدّثني أبو بكر الفسوي بصيمور قال: حدّثني موسى الصندابوري قال...

(٣) مندريتين: كتبها البيروني: مندري تين، وقال إنها فرضة (ميناء) سرنديب (سري لانكا) (*الجماهر*، ١١٨، ١٥١؛ *الصيدنة*، ٦٣٥: مندري بين؛ *القانون المسعودي*، ٥٥٠/٢، وفيه: مندري بين، الفرضة والمعبر إلى سرنديب في الغب). وورد في *مروج الذهب* (٢٠٨/١): «مَنْدُرَىفَتّن، بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب، وكل ملك يملك بلاد مندوري فتن يسمى الفانْدي» (ط يوسف داغر: القايدي).

قال أحمد بن محمد الكناني: ففرغنا من الأكل وخرجت من عنده إلى منزلي ولقيني أحمد بن محمد الملوي المقيم بديبجات الدم[1] فقلت له: من أين؟ فقال: خرجت من الديبجات أو بديلي[2] فوقعت ها هنا، والساعةَ صعدتُ من المركب. قال: فأعدت عليه ما كان مِن علي بن محمد اللؤلؤي عند صياح الوزغ، فقال الملوي: أنا إليه قاصد.

158. ويفَنْصُور موضع يُعرف بالبلاجة فيه قوم من الباتك[3] يعرفون بالسار، أموالهم وذخائرهم وعُدَدهم، رؤوس الناس المقطوعة يتكاثرون فيه كما يتكاثر الناسُ بالأموال، مَن ملكَ منها أكثر كان أنبل وأشدَّ بأساً وأعظم هيبة، ولا يُزوَّج الرجلُ منهم حتى يملك عشرين رأساً.

ويلغني عن أبي الخير المتطبِّب المعروف بابن [٢٢٤] القَطَّان أن رجلاً من السار طلب واحدة يتزوج بها فقيل له: هل أتممتَ عشرين رأساً؟ فقال: معي تسعة عشر رأساً. فقالوا له: تَمِّمْ عشرين رأساً فإنّا نزوِّجك.

فأخذ سلاحه وخرج إلى الجبل يطلب واحداً يأخذ رأسه تمام العشرين، فلم يلقَ إلاّ أباه فأخذ رأسَه وتمَّمَ العشرين رأساً وأخذ المرأة.

159. قال: وحَدَّثني جماعة ممن وصل إلى الصِّنْف أنهم رأوا بها الأفيلة الأوساط في الأسواق تشتري الحوائج مثل الباذنجان والبصل والأبزار والرُّطَب والحشائش التي يطبخون[a].

---

(١) الديبجات: الجزائر، جمع ديبا وهي الجزيرة. ذكرنا بهامش الخبر 119 إنه إذا قيل الديبجات مطلقاً، فالمقصود هو جزر اللكاديف والمالديف الواقعة في المحيط الهندي. أما ديبجات الدم، أو الرم لدى البيروني فموضعها كما يقول: «ديوه رم وقصبتها مكان بين سرنديب وبين كولم» (*الصيدنة*، ٦١٥).

(٢) الكلمة في الأصل من غير نقط، ويحتمل أن تكون: بديلي، ولانعلم عنها شيئاً.

(٣) يحتمل أن يكون هؤلاء شعبَ الباتا الذين هم من أكلة اللحوم البشرية وقد عرفْنا بهم فيما مضى.

فسألت عن حقيقة ذلك، فذكروا أن لكل بيت من البيوت فيلاً[b] يخدمه، يُستقى عليه الماء ويُحمل عليه الحطب؛ وإذا أراد أصحابُهُ البقولَ من السوق أخذوا مكتلاً[1] وجعلوا فيه فلوساً[c] بمقدار ما يحتاجون إليه من البقول، وجعلوا المكتل في خرطومه فيمضي إلى صاحب البقل فيدع المكتل بين يديهِ فيأخذه صاحب البقل، ويجعل له من كل شيء بمقدار ما في المكتل من الفلوس ويترك المكتل بين يدي الفيل، فإن رضيه أخذه بخرطومه ومضى، وإن لم يرض أخذه بخرطومه وردّه بين يديه، فربما وقع فيها مماكَسٌ على مقدار ما يوصونه أهلُهُ.

160. والرسم ببلدان الهند إذا كان لبعضهم على بعض دَيْن[a]، فإن أراد ملازمته أن يجيئه فيقول له: أنت بيد الملك أو بِرِجْلِ الملك. فلا يعمل ذاك شيئاً البتة[2]؛ ويجلس كل واحد مع صاحبه إما في دكانه أو منزله أو البُدّ[3] أو

---

(١) المكتل: زنبيل من الخوص.

(٢) يقول أبو المؤيد البلخي إن هذا التقليد يُمارس في سرنديب (سري لانكا)، وإن الملك يأخذ من المدين ثلاث مرات بقدر ما هو مدين به، فيُعطي سهماً واحداً للدائن ويأخذ السهمين الآخرين له (*عجائب الدنيا*، ٣٦٤ – ٣٦٥). ويتحدث ماركو بولو في *رحلته* (٤٩/٣) عن تقليد شبيه بهذا في بلاد المعبر (مدينة على ساحل بحر الهند في القسم الجنوبي للسواحل الشرقية للهند وتدعى الآن كورماندل Cormandel)، فيقول: «إذا كرر دائنٌ مطالبةَ مدينهِ بالسداد، فسوف المدين من وقت لآخر بالوعود الكاذبة، أمكن للدائن ربط المدين برسم دائرة حوله، فلا يستطيع منها خروجاً حتّى يرضي دائنه، إما بالدفع أو بتقديم ضمانات كافية. فإن هو حاول الفرار من الدائرة، جعل نفسه عرضة لعقوبة الموت بوصفه خارقاً لقواعد العدالة». وينقل مارسدن في تعليقه على *الرحلة* عمن سماه هاملتون قوله: «ولديهم طريقة حسنة لاعتقال الناس من أجل الديون، وأعني بذلك أن يرسل القاضي إنساناً من العدول يحمل عصا صغيرة ويكون عادة أحد البراهمة، فإذا وجد ذلك الشخص المدينَ، رسم حوله بتلك العصا دائرة وكلّفه باسم الملك والقاضي بعدم الحراك منها حتّى يرضي الدائنَ بالدفع أو الضمان. ولا يلقى المدين عقوبة أقل من الموت إن هو خرق محبسه بالخروج من الدائرة» (١٩٠/٣).

(٣) البُد: المعبد الذي يكون فيه صنم أو أصنام.

المسجد، إن كان الذي عليه الحقُّ من المسلمين أو الحقُّ لمسلم على مشرك، لأن المشركين يدخلون المساجد ببلاد الهند؛ فلا يأكل الملازَم شيئاً مما أذكره، ولا يأكل اللازم أيضاً.

وربما كان للتاجر على الملك شيء[b] فيماطله به فيجيئه فيقول: أنت أيها الملك بيد نفسك أو برأس نفسك أو برجل نفسك أو برجل أبيك أو برجل أمك أو رأس إمك، إن كانا يعيشان [٢٢٥]، فلا يعمل شيئاً البتة ولا يأكل إلى أن يوفيه حقه أو يبرئه. والذي يمتنعون من أكله ـ وعندهم أنه هو الطعام ـ الأرز فقط، فأما غير ذلك فلا.

161. قال: وللهند رسوم وسنن قد جرت عادتهم بها، منها ما يتديّنون به ومنها ما قد اصطلحوا عليه ومنها ما تنفرد[a] به فرقة، و منها ما يستحسنه بعضهم دون بعض، وشرح ذلك لا سبيل إليه لطوله. فمن سننهم أنهم يحرقون أنفسهم بالنار، وهذا شائع في سائر الهند مستعمل.

وإذا أراد الواحد منهم أن يحرق نفسه، إما أن يكون قد تفتّى أو قد خاطر أو قد غضب أو قد أمره الملك بهذا ولمعنىً غير هذه المعاني، طاف البلد قبل ذلك بثلاثة أيام وبين يديه طبل يُضرب به ومعه مِطْرَدٌ[1] وحوله مِن أهله ومَن يتعصب له جماعة، فيجمع في تلك الأيام الحطب والدهن ليوقده إذا عزم على أن يحرق نفسه. فإذا كان في اليوم الثالث، جمع ذلك الحطب وأجّج النار وصبّ عليها الدهن ثُمَّ جلس في كفّة حديد مثل كفّة القبّان وزجّ نفسه في النار، وأهله حول النار بالحراب، فإن أراد أن يخرج من النار ردّوه إليها بالحراب حتى يتقطع.

---

(١) المطرد: القصير من الرماح.

وكل من حوله من أهله وإخوانه وغيرهم، يقول له: تقرأ على فلان السلام، وفلان يقول له كذا وكذا، يذكرون له قوماً قد ماتوا وأحرقوا أنفسهم.

وهم قوم يعتقدون التناسخ، وعندهم أن الإنسان يرجع بعد أربعين يوماً إلاّ أن روحه تعود في هيكل غير هيكله، فإما أن تعود روحه في كلب أو حمار أو بقرة أو فيل أو غير ذلك من الحيوان[1].

وهم أحسن الناس طاعة لملوكهم، وربما قال له الملك: اِمضِ فوجِّهْ إليّ برأسك، فيخرج من بين يديه ويمضي فيجذب غصناً من شجرة أو رأس قناة ويشدّ ذؤابته وطُرَّته بها ويقطع رأسه ‹بسكّين› يجري مثل الماء من شدّة حدّته وهو سكين بمقبضين فيتعلق رأسه في [٢٢٦] الشجر ويسقط جسمه[2].

---

(١) يحدث إحراق النفس بسبب هيمنة الأعراف واحتقار المجتمع لمن يخاطر بتجاهلها، إذ ينقل العلاّمة غوستاف لوبون عن الكاتب الهندوسي المعاصر ملباري ناشر صحيفة *Indian Spectator* قوله: «موت الزوج الهندوسي قاصم لظهر زوجته، فلا قيام لها بعده. فالمرأة الهندوسية إذا آمت (فقدت زوجها)، ظلّت حاداً ما دامت حيةً، وعادت لا تُعامل كإنسان، وعُدّ نظرُها مصدراً لكل شؤم، وعُدّت مدنِّسةً لكل ما تمسُّه. فهي إذ تغدو بوفاة بعلها محتقرة منبوذة، تبدو الحياة لها عبئاً ثقيلاً، فلا يبقى أمامها سوى سبيل الفسق أو العيش بائسة منزوية» (*حضارات الهند*، ٦٤٦).

ذكرت وكالة الصحافة الفرنسية أن السلطات المحلية في ماديا براديش (وسط الهند) فرضت عقوبات اقتصادية وإدارية على قرية تاولي لمدة عامين بعد أن حضر حشدٌ في هذه القرية مطلع آب إحراقَ امرأة مع جثمان زوجها، ولم يُعرف ما إذا كانت كوتو باي (٦٥ عاماً) أُحرقت طوعاً أم قسراً؛ وقد اعتقلت الشرطة المحلية ١٧ شخصاً على علاقة بهذه المسألة كان من بينهم ابنان للضحية (نشر الخبر في صحيفة *Indian Express* الهندية، وفي صحيفة *البيان* الإماراتية، ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢، وفي *الوطن* الكويتية، ٢٣/ ٨/ ٢٠٠٢ التي ذكرت أن الضحية أُرغمت على ذلك).

(٢) قُدِّر لابن بطوطة أن يشاهد هذا العمل الذي تشمئزّ منه النفوس حين رأى في بلاط قاقلة غلاماً أمسك بكلتا يديه سكيناً وذبح نفسه، فانفصل رأسه عن جسده لحدّة السكين. ثمّ إن السلطان قال لابن بطوطة: هؤلاء عبيدنا يقتلون أنفسهم في محبتنا!!! (*الرحلة*، ٢/٧١٢).

ولكل ملك من ملوك الهند جماعة يختصهم بحسب حاله، وإن مات أو قتل أو حدث به حادث قتلوا أنفسهم، وإن اعتلّ اعتلوا، ومهما لحقه فعلوا بأنفسهم مثله[1].

162. قال: وقال لي من رأى رجلاً من الهند بصندابور وهو يطوف وبين يديه طبول ومطارد ومعه خَلْق منهم، وقد قَوَّرَ قحفَ رأسِ نفسِهِ وقَلَبَهُ وجعل في مكانه مثل المسرجة وجعل فيه فتيلةً تَقِدُ ودهناً، قد ضبّب رأسه بما يدور بصفيحة حديد وسمّر فيه مسمارين، وهو يمشي ويغني ويمضغ التانبول.

فلما كان في اليوم الثاني، ضعف وخار ولم يمكنه الصبر إلى اليوم الثالث، فأحرق نفسه في اليوم الثاني.

163. ومن غريب ما يحكى أن شجر الكافور لا يُقطع لاستخراج ما فيه إلاّ بعد أن يبيت من يريد قطع الشجرة تحتها ليلة أو ليلتين أو ما اتفق له، ليرى في نومه شيئاً تخاطبه به الشجرة، وذلك أن الواحد منهم يرى في نومه كأن الشجر‹ة› تخاطبه أو يخاطبه مخاطِب عنها: لا تقطعني إلاّ بعد أن تذبح عندي كذا وتلطخني بدمه أو نحو هذا القول، والعادة جارية بذلك على طول الدهر، وأنهم لا يجوز لهم قطع شجرة إلاّ بعد أن يرى تحتها من ينام عندها هذا؛ فإما أن يلتمس من يذبح[a] عندها جاموساً أو شاة أو كلباً أو خنزيراً أو ضرباً من الحيوان، فحينئذ يذبحه من يريد قطع الشجرة عندها ويلطخها بدمه ثُمَّ يقطعها.

وأنهم يعتقدون أن من قطع شجرة من غير أن يفعل هذا لحقته عقوبة ولم ينتفع بما يستخرجه منها.

---

(١) هؤلاء هم البلانجرية أو البلاوجرية الذين عرّف بهم المؤلف في القصة 71.

164. قال: وروى أنه قال: كنت يوماً بـ (پنچالان) عند زيد بن محمد وهو يومئذ الوالي على المسلمين والناظر في أحكامهم وعَدْواهم، وقد خرج من عنده إنسان اسمه جوامرد، فخرج عليه قوم في الليل فقاتلهم فقُتل وأُخذ ورحلُه، فجاء الخبر إلى زيد، وكنت حاضراً عنده، فقال [٢٢٧] جماعةٌ حضروا من الفرس: الساعةَ يطمع الهندُ في الفرس، ويقطعون عليهم الطريق وتنفسد أحوالهم، وهو يسمع الكلام.

فقال لي زيد: اسمعْ ما يقولون، وإذا تفرقوا نسوا ما تكلموا به.

فقلت له: قد سمعتُ.

فلما كان بعد ذلك بنحو عشرين يوماً بكرتُ يوماً إلى سلامِهِ، وإذا بقوم مكتَّفين فلم أدرِ ما هم، فصبّحته وجلست عنده وجاء الناس للسلام عليه على الرسم.

فلما اجتمعوا قال زيد: يا أصحابنا! قد علمتم ما جرى على جوامرد وهو رجل فارسي، وقد أخذتُ خصماءه، فليقم كل واحد منكم فليقتل واحداً منهم كما قتلوا صاحبكم. وقد وجدنا بعض رحله وحسابه، فليتسلم ذلك واحد منكم يبلغ به إلى أهله ويخلصني منه. ونظر إليَّ مذكّراً لي ما كانوا تكلموا به في الأول، فسكت الجماعة وما ردّ عليه أحد جواباً.

فقال: يا أصحابنا! ليس هذا بمستوٍ، توقعونني[a] وتتبرأون، تجتمعون وتتكلمون بما تشتهون فإذا حقّت الحقائق أخذ كل واحد منكم في طريق، ما تنصفونني[b]، الله المستعان.

ووجّه إلى دار السلطان فطلب الذي بيده القتل، فقتل السُّرَّاقَ وصلبهم على ساحل البلد.

واتفق أن السلطان كان مجتازاً في الماء في عسكر كبير، فرأى رؤوساً على خشب وقوماً مصلّبين على الساحل، فقال السلطان: ما هذا؟ قالوا: لصوصٌ قطعوا على أصحاب زيد، فوجَّهَ خلفهم، فوقعوا بيده فقتلهم.

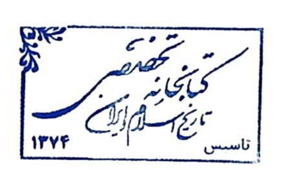
فقال السلطان: بارك الله فيه. ما علمتُ أنَّ في الفُرس من يجيء منه هذا، مَن يلومني على محبة زيد وهو يؤمِّن الفُرسَ في بلدي ويحملُ عنّي مثلَ هذا؟ وصار له عند السلطان بذلك يدٌ.

﴿ خاتمة بقلم ابن فضل الله العُمَريّ ﴾

فهذه جملة كافية فيما يحكى عن العجائب، ولو لم أجدْها من تصنيفٍ جليلٍ لجليلٍ لما نقلتها، لكثرة ما يقال في مثل هذا مما يكاد يثنّ سقماً ويتساقط وضعاً؛ على أن البحر لا حرج على من حدّث عن عجائبه وأخبر عن غرائبه[1]؛ وتلك الأقطار الشرقية كثير‹اً› ما يُحدَّث عنها، وإنما الاقتصاد أجمل والاقتصار أحرى بالتصديق، وإبراء لناقلِهِ من جاهل حاسد أو عالم معاند.

---

(١) هو مَثَلٌ (انظر مثلاً: *نزهة القلوب*، ٢٩٦؛ *نهاية الأرب*، ١/ ٢٥٤)، يقولون ذلك لكثرة ما يرد في القصص البحري وأخباره من مبالغات تصل حدَّ الكذب أحياناً، فعند حديثه عن منارة الإسكندرية يقول ياقوت: «والأحاديث عن مصر وعن الإسكندرية ومنارتها من باب: حَدِّثْ عن البحر ولا حَرَج، وأكثرها باطل وتهويل لا يقبلها إلاّ جاهل» (*معجم البلدان*، ١/ ٢٦٢) وقد تصوَّرَه البعضُ حديثاً شريفاً (انظر مثلاً: *سلوة الغريب*، ١٢٩)، لكن أهل العلم ذكروا أنه مَثَلٌ، كما نصَّ على ذلك العجلوني الجراحي في *كشف الخفاء* (١/ ٤٢١؛ انظر أيضاً: *البداية والنهاية*، ١٢/ ٢١).


کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران
تاسیس ۱۳۷۴

اختلاف النسخ وتصحيح القراءات

1. a) ع، ف: رايق. b) ع، ف: قول الله عز وجل. c) س: عليه. d) ع، ف: ذهب. e) س: يعرف. f) ع، ف: ندية. g) ع: لهمه، ف: لهمه.

2. a) ع، ف: وحدثني أن لأهل ... b) ع، ف: ويصعد خطيبهم. c) ع، ف: فخطب.

3. a) س: جملة، وأخذنا بما في ع. b) «يقال له أبرير»، غير موجودة في ع. c) ع: الغيبة، ف: العُبَّيَة. d) ع: برد، ف: بريد. e) ع: وصفه، ف: وصفر. f) ع، ف: صورة. g) ع، ف: زبرجد. h) ع، ف: فمن أحب التقريب إلى ربه. i) ع، ف: فينقطع منها. j) ع: تجري، ف: يجري. k) ع، ف: فيُطحن فوق الحجر إلى نار الله.

6. a) ع: زرايخت، ف: زرابخت. b) ع، ف: جبلين. c) ع، ف: ظفري.

7. a) ع، ف: وكان من بقية نواخذة بلاد ... b) ع، ف: أشكنين. c) ع: قال قرب من البر، ف: كان قرب. d) ع، ف: فإنه. e) زيادة من ع. f) ع، ف: ومضى. g) ع، ف: وتعرف. h) ع، ف: فإنهم. i) ع، ف: الحجارة. j) ع، ف: وأن.

8. a) ع، ف: حدثه. b) ع: فوقفوا، ف: فوقعوا. c) ع: تهيئوا للنزول، ف: تهيبوا النزول. d) ع: عرف، ف: هرب. e) ع: الواقواقين، ف: الواقواقيين. f) ع: قدراو، ف: قدروا. g) ع: وانقدف، ف: وأنقذوه. h) ع: الثمر، ف: التمر. i) ع: القرية، ف: قرية. j) ع: وصيحنا، ف: وصبحنا. k) ع: بابانية، ف: بانانية. l) ع: حجرته، ف: حجزته.

m) ع: لا تحاربون، ف: لا تحاربوا. n) ع، ف: يغلبونا ويقتلونا. o) ع: نختل، ف: نختال. p) ع: تشتري، ف: نشتري. q) ع: الثمر، ف: التمر. r) ع: نلتف، ف: نلتفت. s) ع: ولنا حيلة، ف: ولا لنا حيلة.

9. a) زيادة من ع اقتبسناها من القصة رقم 10.

10. a) ع: كسر به، ف: كسر له. b) ع، ف: ويبقى. c) ع: عظماً، ف: عظيماً. d) ع: جزيرة، ف: الجزيرة. e) ع: برحاله، ف: برجليه. f) ع: بنفوسهم، ف: نفوسهم. g) ع: وإنه، ف: وإن. h) ع: وهو، ف: فهو. i) ع، ف: جاءت. j) ع، ف: أخذ. k) ع: الهوى، ف: الهواء. l) ع: كبير، ف: كسر.

11. a) ع: وجرر، ف: وجزر. b) ع، ف: ببضعة عشر آلاف.

12. a) ع: الواك، ف: الوال.

13. a) ع: حدقتها، ف: حدقتيها. b) ع: من كان، ف: كان.

14. a) ع: وجدوا، ف: ووجدوا.

15. a) ع: منها، ف: فيها. b) ع: تنصفه، ف: تنظفه. c) ع: خاتم، ف: خاتماً.

16. a) ع: ملازمته، ف: ملازمة. b) ع: جادته، ف: حاذته. c) ع: يحاربه، ف: يجاريه. d) ع، ف: يفر. e) ع: واستحياشاً، ف: واستيحاشاً. f) ع: المعهود، ف: المعهودة.

17. a) ع: ويستودعون، ف: ويستودعونه. b) ع: بمخاطبته، ف: بمخاطبة. c) ع: ينكس، ف: تنكّس. d) ع: يستطيع، ف: تستطيع. e) بحار البحر ودحبه ويداه ورحره، وصوبت في ف كما هي في النص الآن. f) ع، ف: النجوة. g) ع: منار، ف: قار. h) ع: قبضته الهللة، ف: قبضة الهلكة. i) ع، ف:

حكـــم. *j*) ع: الزاجــرة، ف: الزاخــرة. *k*) ع: ســيعا، ف: شــيعاً.
l) ع: رياتهم، ف: ريانهم. *m*) ع: ريات، ف: ريان. *n*) ع: اقبلت، ف: قلبـت. *o*) ع، ف: هـذا. *p*) فيعـيش، ف: فنعـيش. *q*) ع، ف: نـدم.
r) ع: سحبوه، ف: سجو. *s*) ع: زوابة، ف: زاوية. *t*) ع، ف: مختفي.
u) ع: ويـبخ، ف: ويـوبخ. *v*) ع: أوصـلون إلى ريـان، ف: أوصـلوني إلى الريّان. *w*) ع: الإسرى، ف: الإسـراء. *x*) ع، ف: منـادي. *y*) ع، ف: يكسر. *z*) ع: وتناقض، ف: وتناقص. *aa*) ع: وأشرقوا، ف: وأشرفوا.
bb) ع: وتحـيروا مرســا، ف: وتخـيروا مرســا. *cc*) ع: وكفلـوهم، ف: وكلفوهم. *dd*) ع: يتماوتن، ف: يتماوتون. *ee*) ع: يقوتـه، ف: تقوتـه.
ff) ع، ف: ورفع. *gg*) ع، ف: فيبقوا فيها ويتماوتوا.

18. *a*) س: أنشرتوا. ورجّحنا حذف الألف لأن الناسخ دأب على إضافة الألف للكلمات المنتهية بواو، فقد كتب اسم مدينة خانفو بشكل: خانفو بالألف *b*) ع: خالـه، ف: خـالي. *c*) ع، ف: طالبين. *d*) ع: قيصور، ف: فَنْصُور.
e) ع: متحلـــيين، ف: متخلـــيين. *f*) ع: التيـــا، ف: التيـــار.
g) ع: يسـيحون، ف: يسـبحون. *h*) ع، ف: أعنـدكم طعامـاً تبيعونـا؟
i) ع، ف: يغنــوا ويلعبــوا ويتهارشــوا ويتــداعبوا. *j*) ع، ف: جنــاحين.
k) ع: معطمه، ف: معظمه. *l*) ع: وزاد، ف: وزاداً. *m*) ع: صون، ف: صوب. *n*) ع، ف: تعودوا لنا من قبـل. *o*) ع، ف: تبكـوا. *p*) ع، ف: يرقصوا ويغنوا ويتضاحكو. *q*) ع: بليج كنير، ف: بلنج كبير. *r*) ع، ف: سمعــوا. *s*) ع، ف: صــابرون. *t*) ع، ف: ثمانيــة. *u*) ع، ف: ســر.
v) ع، ف: فــانَ. *w*) ع، ف: عمــلاً. *x*) ع: أبــرار، ف: إبــراراً.
y) ع، ف: وتخلي.

19. *a*) ع، ف: تحارب. *b*) ع: الحراطم، ف: الخراطيم. *c*) ع: استعملونها، ف: يستعملونها.

20. a) ع: المقرى، ف: المفتري.

21. a) ع: وغاب، ف: وعاب. b) ع، ف: أياماً. c) ع: هايكه، ف: هائلة. d) ع: الفساد، ف: السفاد. e) ع، ف: طائفين.

22. a) ع، ف: فعفت. b) ع: من آدم، ف: ابن آدم. c) ع: صراً، ف: ضراً.

23. a) ع: لا يسلك، ف: لا تسلك. b) س، ع: فيتوالدوا. c) ع، ف: البري.

24. a) ع، ف: سمك. b) ف: الظلوم.

25. a) ع: سمكه مغير، ف: سمكاً صغيراً.

26. a) ع، ف: وتكسرت.

27. a) ع، ف: مرّت. b) ع: وخرج، ف: خرج. c) ع: ولم يجد، ف: ولما يجد. d) ع: فيسخن، ف: فيسجن. e) ع، ف: فترفع. f) جفت، ف: خفت. g) ع، ف: أرضها. h) ع: ويحامل، ف: وتحامل.

28. a) ع، ف: وعشرين. b) ع: وكذلك، ف: ولذلك. c) ع، ف: جاءت. d) ع: اللحم، ف: البخم.

29. a) ع، ف: علاّمة. b) ع، ف: جرا. c) ع: زهو، ف: رهو. d) ع، ف: سالمين. e) ع: منا، ف: منها. e) ع: وطف، ف: وطفا. g) ع: بمواقفهم، ف: بموافقتهم.

30. a) ع: الضيف، ف: الصِّنْف. b) ع: الخيل، ف: الحيل. c) ع، ف: فانتقلوا.

31. a) س: اجتازت لهم.

32. a) ع، ف: حيات تقتل لوقتها. b) ع، ف: شبر ودون ذلك. c) ع، ف:

«وإن نفخت أعمت وقتلت» بدلاً من: «وإن نفخت كان الإنسان منها على خطر شديد».

33. *a*) ع، ف: وحدثني بعض المنصوريين. *b*) ع، ف: ماركين. *c*) ع، ف: إلاومثون فرسخ. *d*) ع، ف: لهلوا ملك الهند.

35. *a*) ع، ف: «وحدثني إسماعيلويه وجماعة من البحرين...». *b*) ع: قبيلة، ف: قنبلة. *c*) ع، ف: «فعصفت الريح وطرحت المركب إلى سُفَالة الزّنج»، بدلاً من: «فحملت المركب ...». *d*) ع، ف: «فتغسلنا وتبنا إلى الله تعالى وصلينا على بعضنا بعضاً صلاة الموت، وأحاطت بنا الدوانيج ...». *e*) ع: فإذا حلوا المرساة، ف: فأدخلوا بنا المرساة. *f*) ع، ف: قصدتم قنبلة غيرنا. *g*) ع، ف: في. *h*) ع، ف: فقال: حطّوا الأمتعة وتسوقوا فلا بأس عليكم، قال: فحللنا الأمتعة ... *i*) س: «سوق» بدلاً من «تسويق». *j*) ع، ف: وفرغنا أمورنا. *k*) ع، ف: عزمنا على رواح. *l*) ع: فصحبت، ف: فصحت. *m*) ع، ف: كلمة «خمس» مطموسة. *n*) من هنا وإلى حيث تغلق هذه العضادة أي إلى نهاية القصة، أخذنا برواية عجائب الهند، ذلك أن العُمَريّ قد اختصر كثيراً في النص. ونص العُمَريّ هو: «وكنت أخدم الناس في الطريق، فكنت آكل معهم، ووهبوا لي وكسوني، فلما دخلت مصر – ومن صفتها كذا – رأيت النيل فقلت: هذا الماء من [١٨٤] أين يجيء؟ فقالوا: أصله بلاد الزّنج، فقلت: من أي ناحية؟ فقالوا: من ناحية كذا وكذا. فلزمت ساحل النيل أخرج من بلد وأدخل آخر وأطلب طول طريقي ما أؤمله، فوقعت في مدينة كذا فاستعبدوني، وهربت ووقعت في مدينة كذا فباعوني، وهربت. ولم أزل أمشي من مصر حتى وردت البلد الفلاني من مواخر الزّنج، فسألت عن بلدي هذا فقيل إن أهله ما أجلسوا ملكاً. فاحتلتُ إلى أن ركبت في مركب إلى موضع كذا ثم ركبت إلى موضع كذا، ثم مشيت إلى بلدي ووافيته قبل مجيئكم بشهر وليس في البلد ملك، فعدتُ إلى ملكي وأنا اليوم فرح مسرور لأن الله منّ عليّ بالإسلام ومعرفة الدين والصلاة والحج وبلغت ما لم يبلغه

أحد في بلاد الزّنج غيري، وما لي حسرة إلاّ شيء واحد، قال: فقلت: ما هو؟ قال: مولاي الذي هربت منه ببغداد، اشتراني بنيف وثلاثين ديناراً وكنتُ أشتهي أن أرى ثقة فأدفع إليه ثمني ليردّه عليه ويستحله لي ويحدثه بحديثي ولا يدعو عليّ، ولو كان فيكم خيرٌ (في الأصل: خيراً) وفيكم ثقة لدفعت إليه ثمني ليرده على مولاي ووهبت له عشرة أضعافه بدلاً من أجرته على ذلك، ولكن ليس فيكم ثقة على حبّةٍ واحدة. قال: فودعناه، فقال: امضوا وإن رجعتم فهذه المعاملة أعاملكم وأزيدكم في الإحسان إليكم، وأما تشييعكم إلى مركبكم فليس إليه سبيل. وافترقنا».

o) ع، ف: مصراً. *p*) ع: بصرة، ف: مصر. *q*) ع، ف: أخرى. *r*) ع: يكفلوني، ف: يكلفوني. *s*) ع: أحد، ف: أحداً. *t*) ع، ف: مقيمين. *u*) ع، ف: تردوه. *v*) ع، ف: وحيل. *w*) ع، ف: مسلمون.

36. *a*) ع، ف: وقيل إن ببلاد الزّنج القافة الكهنة، قافة حذّاق فهماء. وحدثني إسماعيلويه عن بعض النواخذة ... *b*) ع، ف: سنة اثنان وثلاثون وثلاث مئة. *c*) ع، ف: كم أنتم مركباً؟ *d*) ع، ف: وتمضي عليهم شدة ... *e*) «إلى عُمَان»، ساقطة من ع. *f*) ع، ف: فأغذذت السير لألحق من خرج منهم أولاً. *g*) ع، ف: فلرغبتي في سرعة السير لم أنقص الشراع لأعدل عنها ... *h*) ع، ف: فضربتني وإذا هي دابة من دواب البحر، فلما لمست المركب ضربته بذنبها فانكسر؛ فسلمتُ أنا وابني والكارين في الدونيج ووقعنا في بعض ... *i*) س: به، والتصويب من ع. *j*) س: أمكنّا، والتصويب من ع. *k*) س: الخمس عشرة، والتصويب من ع.

37. *a*) ع: من، ف: عن. *b*) ع: عن، ف: من. *c*) ع: والصيف، ف: والصّنف.

38. *a*) ع، ف: بعض نواخذة الزّنج أنه رأى عند ملك سرة. *b*) تسع، ف: يسع. *c*) س، ع، ف: خمسة.

39. *a*) س: ثخن.

40. *a*) ع، ف: وحدثني غير واحد من الربّانيّة أنه سمع ... *b*) ع، ف: ليموت وينكسر، ثم ينزل عليه فيأكله.

41. *a*) ع، ف: وترفعها إلى الجو وترمي بها. *b*) ع، ف: الخمسة أو الستة.

42. *a*) ع، ف: وحدثني إسماعيلويه الناخذاه أن بأعلى بلاد الزّنج. *b*) ع: مخوفة، ف: مخرقة. *c*) س: كثيراً، ع: كثير. *d*) ع، ف: بناحية ذي جبلة.

43. *a*) ع، ف: شجر كبار. *b*) ع، ف: الشجر. *c*) ع، ف: «ليحملها معه» بدلاً من «ليجامعها».

44. *a*) ع، ف: فحدثني بصفات كثيرة من أحاديثهم. *b*) ع، ف: ويوادي لامري ويوادي قاقلة. *c*) س: أمير، ع، ف: أمير خلقته أعظم من خلق باقيها. *d*) س: وأنها، ع، ف: وأنهم. *e*) من هنا وإلى نهاية العضادة اقتبسناه من ع، والختام في مخطوطتنا س هو: «ربما خرجوا من الغياض إلى الطريق والمحاجّ فيمضي بهم القوم يمشون فيمنعوها (كذا) من الاجتياز بها حتى يعطوها شيئاً، وأن بعض البحريين حدّثه بل غير واحد منهم أنه اجتاز على قطعة منها مع جماعة معه فمنعتهم من المشي فحاربوها على المشي، فمزقت ثيابهم وخدشتهم، فدفعوا إليها شيئاً فتركتهم ثم لم تعرض إليهم».

45. *a*) ع: رجل، ف: رجلاً. *b*) ع: تسعين، ف: تسع. *c*) ع: قافلة، ف: قاقلة. *d*) ع: قافلة، ف: قاقلة. *e*) وأومت، ف: وأومأت. *f*) ع: وحملت، ف: وحملته. *g*) ع: أرمنان، ف: أندمان. *h*) ع: أحد، ف: أحداً.

46. *a*) ع، ف: فأومى. *b*) ع، ف: أصبحت. *c*) ع: ليلتين، ف: ليلتي. *d*) ع: فتركها، ف: فتركتها. *e*) ع: فحدثهم، ف: فحدثتهم. *f*) ع، ف: نهتدي. *g*) ع، ف: يجونا. *h*) ع، ف: ماضي. *i*) ع، ف: أسقطه.

j) ع: أخـذوا، ف: أحـدّوا. *k*) ع، ف: يعانـدوا. *l*) ع: مسـتوثق، ف: اسـتوثق. *m*) ع، ف: يمتحـوا. *n*) ع: ونسـوقه، ف: ونوسـقه. *o*) ع: حشاشا، ف: حشاشنا.

48. *a*) ع: وحديث، ف: وحدثت.

49. وردت الحكاية في ع بالشكل التالي: وحُدِّثت أن قرداً كان في منزل رجل ببلاد اليمن وأن الرجل اشترى لحماً وجاء به إلى منزله، فأومى إلى القرد أن احفظ اللحم؛ فجاءت حدأة فنشلت اللحم، فبقي القرد متحيراً. وكان في الدار شجرة فصعد إلى رأسها ورفع استه إلى السماء ودلّى رأسه إلى أسفل وجعل يديه إلى جانبي استه، فظن الحدأة أن استه من جملة اللحم الذي اختطفته، فانقضّ الطائر عليه فضربه، فتلقاه القرد بيديه فقبضه وأنزله إلى الدار فوضعه تحت الجفنة وغطاه بشيء ثقيل. فجاء صاحب المنزل فلم يجد اللحم، فقام إلى القرد ليضربه، فقام القرد إلى الجفنة وأخرج الحدأة، فعلم الرجل وفطن لما جرى وأخذ الحدأة فنتف ريشها وصلبها على الشجرة.

50. *a*) ع: سـائر، ف: سـاهر. *b*) ع، ف: دوس. *c*) ع: اسـتحم، ف: استجم. *d*) ع، ف: لأفقرن. *e*) ع: عليه، ف: على. *f*) ع، ف: ليال. *g*) ع: الكلام، ف: السلام. *h*) ع، ف: مرحلتين. *i*) ع، ف: نجد. *j*) ع: خوفاً كثيراًن ف: خوف كثير. *k*) ع، ف: أحد. *l*) ع، ف: الطاق. *m*) ع، ف: لـه. *n*) ع، وأقامـت، ف: وقامـت. *o*) ع، ف: دمـاه. *p*) ع، ف: الحلوا.

51. *a*) «قال» غير موجودة في ع. *b*) ع، ف: «عبهرة» بدلاً من «مافنا». *c*) س: نجرم، ع: كرمن، ف: كرمان. *d*) ع، ف: عراها. *e*) س: بابانية، ع، ف: بانانية. *f*) وردت هذه العبارة وما بعدها بشكل مختصر في ع، وهي: ولم

يكن يسلك قبله إلى الصين إلاّ من غرّر، ولم يُسمع أن أحداً سلم في الذهاب والمجيء سواء، فإنه جلس في مطياله وأخذ معه قربة ماء، فمكث في البحر أياماً، فحكي عن شهرياري الربّان ... g) س: قولاب، والتصويب من ع. h) س: البابانية، والتصويب من ع. i) ع، ف: عبهرة. j) ع، ف: فلما سمعنا هذا الكلام تعلقت نفوسنا بقوله، ونزلتُ وجماعة ... k) ع: دفعتوا، ف: دفعتم. l) ع، ف: عبهرة. m) ع، ف: عبهرة. n) ع، ف: ولم نخالفه. o) س: الثلاثين سنة، ولا معنى لـ «سنة» هنا، فأخذنا بما ورد في ع. p) ع، ف: في رأس الثلاثين وهو وقت مدّ الماء. وقد نقص الماء صدراً صالحاً، وكنتم في وسط الجبال والجزيرة فأمرتكم بطرح الثقل من الأمتعة ففعلتم، ثم فكرت في أمر الأناجر، فإذا حاجتنا إليها في الصين غير ماسة، ولم يبق في المركب من الأمتعة إلاّ ما قيمة وزن الأناجر منه أضعاف قيمة الأناجر، فرميت بها كذلك. q) النص في ع هو: نعم، قد جُرِّبَ هذا البحر قبلي وجرّبته، فوجدنا في رأس كل ثلاثين ينقص نقصاً عظيماً حتى تنكشف هذه الجبال. r) س: ثلاثين سنة، وأخذنا بما ورد في ع.
s) ع: وعبهرة هذا له طريق في البحر، ف: وعبهرة هذا له طرايق في البحر.

52. a) ع: قيصور، ف: فَنْصُور. b) ع، ف: مرسا. c) ع: ربان، ف: الربّان. d) ع، ف: المرسا. e) ع: فيخاطر، ف: فتخاطروا. f) ع: الديدان، ف: الديدبان. g) ع، ف: أرا. h) ع: للديدان، ف: للديدبان. i) ع: الديدان، ف: الديدبان. j) ع: الديدان، ف: الدقل. k) ع: فقالوا، ف: فقال. l) ع: وذكروا، ف: وذكر. m) ع، ف: أربعين. n) ع: يكون، ف: تكون. o) ع: أو نجد المركب أو دوننا، ف: أو بحذاء المركب أو دوننا.

53. a) «وقال»، غير موجودة في ع، ف. b) ع: «وحببت» بدلاً من: «أردت»، ف: وأحببت.

54. *a*) ع، ف: خانفوا. *b*) ع، ف: وهو جلّ الصينين. *c*) ع: يقيون، ف: بغبور. *d*) ع، ف: نهر. *e*) ع: حرابابا، ف: جرياناً. *f*) ع: المغطينس، ف: المغناطيس. *g*) ع: لا يتعلون بدوابهم، ف: لا ينعلون دوابهم.

55. *a*) ع، ف: وحدثني بعض الرّبّانِيّة يقال له عمران ... *b*) س: فرمتنا، والتصويب من ع. *c*) «عشر» مطموسة في ع. *d*) ع: جبلة، ف: جلبة، س: جلية. *e*) ع، ف: فعهدي.

56. *a*) ع: مردابشاه، ف: مردانشاه. *b*) ع: البليح، ف: البلنج. *c*) ع: يقلبه، ف: يقبّله. *d*) ع، ف: ثلاثة عشر.

57. *a*) ع، ف: وحدثني جماعة من البحريين. *b*) ع، ف: يسفر أي يضفر القفاف والخوص ويلزم مسجداً. *c*) ع، ف: الصلوات. *d*) ع، ف: ثلاث بنين يعيشون في معاش قريباً من معاشه. *e*) س، ع، ف: اشتري. *f*) ع: ببقية الملح، وهم يخرجون ما في جوفها إذ وجدوا عدة صلبة (ف: صدفة). *g*) ع، ف: ورفع. *h*) ع، ف: وخرج إلى سرّ من رأى إلى الخليفة وهو يومئذ المعتمد فباعها عليه بمئة ألف درهم، وكان قيمتها أضعاف ذلك.

58. *a*) ع: رسهم، ف: رسمهم.

59. *a*) ع، ف: اثنا عشر.

60. *a*) ع، ف: المركب. *b*) ع، ف: الجزيرة. *c*) ع: فقواموا، ف: فقوموا. *d*) ع: سافه، ف: ساقه. *e*) ع، ف: وشعرهم.

61. *a*) ع، ف: وحدثني بعض الرّبّانِيّة... *b*) ع، ف: خلقاً كثيراً من الفال وهو أكبر سمك... *c*) ع، ف: رفعت أجنحتها فظنوها شرع مراكب. *d*) ع، ف: الحجارة. *e*) ع، ف: من الحشور والطين فاستحجر. *f*) ما يلي كلمة الذكر وإلى آخر الحكاية أي «لم ينجب وبطل»، غير موجود في ع، ف.

.62 a) ع، ف: عـل المـاء. b) ع، ف: وتبـيض عليـه وتحضـن. c) ع، ف: عشرين. d) ع، ف: أبويها. e) ع، ف: يقيهم. f) ع، ف: تلقيه على الساحل فتكسره وتقذف. g) ع، ف: ويستأنفوا.

.63 a) ع: عمر، ف: عمرو. b) ع: الأسقل، ف: الأسفل.

.64 a) ع، ف: دارة. b) ع: طيور، ف: طيوراً. c) ع، ف: منه.

.65 a) ف: وحـدثني مـن رأى بعـض هـذه الطبقـة. b) ع: وهـي، ف: وهـو. c) ع: أحد، ف: أحداً. d) ع، ف: طلسم.

.66 a) ع: خلقاً كبيراً، ف: خلقاً كثيراً. b) س: التجارين، والتصويب من ع. c) ع، ف: صامور. d) ع، ف: فقال لصاحب السلطان. e) س: واحد، ع، ف: أحد... الباتك وهو الرُّجَّالة.

.67 a) س: تجار البحار ومن ركبها، والتصويب من ع، ف. b) ع، ف: إسحاق ابن اليهودي. c) س: عن، وأخذنا بما ورد في ع، ف. d) ع، ف: «ويعشّر» بدلاً من «ويفتش». e) ع، ف: دفعة واحدة. f) ع، ف: مئة ألف مثقال من المسك الفائق. g) س: أحمد بن دريند بأربعين ألف دينار، وأخذنا بما في ع، ف. h) ع، ف: دفعة أخرى. i) ع، ف: فاستقاله. j) س: درهـم، والتصـويب مـن ع، ف. k) ع، ف: طـرف التجـار. l) ع، ف: مـن خـواص المقتـدر... m) من هنا تصبح العبارات في ع، ف كما يلي: وعاد ومعه مركب به مسك بألف ألف دينار وثياب حرير صيني بمثلها وجواهر وأحجار طريفة بمثلها، ومـن غرائـب نوادر الصين ما لا يحصى، وهو شيخ لا ولد له، وأن أحمد بن هلال أخذ منه مـن الأمتعة خمس مئة ألف دينار. فرفع الخبر إلى المقتـدر فاستعظمه، فأنفـذ في الوقـت خادماً يقـال لـه الفلفـل أسـود ... n) ع، ف: وكتبـت المحاضـر. o) ع، ف: والقاطنين. p) ع، ف: «وأصحابه» بدلاً من «ومن معه». q) ع، ف: بذكر.

r) ع، ف: وأنه متى تمّ هذا على أصغرنا، جرى على الكبير أعظم. s) ع: أميل، ف: أمثل. t) ع، ف: يحتاج. u) س: ولا يعرفه، والتصويب من ع، ف، والعبارة هناك هي: مصانعةً ليتركه يجوز إلى الصين ولا يعوقه. v) ع، ف: مضيئة. w) ع، ف: فكشف الرأس. x) ع: وفي خلله السمك الفائق، ف: وفي خلله المسك الفائق. y) ع، ف: قيمة ما في البَرْنِيَّة خمسون ألف دينار.

68. a) س: والمسك، والتصويب من ع، ف. b) العبارة في ع، ف: لأنه صعود جباله مثل الدرج لا يستطيعه إلاّ الغنم. c) ع، ف: عظيم الشأن. d) ع، ف: عليها أكثر مما عليه. e) س: لا يقوموا بقيمته، والتصويب من ع، ف. f) س، ع، ف: ولا يكونون. g) ع، ف: صيرتها كالسويق. h) ع، ف: ووهبا لي عليها مكافأة لها قدر عظيم.

69. a) ع: والزّنج، ف: وللزنج. b) ف: وخصّوهم. c) ف: يخصّيه. d) ف: يخصيه. e) ع، ف: ليقع. f) ف: يخصي.

70. a) ع، ف: يقل. b) س: البوازج. c) س: البوازج. d) ع، ف: يمض. e) ع، ف: يأكل. f) ع، ف: قطعهم.

71. a) ع، ف: ومن أخبار الهند في سننهم الظريفة ما حدثني به الحسن بن عمرو أنه سمع شيخاً عالماً بسير الهند يقول إن بعض ملوك الهند b) ع، ف: بلا وجرك. c) ع، ف: يجيء إليه من الرجال عدة. d) س: فلا يدخل، وأخذنا بما في ع، ف. e) ع، ف: قالوا للذي أحضره: كل منه. f) ع، ف: وإن مرض عذبوا نفوسهم لمرضه. g) العبارة في س مضطربة وهي: إلاّ من علية أهل الموضع ومن يرجع إلى الموضع، ومن يرجع إلى حدّة وبسالة. h) ع، ف: الهيل. i) ع، ف: ونقلب. j) س: المحتكر. k) ع، ف: «السليط» بدلاً من «السمن». l) ع، ف: فأرموا نفوسهم.

73. a) ع، ف: وحدثني قال رأيت بسندان رجلاً من الهند قد اجتاز بدار ...، ولم يرد اسم الراوية ولا اسم أخيه لأمه. b) ع، ف: صُبٌّ. c) ع، ف: فقال: كنا.

74. a) ع، ف: وحدثني أن الواحد من الهند يتغوّط b) ع، ف: في أوان الأمطار.

75. a) ع، ف: منظر.

76. a) س: شيء. b) س: ومن زنى بهم من الغرباء لم يعطهم شيئاً

77. a) س: الناعران، ع: الناعزان، ف: الناغران. b) ع، ف: على قدر كبرها. c) ع، ف: رأس الكلب. d) س: بكولم مي، والتصويب من ع، ف. e) س: رجل مسلم. f) ع، ف: نهشته هذه الحية.

78. a) ع، ف: أمر عجيب. b) ع، ف: الرقيا. c) ع: سريره، ف: سرير. d) ع، ف: أن يتركونه.

79. a) ع: الحرير، ف: الجزر. b) ع: مترنعة، ف: متربعة.

80. a) ع: الحـود، ف: الخـور. b) ع: لم يضـع، ف: لمـن يضـع. c) ع: ويعطيه، ف: ويغطه.

81. a) ع، ف: وهو. b) س: مندورين، فرجّحنا أنها هي نفسها مندريتين التي عرّفنا بها بهامش الخبر157. c) ع: عظيم، ف: عظيماً.

83. a) ع: من لا يوصف، ف: ما لا يوصف. b) ع، ف: ويروا.

84. a) ع: فيها، ف: فيما. b) توجد هنا في ع العبارة التالية: تمّ الجزء الأول، يتلوه في الثاني خبر جزيرة النيان إن شاء الله تعالى.

85. a) ع، ف: وهو جزيرة. b) ع: قيصور، ف: فَنْصُور. c) س: قوم.

86. a) ع: قيصور، ف: فَنْصُور. b) ع، ف: ويقددوا. c) ع، ف: وينتقلوا.

87. a) ع، ف: لجبالوس. b) ع،ف: ثمانين. c) ع: ومضى، ف: مضى.
d) ع، ف: ويأخذونه. e) ع: سهماً، ف: شهماً.

88. a) حيثما كانت كلمة «الألماس» في هذا النص، فقد وردت في ع، ف: الأدماس. b) س: وادي، ع، ف: واد. c) ع، ف: فيه نار توقّد طول الدهر ليلاً ونهاراً وشتاء وصيفاً، والأدماس فيه وليس يطلبه إلاّ طائفة ... d) ع، ف: أن حول النار. e) ع، ف: وفيها. f) ع، ف: فهكذا يأخذ الأدماس، وفي أكثر يتلف طالبه بالأفاعي والحيات والنار. g) ع، ف: وعظم.

89. a) ع، ف: سبعة عشر. b) ع: كلاه، ف: كله. c) ع، ف: سبعين.
d) ع: شجر نار، ف: شحر لبان. e) ع، ف: أحد وأربعين.

90. a) ع، ف: وحدثني البلوجي المتطبب بعُمَان قال: كنت بالتيز، وقعنا إليها بالتواهية، فتركنا المركب ونجلنا الحمولة...، وقد وردت «البلوجي» في س: البلموخي، ع: البلوحي، ف: البلوجي، وهو الصواب. b) س: النسر، والتصويب من ع، ف. c) ع، ف: إلى أن وفّقناه أن يصطلح في اليوم دفعتين وفي الليل مثله. d) ع، ف: أمرك عجيب، في ... خبرك؟ e) س: منتنة، وأخذنا بما في ع، ف. f) ع، فحملت نفسي الجهد.، ف: فحمل نفسي الجهد. g) ع: وكان له منذ أكلت السمكة ...، ف: منذ أكله. وفي ع، ف: يأتي بعد ذلك ما يزيد قليلاً على سطرين مطموسين لم يبقَ منهما إلاّ كلمة في بدايتهما وهي: وتذاكرنا.

91. a) ع: مردامن، ف: مرداس. b) ع: بكلى عُمَان، ف: بكلاّء..
c) ف: لا مركب، ع: إلاّ مركب، وهو الصواب.

92. a) بداية الحكاية في ع، ف هي: حدثني عن كاوان هذا أنه قال: أدخلني بغبور ملك الصين إلى بستان بخانفوا، مقدار عشرين جريباً ... b) ع، ف: اجتماع الأنوار الصيف والشتاء. c) ختام الرواية في ع، ف هو: قد عُمل وضفر وحبك ونسج وسوّي، ومن رآه لم يشك فيه أنه شجر ونور لا يغادر شيئاً.

93. a) ع: بيــت الكــبير، ف: بيــت كــبير. b) ع: فأبــدمان، ف: فأنــدمان.
c) ع: رأى بصفير رجلين، ف: رأى بصنفين رجلاً.

94. a) ع، ف: الغواصة. b) ع، ف: ولم يبق له حيلة. c) ع، ف: خلخال بمئة دينار. d) ع، ف: فلعل الله تعالى يسهل شيئاً فقالت له ... e) ع، ف: الغواصة. f) ع، ف: فلما كان في يوم الستين... g) ع، ف: لعل ثمنها يوفي بجميع ما كان يملكه مسلم منذ كان وإلى وقته، فقالوا... h) ع، ف: فأخذها وسحقها ورمى بها. i) ع، ف: فتسحقها. j) س: «ولست» بدلاً من «ولئن»، فأخذنا بما في ع، ف. والعبارة في ع، ف هي: ولئن انتفعت بها ليقتدين كل أحد بي فلا يغوصون إلاّ على اسم إبليس لعنه الله، فإثم ذلك يعظم على كل فائدة وإن عظمت. k) ع، ف: بسبعين ألف درهم والصغرى بثلاثين ألف درهم.
l) س: واعتقد عقداً

95. a) ع،ف: وعَدْتُ.

96. a) ع، ف: ومن ظريف الأخبار. b) ع: من الأيلة أريد بيارة، ف: من الأبلة أريد بيان. c) ع، ف: ساكتة. d) س: «فعل» بدلاً من «فعلنا».
e) ع، ف: يختلف. f) ع، ف: ثياباً. g) ع، ف: «فبينما نحن إذ أخذنا الخِبّ»، وواضح أن الجملة ناقصة هنا. h) ع: وتفرقت الركاب والبانانية في البحر فلم يرَ أحدا (ف: أحد) منا صاحبه. i) ع، ف: إلى الغد نصف النهار.
j) س: قد يئست من ابني، والتصويب من ع، ف. k) ع، ف: ألك لبناً؟
l) ع، ف: فقالوا: ابصري هذا الصبي قبل أن يموت. m) ع، ف: الرحلة.

97. a) ع: حارك، ف: خارك. b) ع، ف: هالكين.

98. a) ع: والمنصور، ف: والمنضوي. b) ع، ف: البحر. c) ع، ف: يعظم أمر العباس عندهم. d) ع، ف: عن

99. a) ع: بخانقوا، ف: بخانفوا.

100. a) ع، ف: الظريفة. b) ع: سرمين، ف: هنرمن. c) ع، ف: واشتري.
d) ع: أغدوا، ف: أعدو. e) ع: البثة، ف: البتة.

101. a) ع، ف: اثنين. b) ع: خليج، ف: حليج. c) ع، ف: ليأخذونه.

102. a) ع، ف: لقوله. b) ع: طمس في ع أدّى إلى هذا الفراغ. c) ع، ف: بئر. d) ع، ف: نار.

103. a) ع: الفوسي، ف: الفسوي.

104. a) ع: الغليم، ف: الغيلم. b) ف، ع: منزلة.

105. a) ع، ف: وحُدِّثت عن رجل يقال له أبو طاهر ... b) ع: مرقاوند، ف: مزفاويد. وواضح أنها من مدن الزابج. c) ع، ف: مركبه. d) ع، ف: باع بأرخص سعر وأقل ثمن، وأن لأبي طاهر هذا كان في المركب شيء من العنبر.

106. a) ع، ف: وحدثني يزيد العُمَاني ناخوذة الزّنج قال: رأيت في نواحي بلاد الزّنج جبلين ... b) س: وادي، والتصويب من ع، ف. c) س: وادي يجري، ع، ف: واد يجري فيه وقتاً في السنة نار. d) ع، ف: يجيء.

107. a) أول الحكاية في ع، ف هي: وببلاد الهند لصوص يجيء منهم جماعة من بلد إلى بلد فيعبثون على التجار الموسرين إما غريب وإما هندي. b) العبارة في ع، ف: كل ذلك عندهم سواء. إذا طالبوا الإنسان لم يسمع أحد (ف: يسع أحداً) أن يكلمهم ولا يتعرّض لهم خوفاً من نفسه.

108. a) ع: بيانه، ف: بتانه. b) ع، ف: لم نأخذ. c) ع، ف: لم يكاد.
d) ع: يصنع، ف: نصنع.

110. a) ع: الكنعاد، ف: الكنعد.

111. a) ع، ف: ولم يحلقون. b) ع: الإنسان، ف: إنسان. c) ع، ف: فأرسلوا. d) ف: يشربه.

112. *a*) ف: تنظر آخر أمر هذه. *b*) ع: تغذو، ف: تعدو. *c*) ع: الوزغتين، ف: وزغين.

113. *a*) ع، ف: أحداً. *b*) ع: فقالوا، ف: فقال. *c*) ع، ف: أريك شيئاً. ظريفاً *d*) ع، ف: ادّعى.

114. *a*) ع: المال، ف: مال. *b*) ع: هبرمن، ف: هنرمن. *c*) ع: الهبرمن، ف: الهنرمن. *d*) ع: الهبر، ف: الهنرمن.

115. *a*) ع: سائر، ف: سائراً.

116. *a*) ع: حضية، ف: حظية.

118. *a*) بداية الحكاية في ع، ف: ومما يحكى لي عن بعض ملوك الصين – وهو من الحكايات – أن له بركة ... *b*) ع، ف: فإذا أحب أن تملأ ماء، أمر... *c*) ع، ف: نهاية الحكاية مختصرة ومختلفة أحياناً، وهي على الشكل التالي: أمر بفتح الماء عليها من الموضع الذي يجيء منه، ثم يطرح [في الأصل: تطرح] اللؤلؤ مع الماء فيجري إلى البركة في نهاية الصفاء واللؤلؤ فيه، إلى أن تمتلأ [في الأصل: يمتلأ] البركة من اللؤلؤ ويفيض الماء على جوانبها، ثم يقطع الماء عنها ويبقى اللؤلؤ مثل الحصى.

119. *a*) ع: ظراف، ف: ظرائف. *b*) س: اثنا عشر. *c*) ع، ف: فما دونها.

120. *a*) بداية الحكاية في ع، ف كما يلي: وأخبرني بعضهم أنه شاهد... *b*) ع، ف: الجنس والنقد. *c*) ع، ف: ولو كان على رأسه من يشتري منه كائناً من كان، وأخذ الوعاء من الفيل وعدّ الودع الذي فيه ... *d*) ع، ف: وربما عدّ البائع. *e*) ع، ف: فيجمعه في وعاء معه.

121. *a*) ع، ف: ومائتان رجل. *b*) ع: وصبّح، ف: وضجّ. *c*) ع، ف: ثلاث. *d*) ع، ف: واحد. *e*) س: لايبلغ. *f*) ع: التبر، ف: التيز. *g*) ع: المركب، ف: المراكب. *h*) ع: ولا نفر، ف: إلاّ نفر.

122. *a*) الجملة الآتية في ع، ف هي: وحجر يطفئ النار وفي جوفه آخر يتحرك.

123. *a*) ع، ف: إنه رأى بناحية أغباب سرنديب حجر قد كسر فخرج منه دودة.

125. *a*) ع، ف: سنين كثيرة. *b*) ع، ف: يقال له ترنارايين وادي فيه بساتين...

126. *a*) بداية الرواية في ع، ف: وقال لي من رأى شجر اللبان – وهو الكندر – وهو نابت... *b*) ع، ف: يتفاضل في الحسن، وليس يوجد منه شجرة في الأرض إلاّ من حد حاسك إلى حدود حاريح (؟).

127. *a*) ع، ف، بدايتها: وقال لي من دخل الهند إنه رأى في عنقية بنواحي مانكير وهي قصبة بلاد الذهب وبها شجرة عظيمة غليظة الساق تكون مثل شجر الجوز لها ورد أحمر فيه بياض... في س: ورد أحمر فيه ببياض، والتصويب من ع، ف.

128. *a*) ع، ف: حجارة. *b*) ع: وهو من الأدوية، ف: وهي من الأودية.

129. *a*) س: بالبحر، ع، ف: وحدثني رجل من الرجال أن بالبجة عين غزيرة. *b*) ع، ف: فإذا طلعت عليه اخضرت... *c*) ع: المقارنة، ف: المقاربة.

130. *a*) ع، ف: طائر كبير.

132. *a*) البداية في ع، ف هي: وحدثني أن بجزيرة من جزائر الوقواق طير ملون ... *b*) ع، ف: سَمَنْدَل. *c*) ع، ف: يفقس. *d*) س: خرج فراخه .. ويطيف بالفراخ، وأخذنا بما ورد في ع، ف. *e*) س: زقّوهم، والتصويب من ع، ف.

133. *a*) البداية في ع، ف هي: وحدثني أن بجزيرة من جزائر ... *b*) ع، ف: «قال» بدلاً من «حدثه». *c*) ع، ف: وقد قالوا إن الأرانب على هذه الصورة وهو عندي يستحيل.

134. *a*) بداية الحكاية في ع، ف هي: وقال لي بعض من سلك البحر... *b*) من هنا وإلى آخر الحكاية غير موجود في ع. *c*) س: كلبتين.

135. *a*) البداية في ع، ف: وحدثني جعفر بن راشد. *b*) ختام الحكاية في ع، ف

مختصر، وهو كما يلي: فقلعوا أنيابها وشدّوها بالحبال، وحصل لها شجة من رأسها إلى أذنها، وذرعوها وكانت أربعين ذراعاً، وحملها الرجال على أعناقها (كذا)، وكان تقديرها آلاف أرطال، وكان ذلك في سنة أربعين وثلاث مئة.

136. *a*) س: تكون.

137. *a*) البداية في ع، ف: وقد حكى لي قوم... *b*) ع، ف: فوصف.

139. *a*) ع: لأنهم قبيلة، ف: لأن حول قنبله. *b*) ع: حول، ف: خور. *c*) ع: قبيلة، ف: قنبله. *d*) ع: عن في مجيئهم، ف: عن مجيئهم. *e*) ع: ما جاؤوهم، ف: إنما جاؤوهم. *f*) ع: من مسيرة ستة أيام، ف: مسيرة سنة.

140. *a*) س: اثنا عشر ساعة. *b*) ع، ف: أنه قد رقي، فحذفنا «أنه». *c*) ع، ف: وعظمها في الماء. *d*) ف: الأطواف. *e*) ع: استظهار، ف: استظهاراً.

142. *a*) ع، ف: وحدثني ابن لاكيس أنه كان بسُفَالة عند بعض ملوك الزّنج إذ جاءه رجل فقال: أيها الملك! إن فرخاً من فراخ طيور كذا – ونسي ابن لاكيس اسم الطير – قد وقع في الغوطة الفلانية وكان قد اقتنص فيلاً وكسره وهو يأكل فيه، وقد صيد، فقام ملك الزّنج وخرج إلى الغوطة ومعه خلق كنت أنا فيهم، فوقفنا على الطائر... *b*) ع: اثنتا عشر *c*) ع، ف: مخالبيه. *d*) س، ع، ف: قريتين.

143. *a*) ع، ف: ثبية *b*) ع، ف: صفيو.

144. *a*) «قال» غير موجودة في ع، ف. *b*) ع، ف: ويسمى سهيلان وطولها نحو مئة فرسخ، ودورها نحو ثلاث مئة فرسخ. *c*) س: وحصن جبلها وهو جبل الراهون ...، وأخذنا بما في ع، ف، والعبارة هناك: وجبلها حصين وهو جبل الراهون معدن الياقوت والأدماس (ع: الألماس). *d*) ع، ف: آدم عليه السلام. *e*) ع، ف: آدم عليه السلام. *f*) ع، ف: وفيها تراب أحمر وهو هذا السنباذج *g*) س: ويثقب به البلور، ويبدو أن الصواب هو اللؤلؤ لورود البلور قبل ذلك في

العبارة. وجملة «ويثقب به اللؤلؤ» غير موجودة في ع. h) ع، ف: السهيلانية.
i) ع، ف: يصبغ. j) العبارة من «بها» وما بعدها في ع، ف كما يلي: ويها من غرائب النباتات مما يطول شرحه ويتعجب منه. k) ع، ف: مئة ألف قرية.

145. a) البداية في ع، ف هي: وسمعت من حكى أن رجلاً. b) س: يقول، ع: يقول، ف: ينزل. c) ع، ف: الزابج أو ما قاريه. d) ع، ف عبارة «إلى الصين، واختلف إلى البحر ثم كسر به في بعض كرّاته بنواحي الزابج أو ما قاريه» غير موجودة. أما كلمة الزابج فقد كتبت في س: الدايم. e) ع، ف: بين ورقها وبتّ... f) ع، ف: يسوقها رجل لم أرَ مثله عظيم الخلقة، طويل عريض بشع المنظر ومعه عصاة. g) ع، ف: فرمى بنفسه في الماء. h) ع، ف: ليس عليه إلاّ ورقة تشبه ورق الموز. i) ع، ف: في فيه. j) س: وأنا ضعيف ميت جزعاً. والعبارة في ع، ف: فأخذ حجراً ثقيلاً وحذف الطائر فلم يكذب، فسقط الطائر بين أغصان الشجر بالقرب مني، فأومأ إليّ بيده أن انزل، فلخوفي منه بادرتُ وأنا ضعيف خوفاً وجوعاً؛ وأخذ الطائر ورمى به إلى الأرض. k) س: حتى فشخه، وأخذنا بما في ع، ف حيث الجملة هناك هي: لم يزل يضربه بذلك الحجر حتى فسخه ثم جعل ينهشه بأسنانه ويأكل كما تأكل السباع... l) ع، ف: انزعني، ونرجح أن تكون الكلمة هنا: أفزعني. m) س: واجتمع الغنم، وأخذنا بما في ع، ف. n) ع، ف: وأوردهم خليجاً. o) العبارة في ع، ف مختصرة وهي: حتى جئنا موضعاً قد علّمه بين الأشجار وحوله الخشب طولاً كأحكم ما يكون وله شبه باب، ودخلت الغنم ودخلت معها. p) ع، ف: الغزّالة. q) ع، ف: والغزالة شبه بيت. r) ع، ف: فسخّمها وهي تصيح. s) ع، ف: ثم صعد فأخذ شيئاً كان يشربه ونام وجعل يغطّ كما يغطّ الثور. t) س: ينفر، وأخذنا بما في ع، ف. u) ع، ف: الغد. v) ع، ف: في تلك الحالة. w) ع، ف: وإن اقتصرت الطيور.

x) ع، ف: في وقيد النار. y) ع، ف: في وجهه آثار ... z) في مكانه، وعبارة ((وتبقى في مكانها)) غير موجودة في ع. aa) ع، ف: ودلّيت غصن من أغصانها إلى الأرض ومضيت على وجهي أطلب صحراء قد كنت أشرفت عليها من تلك الشجرة. bb) ع، ف: أعمدتها. cc) ع، ف: آخذ من تلك الثمار. dd) ع، ف: والطيور تطوف بالغوطة، فعاينتُ طيراً منها. ee) ع، ف: ((في الغيضة))، غير موجودة. ff) العبارات التالية موجزة في ع، ف مع قليل من الاختلاف، وهي هناك: فأشرفنا على البحر، فاستبسلت للموت على أي حال كان لا محالة، فانحطّ على جبل في الجزيرة فحللت نفسي من ساقه وأنا ضعيف، فجعلت أجرّ نفسي خوفاً منه ونزلت من الجبل فتعلقت بشجرة وأخفيت شخصي فيها. فلما أصبحت رأيت دخاناً فعلمت أن الدخان مع الناس، فنزلت من الشجرة وجعلت أمشي إلى أن قاربت الدخان، فما مشيت قليلاً حتى استقبلني جماعة فأدخلوني إلى منزل وحبسوني مع ثمانية أنفس أو تسعة، فسألوني عن خبري ... gg) الجمل التالية في ع، ف كما يلي: قال: فنظرت وإذا مقامي عند صاحب الغنم كان أصلح، فجعلتُ أتأسّى بالقوم، وإن كنت أؤكل فقد هان عليَّ الموت، وبعضنا يتأسّى ببعض، فلما كان من الغد جاؤونا بسمسم ... hh) ع، ف: فقالوا: هذا طعامنا منذ وقعنا هاهنا، فأكلنا مقدار ما يمسك رمقنا. ثم جاؤوا فنظروا إلينا وأخذوا أحسننا حالاً في جسده فودعناه ... ii) ع، ف: ثم اجتمعوا عليه فذبحوه وقطّعوه قطعاً ونحن نرى، ثم شووه وأكلوا وطبخوا بعضه وأكلوا بعضه نيّاً مملوحاً، ثم شربوا شراباً وسكروا فناموا، فقلت لهم: قوموا فنقتل هؤلاء فإنهم سكارى، ونخرج على وجوهنا، فإن سلمنا فالحمد لله، وإن هلكنا فهو أسهل من هذا البلاء الذي يحل بنا، وإن لحقنا أهل القرية فهي موتة واحدة. فاختلف رأينا بقية يومنا وأظلّنا الليل، وأصبحنا فجاؤونا بما نأكل على الرسم المعتاد. ومضى أول يوم وثاني يوم وثالث

يوم ورابع يوم ونحن على تلك الحالة. فلما كان في اليوم الخامس، جاؤونا فأخذوا منا واحداً ففعلوا به مثل الأول. فلما سكروا وناموا قمنا إليهم فذبحناهم بأسرهم، وأخذ كل واحد منا سكيناً وشيئاً من العسل والسمن والسمسم، فلما أظلم الدنيا خرجنا من المنزل، وقد كنا ميزنا بالنهار فمشينا نطلب ساحل البحر من جانب آخر لا من شط القرية. ودخلنا غوطة فتعلقنا بالشجر ونحن سبعة أو ثمانية خوفاً من القوم، فلما جنَّ الليل نزلنا ومشينا ونحن نأخذ الطريق على الكواكب. وأخذنا نمشي الساحلَ الساحلَ يومَنا ثم أمِنّا القوم فكنا الآن نمشي ونستريح ونأكل من ثمار الغيط وهي كثيرة الموز، زماناً طويلاً إلى أن وقعنا في غوطة حسنة وفيها ماء عذب طيب، فعزمنا على المقام بها أبداً إلى أن يقع إلينا مركب أو نموت فيها. فمات منا ثلاثة وبقينا أربعة. فبينما نحن في بعض الأيام نمشي وإذا بقارب خَلَقٍ قد قذف به الموج وفيه جماعة موتى قد تقطعوا، والقارب جانح في الطين والموج يضربه وهو مطروح. فاحتلنا في رميهم إلى البحر وغسلنا القارب وأخذنا معنا طيناً من طين الجزيرة مثل الغري وأصلحنا فيه دَقَلاً من الشجر وسوّينا حبالاً من خوص النارجيل وشراعاً ليفاً، وملأنا بطن القارب من النارجيل والفاكهة، وملأنا معنا ماءً، وبعضنا يدري سفر البحر. وسرنا نحو خمسة عشر يوماً، ووقعنا بقرية من قرى الصنْف بعد أهوال وعجائب مرت بنا، وسرنا من تلك القرية إلى أن وصلنا الصنْف وخبرنا الناس بأخبارنا، فجمعوا لنا زواداً، وخرج كل واحد منا يقصد بلداً. ورجعتُ إلى البصرة بعد أربعين سنة من غيبته وقد مات أكثر أهله، ووجد لوالده (الصواب: لولده) ولداً فأنكروه، وقد كانوا لما انقطع خبره، قسموا ماله ــ وكان موسراً وحاله حسن ــ فلم يصل من ماله شيء. ثم مات بعد ذلك.

146. *a*) القصة مختصرة جداً في ع، ف وهي هناك كما يلي: وحدثني بعض البحريين أنه كان ماض (كذا والصواب: ماضياً) بين سريرة (كذا والصواب: سربزة) والصين

في سنبوق. قال: فلما سرنا من سريرة مقدار خمسين زاماً وقع علينا الخِبّ ورمينا بعض الحمولة إلى البحر. ومكثنا أياماً في الخِبّ ثم وقعت علينا الريح ولم يمسك المركب وأشرفنا على الهلاك وأردنا أن نرمي نفوسنا في البحر ونتعلق بجزيرة، فرمينا الأناجر ونحن لا نصدق أنا نتخلص. وسكنت الأمواج ولم تمض عنا ساعة حتى لاح لنا من الجزيرة جماعة، فانتظرنا أن يخرج إلينا قوم منهم فلم يخرج إلينا أحد، فأومأنا إليهم فلم يكلمونا ولم نعرف الموضع وحقّقنا أنا نحن متى نزلنا إليهم آذونا أو يكون وراءهم قوم فيقعوا بنا فلا نطيق لهم. فمكثنا في موضعنا أربعة أيام لا ينزل منا أحد إلى الجزيرتين ولا يعبر منهم أحد إلينا. فلما كان في اليوم الخامس اجتمع رأينا على النزول إليهم لأنّا احتجنا إلى الماء وإلى مسألتهم عن الموضع ونحن لم نعرف الطريق. فنزل منا مقدار ثلاثين رجلاً بالسلاح في القارب والدونيج، فلما صعدنا إليهم تهاربوا كلهم ولم يبق منهم إلاّ رجلاً واحداً (كذا والصواب: رجلٌ واحدٌ) فكلّمَنا فلم نعرف (الصواب: يعرف) لغته إلاّ رجل واحد منا. قال لنا: إن هذه جزيرة من جزائر الوقواق. فسألنا عن الجزيرتين فحكى أنها من جزائر الوقواق وأن ليس بقربها بلد إلاّ على مسيرة ثلاث مئة فرسخ، وهي جزيرة ليس فيها أحد سواهم، وعدّتهم أربعين (كذا وصوابها: أربعون) نفساً. وسألناه عن طريقنا إلى الصّنْف فعرّفنا ودلّنا. وملأنا الماء وشرعنا نحو الصّنْف ـ على ما قال ـ فأقمنا خمسة عشر زاماً وأشرفنا سالمين إلى الصّنْف والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل. تم الكتاب. والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. غفر الله لمن قرأ في هذه النسخة المباركة ودعا لكاتبها بالرحمة والرضوان ولجميع المسلمين. وكان الفراغ سابع عشر من جمادى الأولى سنة أربع وأربع مئة. كتبه محمد بن القطان.

148. *a*) س: شجر.

149. *a*) س: ببرن في الأصل غير منقوطة ورجّحنا أنها ببرن التي عرّفنا بها بهامش ص ١٤٦. *b*) ارتدى بأحدهما. *c*) س: ويديه.

150. *a*) الزابجي: غير منقوطة *b*) س: جزائر صاحب سريزة. *c*) س: لنمض.

151. *a*) س: ((وواهَا)) بدلاً من ((ووافاها)).

152. *a*) س: ومَن. *b*) س: الرّائَج. *c*) س: فنفدت.

155. *a*) س: بما. *b*) س: يغلي، ولعلّ الصواب ما أثبتناه. *c*) س: الناس يخافون منها... فليس لها سلطان. فصوّبناه لأن الضمير يعود على التمساح.

156. *a*) س: وينزل.

157. *a*) س: بمندر يعني عند علي بن محمد... *b*) س: وليس هو مجيء وقت المراكب. *c*) س: ويقيصور.

159. *a*) س: يطبخوا. *b*) س: فيل. *c*) س: أرادوا. *d*) س: أخذوا مكتل وجعلوا فيه فلوس.

160. *a*) س: دَيناً. *b*) س: شيئاً.

161. *a*) س: ما ينفرد.

163. *a*) س: فأما أن يلتمس أن يذبح عندها جاموساً أو شاةً أو كلباً...

164. *a*) س: توقعوني. *b*) س: ما تنصفوني.

جدول المشترك وغير المشترك من الأخبار والحكايات

بحسب الأرقام الواردة في أوائلها

ما انفرد به *عجائب الهند*	ما انفرد به *الصحيح من أخبار البحار*	ما اشترك فيه الاثنان
4	5	1
6	9	2
8	76	3
10	136	7
11	138	32
12	147	33
13	148	35
14	149	36
15	150	38
16	151	40
17	152	42
18	153	43
19	154	44
20	155	49
21	156	51
22	157	53
23	158	55
24	159	57
25	160	61
26	161	66
27	162	67

ما انفرد به *عجائب الهند*	ما انفرد به *الصحيح من أخبار البحار*	ما اشترك فيه الاثنان
28	163	68
29	164	71
30		73
31		74
34		77
37		88
39		90
41		92
45		94
46		96
47		105
48		106
50		107
52		117
54		118
56		120
58		122
59		123
60		120
62		124
63		125
64		126
65		127
69		128
70		129

ما اشترك فيه الاثنان	ما انفرد به *الصحيح من أخبار البحار*	ما انفرد به *عجائب الهند*
132		72
133		75
134		78
135		79
137		80
142		81
144		82
145		83
146		84
		85
		86
		87
		89
		91
		93
		95
		97
		98
		99
		100
		101
		102
		103
		104
		108

ما انفرد به *عجائب الهند*	ما انفرد به *الصحيح من أخبار البحار*	ما اشترك فيه الاثنان
109		
110		
111		
112		
113		
114		
115		
116		
119		
121		
130		
131		
139		
140		
141		
143		
المجموع 87	23	55

الفهارس العامة[1]

صنعتهاالسيدة بشرى ضياء مشكور

---

(١) طبعنا بالحرف الأسود المحقّق ما ورد في متن الكتاب وكذلك الأرقام التي طُبعت بهذا الحرف. أما ما وُضع بين قوسين من الأرقام فيعني أن العَلَم أو الموضع أو الكلمة قد عُرِّف به في تلك الصفحة.



فهرس الأعلام

فهرس المواضع والبلدان

فهرس القبائل والأمم والطوائف والفرق والجماعات

فهرس الحيوانات والطيور والحشرات الحقيقية والأسطورية

فهرس النباتات الحقيقية والأسطورية

فهرس الأحجار الكريمة والمعادن

كلمات عراقية

كلمات كثُرَ ورودُها في الكتاب[1]

الأنجر وجمعها الأناجر: المرساة ١٣١

الباناني، وجمعها البانانية: الملاّح ٥٢

البُد، وجمعها البدود: في الأصل، الصنم، كما تعني المعبد الذي فيه الصنم ٤٦

البَلَنج: الحجرة في السفينة ١٤٢

الخِبّ: الإعصار ٥٩

الخُطُوف: الإبحار ٧٥

الخور: هو كالخليج كما يقول ياقوت ١٦٤

الدَّقَل: صاري السفينة ٨١

الدونيج: سفينة طويلة سريعة الجَرْي ٧٥

الزام: وحدة قياس تعادل مسيرة ٣ ساعات في البحر ١٠٢

السُّنْبوق: زورق صغير وقد يكون متوسطاً ٢٠٤

الشُّرْتا: الرياح الموسمية التي قد تزداد سرعتها فتأخذ السفن بعيداً عن وجهتها ١٥٨، ٢١٠، ٢٨٦

الغِبّ: زاوية أو عطفة في البحر ٤٦

الناخذاه: وجمعها النواخذة: ربّان السفينة ٤٥

هُنَرْمَن: قاضي المسلمين في الهند ١٦٦، ١٨٠

---

(١) يشير الرقم الموضوع أمام الكلمة إلى الصفحة التي تَمَّ فيها تبيان معناها.

حوادث ووقائع ذكرت تواريخها

٢٧٠ هـ: ملك الرا يبعث برسالة إلى حاكم المنصورة يسأله فيها أن يعرِّفه الإسلامَ ٤٤

٢٨٨هـ: كان أبو محمد الحسن النجيرمي بمدينة المنصورة ٤٣

٣٠٠ هـ: محمد بن أحمد السيرافي يرى سمكة هائلة الحجم في عمان ٥٦

٣٠٥ هـ: راشد الغلام بن بابشاد يبحر من سيراف متجهاً إلى البصرة ١٨٠

٣١٠ هـ: فكّ سمكة هائلة الحجم يُحمل إلى الخليفة المقتدر ٥٨

٣١٠ هـ: الملاّحان محمد بن بابشاد وإسماعيلويه تقذفهما الرياح إلى سفالة الزنج ٨٧

٣١٥ هـ: الرياح تقذف الملاّحين محمد بن بابشاد وإسماعيلويه ثانيةً إلى سفالة الزنج ٩٠

٣١٧ هـ: إسماعيلويه الناخذاه يصل من كله إلى عمان ١٥٨، ١٥٩

٣٢٥ هـ: عمران الأعرج يبحر من عمان ١٢٢

٣٣٠ هـ: شاهان بن حمويه المعروف بدود يبحر من سريزة متجهاً إلى عمان ٢١٠

٣٣٤ هـ: ابن الأكيس يشاهد الغزاة الواقواقيين يهاجمون قنبلة ١٩٢

٣٣٩ هـ: الحسن بن عمرو النجيرمي يسأل إسماعيلويه الناخذاه عن حية تأكل الأفيال ٨٥

٣٥٠ هـ: شاهان بن حمويه المعروف بدود يتحدث عن واقعة جرت له سنة ٣٣٠ هـ ٢٠٨

٣٦٠ ــ ٣٦١ هـ: كان يعقوب بن حوان مقيماً في كله ٢١٣

٣٦٧ هـ: يعقوب بن حوان يشاهد في كَلَه ركبنَ اللص الذي لايؤثِّر الحديد في جسمه ٢١٢

٤٠٤ هـ: محمد بن القطان يُنهي نسخ المخطوطة التي عنوانها *عجائب الهند* ٢٤٨

مصادر ومراجع التحقيق

العربية:

- *الآثار الباقية عن القرون الخالية*: أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (تـ ٤٤٠هـ)، تحقيق إدوارد زاخاو، لايبزك، ١٩٢٣م.
- *آثار البلاد وأخبار العباد*: زكريا بن مُحَمَّد القزويني (تـ ٦٨٢هـ)، بيروت، دار صادر.
- *أبجد العلوم*: صدِّيق بن حسن القنوجي (تـ ١٣٠٧هـ)، تحقيق عبد الجبار زكار، بيروت، ١٩٧٨هـ.
- *الإبداع الزراعي في بدايات العالم الإسلامي*: الدكتور أندريو واطسون، ترجمة الدكتور أحمد الأشقر، حلب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- *الإتباع والمزاوجة*: أحمد بن فارس (تـ ٣٩٥هـ)، تحقيق مُحَمَّد أديب جمران، دمشق، ١٩٩٥م.
- *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*: محمد بن أحمد المقدسي البشاري (تـ حوالي سنة ٣٩٠هـ)، تحقيق الدكتور محمد مخزوم، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- *أخبار الزمان*: منسوبٌ لعلي بن الحسين المسعودي (تـ ٣٤٦هـ)، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- *أخبار الصين والهند*: سليمان التاجر (ترجع قصصه إلى حوالي ٢٣٧هـ)، وأبو زيد السيرافي (كان حيا في ٣٠٣هـ)، تحقيق إبراهيم خوري، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- *أراجيز ملاحية*: أحمد بن ماجد بن مُحَمَّد السعدي (تـ حوالي ٩١٥هـ)، تحقيق إبراهيم خوري، صنعاء، منشورات وزارة الإعلام والثقافة.

- *أساس البلاغة*: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- *أطلس التاريخ الأفريقي*: كولين ماكيفيدي، ترجمة مختار السويفي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- *الأعلاق النفيسة*: أحمد بن عمر بن رستة (ألّف كتابه بعد ٢٩٠هـ بقليل)، تحقيق دي خويه، ليدن، ١٨٩٢م.
- *الأعلام*: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، بيروت، ١٩٨٦م.
- *اقتحام المجهول الأعظم، البعثة الدولية للمحيط الهندي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٥م*: دانييل بيرمان، ترجمة شعبة الترجمة باليونسكو والدكتور أنور عبد العليم، بيروت، ١٩٨٦م.
- *ألف ليلة وليلة من أصوله العربية*: مجهول المؤلفين، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه الدكتور محسن مهدي، ليدن، ١٩٨٤م.
- *ألف ليلة وليلة*: مجهول المؤلفين، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- *الأماكن*: مُحَمَّد بن موسى الحازمي (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، ١٤١٥هـ.
- *إمبراطوريات الرياح الموسمية*: ريتشارد هول، ترجمة كامل يوسف حسين، أبو ظبي، ١٩٩٩م.
- *الإمتاع والمؤانسة*: أبو حيان بن علي بن مُحَمَّد التوحيدي (ت ٤١٤هـ)، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، ١٩٣٩ – ١٩٤٤م.
- *الأنساب*: عبد الكريم بن مُحَمَّد السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- *البداية والنهاية*: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٣٢هـ)، تحقيق علي شيري، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- *البدء والتاريخ:* مطهر بن طاهر المقدسي (ألّف كتابه سنة ٣٥٥هـ)، تحقيق كلمان هوار، باريس، ١٩٠٣م.
- *بسط الأرض في الطول والعرض:* علي بن سعيد بن موسى (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق الدكتور فرنيط خينيس، تطوان، ١٩٥٨م.
- *البعد الجغرافي للملاحة العربية في المحيط الهندي قبل القرن السادس عشر الميلادي:* حسن صالح شهاب، عُمَان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- *البلدان:* أحمد بن مُحَمَّد بن إسحاق المعروف بابن الفقيه الهَمَذاني (ألّف كتابه حوالي ٢٩٠هـ)، تحقيق يوسف الهادي، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- *البلغة في تاريخ أئمة اللغة:* مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق مُحَمَّد المصري، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- *تاريخ الأدب الجغرافي العربي:* إغناطيوس كراتشكوفسكي (ت ١٩٥١م)، ترجمة الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- *تاريخ افريقيا السوداء:* جوزيف كي زيربو، ترجمة الدكتور عقيل الشيخ حسين، ليبيا، ٢٠٠١م.
- *تاريخ افريقيا العام:* مجموعة باحثين، طُبع المجلد الثاني منه في تورينو بإيطاليا، ١٩٨٥م؛ وطُبع المجلد الرابع في بيروت سنة ١٩٨٨م.
- *تاريخ بيهق:* علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ)، ترجمه عن الفارسية وحققه يوسف الهادي، دمشق، ٢٠٠٤م.
- *تاريخ مدينة دمشق:* علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق علي شيري، بيروت، ١٤١٥هـ.
- *تاريخ مدينة السلام:* أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي(ت ٤٦٣هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- *تاريخ المستبصر:* لمؤلف لانعرف اسمه، ولكنه ذكر في كتابه هذا أن أباه هو محمد بن مسعود بن علي بن أحمد ابن المجاور البغدادي النيسابوري، ونعلم أنه أي المؤلف كان حياً سنة ٦٢٦ هـ، وليس لأبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠ هـ، تحقيق أوسكر لوفغرين، ليدن، ١٩٥١-١٩٥٤م.
- *تاريخ اليعقوبي:* أحمد بن يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)، بيروت، دار صادر.
- *التبصُّر بالتجارة:* عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- *تجارب الأمم:* أبو علي أحمد بن مُحَمَّد مسكويه (ت ٤٢١ هـ)، تحقيق الدكتور أبو القاسم إمامي، طهران، ٢٠٠١م.
- *تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن:* أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)، تحقيق مُحَمَّد بن تاويت الطنجي، أنقرة، ١٩٦٢م.
- *تحفة الألباب ونخبة الإعجاب:* أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان الغرناطي (ت ٥٦٥هـ)، مخطوطة المكتبة العثمانية تحت الرقم ٧٩٧، كما اعتمدنا الطبعة التي حققها الدكتور إسماعيل العربي، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- *تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء:* الهلال بن المحسِّن الصابي (ت ٤٤٨هـ)، بيروت، ١٩٩٠م.
- *تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين:* أحمد زين الدين المعبري المليباري (توفي بعد ٩٩١هـ)، تحقيق محمد سعيد الطريحي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- *تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة:* أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

- *التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين:* عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣هـ)، تحقيق عزيز الله العطاردي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- ((تطور الحضارة السواحلية))، بقلم المؤرخ الروسي ف. ماتفييف = *تاريخ افريقيا العام*
- *التعريف بطبقات الأمم:* صاعد بن أحمد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ)، تحقيق الدكتور غلام رضا جمشيد نزاد أول، طهران، ١٩٩٧م.
- *التفهيم لأوائل صناعة التنجيم:* أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)، حققه وترجمه للإنكليزية رمزي رايت، لندن، ١٣٠٢هـ/١٩٣٤م.
- *تقويم البلدان:* إسماعيل بن مُحَمَّد المعروف بأبي الفدا (ت ٧٣٢هـ)، تحقيق دي سلان ورينو، باريس، ١٨٤٠م.
- *تكملة المعاجم العربية:* رينهارت دوزي (ت ١٨٨٣م)، ترجمة الدكتور مُحَمَّد سليم النعيمي، بغداد، ١٩٩٠م.
- *التنبيه والإشراف:* علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ)، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، ١٣٥٧هـ.
- *تهذيب الكمال:* يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- *التوحيد:* المفضل بن عمر الجعفي (كان حياً سنة ١٤٥هـ)، تحقيق كاظم المظفر، بيروت، ١٩٨٤م.
- *الجَغرافيَّة:* مُحَمَّد بن أبي بكر الزهري (توفي أواسط القرن السادس الهجري)، تحقيق مُحَمَّد حاج صادق، دمشق، ١٩٦٨م.
- *الجغرافيا:* علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق الدكتور إسماعيل العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

- *جغرافيا الصين:* شيوي قوانغ، ترجمة مُحَمَّد أبو جراد، بكين، ١٩٨٧م.
- *جغرافية البحار والمحيطات:* جودة حسنين جودة، بيروت، ١٩٨١م.
- *جغرافية دار الإسلام البشريَّة:* أندريه ميكيل، ترجمة إبراهيم خوري، دمشق، ١٩٨٥م.
- *الجماهر في الجواهر:* أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)، تحقيق يوسف الهادي، طهران، ١٩٩٥م.
- *جمهرة اللغة:* أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٤هـ.
- ((جمهورية المالديف)) = *الموسوعة الجغرافية...*
- *الجواهر وصفاتها وفي اي بلد هي وصفة الغوّاصين والتجار:* يحيى بن ماسويه (ت ٢٤٣هـ)، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام، القاهرة، ١٩٧٦م.
- *جولة في جزائر البحر الزنجي:* مُحَمَّد بن ناصر العبودي، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- *حاوية الاختصار في أصول علم البحار:* أحمد بن ماجد السّعدي (توفي حوالي سنة ٩١٥هـ)، تحقيق إبراهيم خوري، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء.
- *الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من افريقيا:* الدكتور روبرت فون هارتمان (عالم إثنولوجي ألماني عُني بأفريقيا الشرقية وزار الحبشة سنة ١٨٦١م)، ترجمة الدكتور برهان شاوي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م.
- *حدود العالم من المشرق إلى المغرب:* مؤلف مجهول كتبه سنة ٣٧٢هـ، ترجمه عن الفارسية وحققه يوسف الهادي، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- *حضارات الهند:* الدكتور غوستاف لوبون (ت ١٩٣١م)، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

- *الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة:* مجهولة المؤلف، تحقيق هنس وير، دمشق، ١٩٥٦م.
- *حكايات عربية مستخرجة من مخطوطات المكتبة الوطنية:* تحقيق فلورانس جروف، باريس، ١٨٨١م.
- *حياة الحيوان الكبرى:* مُحَمَّد بن موسى الدميري (تـ ٨٠٨هـ)، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- *الحيوان:* عمرو بن بحر الجاحظ (تـ ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- *خبر بعثة حسن بن أحمد الخيمي إلى الحبشة سنة ١٠٥٧ ـ ١٠٥٨م:* تحقيق ف. أ. بايسَر، فرانكفورت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- *الخرْاج وصناعة الكتابة:* قدامة بن جعفر (تـ ٣٢٨هـ وقيل ٣٣٧هـ)، تحقيق الدكتور مُحَمَّد حسن الزبيدي، بغداد ١٩٨١م.
- *دائرة المعارف الإسلامية:* تأليف مجموعة من المستشرقين، ترجمها إلى العربية أحمد الشنتناوي ورفيقاه، بيروت، بلا تاريخ.
- *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة:* أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (تـ ٨٥٢ هـ)، تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد الدكن، ١٩٧٢م.
- *دليل الخليج (القسم الجغرافي):* ج. ج. لوريمر، الدوحة، مطابع علي بن علي.
- *ذكر الأقاليم:* إسحاق بن الحسن الزيات، تحقيق فرانسيسكو كاستيلو، برشلونة، ١٩٨٩م.
- *الذريعة إلى تصانيف الشيعة:* آقا بزرك الطهراني (تـ ١٣٨٩هـ)، النجف، ١٣٥٥هـ.

- *رجال الشيخ الطوسي*: محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، النجف، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- *رحلات ماركو بولو*: (ت ١٣٢٣م)، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٧٧م.
- *رحلة ابن بطوطة*: مُحَمَّد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ)، تحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- *رحلة بنيامين التطيلي*: بدأ رحلته حوالي سنة ٥٦١هـ، ترجمة عَزْرا حدّاد، دراسة وتقديم الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أبو ظبي، ٢٠٠٤م.
- *رحلة السندباد*: تيم سيفرن، عُمَان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- *الروض المعطار في خبر الأقطار*: مُحَمَّد بن عبد المنعم الحميري (ت ٧٢٧هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤م.
- *زهر الآداب وثمر الألباب*: علي بن عبد الغني الحُصْرِيّ القيرواني (ت ٤٨٨هـ)، تحقيق الدكتور زكي مبارك، القاهرة، ١٩٢٥م.
- ((الساحل الأفريقي الشرقي ودوره في التجارة البحرية)): مقالة بقلم أ. م. هـ. شريف = *تاريخ افريقيا العام*
- *السجل الكامل لأعمال افونسو دلبوكيرك (ت ١٥١٥م)*: ترجمة الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- *السلوة في اخبار كلوة*: مجهول المؤلف، عُمان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- *سلوة الغريب واسوة الأريب*: علي صدر الدين بن أحمد نظام، ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- *السنن الكبرى*: أحمد بن شعيب النَّسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق الدكتور عبد الغفار البنداري والسيد كسروي حسن، بيروت، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.
- *سير اعلام النبلاء*: شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- *السيف المهند في سير الملك المؤيد:* بدر الدين محمود العيني (تـ ٨٥٥هـ)، تحقيق فهيم مُحَمَّد شلتوت، القاهرة، ١٩٦٦ – ١٩٦٧م.
- *شرح أسماء العقار:* موسى بن عبيد الله الإسرائيلي القرطبي (تـ ٦٠١هـ)، تحقيق الدكتور ماكس مايرهوف، باريس، ١٩٤٠م.
- ((شرح عيون المسائل)): المحسن بن كرامة المعروف بالحاكم الجشمي (تـ ٤٩٤هـ) = *فضل الاعتزال*.
- *صفة جزيرة العرب:* الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني (تـ بعد ٣٣٤هـ)، تحقيق مُحَمَّد بن علي الأكوع، بغداد، ١٩٨٩م.
- *صلة تاريخ الطبري:* عريب بن سعد القرطبي (تـ ٣٦٩هـ)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- *صورة الأرض:* أبو القاسم بن حوقل النصيبي (انتهى من تأليف المسودة الثانية لكتابه سنة ٣٦٧هـ)، تحقيق كرامرز، ليدن، ١٩٣٨م.
- *صورة الأرض:* مُحَمَّد بن موسى الخوارزمي (توفي عقب ٢٣٢هـ)، تحقيق هانس فون مجيك، فينا، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.
- *الصيدنة في الطب:* أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (تـ ٤٤٠هـ)، تحقيق الدكتور عباس زرياب، طهران، ١٩٩١م.
- *طبائع الحيوان:* شرف الزمان طاهر المروزي (آخر تأريخ في كتابه يرجع إلى سنة ٥١٨هـ)، مخطوطة المكتب الهندي بلندن ذات الرقم ١٩٤٩.
- ((طبقات المعتزلة)): القاضي عبد الجبار بن أحمد الهَمَذاني الأسدآبادي (تـ ٤١٥هـ) = *فضل الاعتزال*.
- ((طبقات المعتزلة)): أحمد بن يحيى المرتضى اليماني (تـ ٨٤٠هـ) = *فضل الاعتزال*.

- ***عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة:*** سهراب (ألّف كتابه بين ٢٨٩ و٣٣٤هـ)، تحقيق هانس فون مجيك، فينا، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.
- ***عجائب الدنيا:*** أبو المؤيد البلخي (أهدى كتابه هذا إلى أبي القاسم نوح بن منصور الساماني الذي حكم خلال السنوات ٣٦٥ ــ ٣٨٧هـ)، تحقيق ل. ب. سميرنوفا، موسكو، ١٩٩٣م.
- ***عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:*** زكريا بن مُحَمَّد القزويني (تـ ٦٨٢هـ)، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٧٠م.
- ***عجائب الهند:*** المنسوب خطأً لبزرك شهريار الرامهرمزي، تحقيق فان ديرليث، ليدن، ١٨٨٣ – ١٨٨٦م.
    - حققه أيضاً مُحَمَّد سعيد الطريحي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
    - وحققه كذلك يوسف الشاروني، بيروت، ١٩٩٠م.
    - وصدرت له ترجمة إلى الفارسية بطهران سنة ١٩٦٨م.
- ***العرب والملاحة في المحيط الهندي:*** جورج فضلو حوراني، ترجمة الدكتور يعقوب بكر، القاهرة / نيويورك، مؤسسة فرانكلين.
- ***العلوم البحرية عند العرب*** (مصنفات سليمان بن أحمد المهري) (كان حياً سنة ٩١٧هـ)، تحقيق إبراهيم خوري (تـ ١٩٩٨م)، دمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.
- ***عمدة الطبيب في معرفة النبات:*** أبو الخير الإشبيلي (عاش في القرن السادس الهجري)، تحقيق محمد العربي الخطابي، بيروت، ١٩٩٥م.
- ***غرائب الأخبار عن شرق افريقيا وزنجبار:*** توفيق ميخائيل (كان حياً سنة ١٩٠٠م)، القاهرة، ١٩٠١م/ ١٣١٩هـ.
- ***غرر السِّيَر:*** الحسين بن محمد المرعشي (تـ ٤٢١هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- قلتُ: هو من سهو قلم المحقق الفاضل، إذ الصواب أنه المرغني كما هو مكتوب على

الورقة الأولى من مخطوطته، وليس المرعشي. وهو أبو منصور الحسين بن محمد المرغني الثعالبي، ألّف كتابه هذا لأبي المظفر نصر بن سبكتكين سنة ٤١٢هـ.

- *فارس نامه:* ابن البلخي (ألّف كتابه بين السنوات الأخيرة من القرن الخامس والأولى من القرن السادس الهجري)، ترجمه عن الفارسية وحققه يوسف الهادي، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- *فتوح البلدان:* أحمد بن يحيى البلاذري (تـ ٢٧٩هـ)، القاهرة، ١٣٧٩هـ.

- *الفرج بعد الشدة:* القاضي المحسِّن بن علي التنوخي (تـ ٣٨٤هـ)، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- *فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة:* قطع من مخطوطات، تحقيق فؤاد سيد، تونس، ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م.

- *الفهرست:* مُحَمَّد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ألّف كتابه سنة ٣٧٧هـ)، تحقيق رضا تَجَدُّد، طهران، ١٣٥٠هـ.

- *الفوائد في أصول علم البحر والقواعد:* أحمد بن ماجد بن مُحَمَّد السعدي (تـ حوالي ٩١٥هـ)، تحقيق إبراهيم خوري، رأس الخيمة، ١٩٨٩م.

- *في أعقاب السندباد:* تيم سيفرن، عُمَان، ١٩٨٢م.

- *الفيزياء في الطبيعة:* ل. ف. تاراسوف، ترجمة الدكتور هاشم حمادي، دمشق، ١٩٩٧م.

- *القانون المسعودي:* أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد البيروني الخوارزمي (تـ ٤٤٠هـ)، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٣ – ١٣٧٥هـ/١٩٥٤ – ١٩٥٦م.

- *قصص مختارة:* وليام سيدني بوتر المعروف باسم أو. هنري (تـ ١٩١٠م)، ترجمة عارف حديفة، دمشق، ١٩٩٣م.

- *القند في ذكر علماء سمرقند*: عمر بن محمد النَّسَفي (ت ٥٣٧هـ)، تحقيق يوسف الهادي، طهران، ١٩٩٩م.
- ((كتاب الخَوَاصّ)): أبو الحسن علي بن محمد بن شعيب المدائني (من علماء القرن الرابع الهجري)، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، منشور في *مجلة معهد المخطوطات العربية* (إصدار جديد ــ الكويت)، المجلد الأول ــ الجزء الأول؛ ربيع الأول ــ شعبان، ١٤٠٢هـ/ يناير ــ يونيو، ١٩٨٢م.
- ((كتاب الخواص الكبير)): جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٠هـ) = *المختار من رسائل جابر بن حيان*.
- *كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسن الناس*: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ)، تحقيق أحمد القلاش، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- *لسان الميزان*: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
- *المحرر في الفقه*: عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني (ت ٦٥٢هـ)، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- *المختار من رسائل جابر بن حيان*: تحقيق بول كراوس، القاهرة، ١٣٥٤هـ.
- ((مدغشقر)): مقالة بقلم ب. فيرن = *تاريخ افريقيا العام*
- *مذكرات عالم بحار*: الدكتور أنور عبد العليم، مصر، ١٩٩٦م.
- *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*: يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- *مروج الذهب ومعادن الجوهر*: علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، تحقيق شارل بلاّ، بيروت، ١٩٦٦م.

- كما أشرنا في بعض المواضع إلى اعتمادنا على الطبعة التي حققها الدكتور يوسف أسعد داغر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- *المسالك والممالك:* إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي (أنهى أول مسودة لكتابه سنة ٣١٨هـ)، تحقيق الدكتور محمد جابر الحيني، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- *المسالك والممالك:* عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه (تـ حوالي ٣٠٠هـ)، تحقيق دي خويه، ليدن، ١٨٨٩م.
- *المسالك والممالك:* أبو عبيد الله البكري (تـ ٤٨٧هـ)، تحقيق إدريان فان ليوفن، بيروت، ١٩٩٣م.
- *معجم الأدباء:* ياقوت الحموي الرومي (تـ ٦٢٦هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٩٣م.
- *معجم البلدان:* ياقوت الحموي الرومي (تـ ٦٢٦هـ)، تحقيق فرديناند وستنفلد، لايبزك، ١٨٦٩م.
- *معجم الحيوان:* أمين المعلوف (تـ ١٩٤٣م)، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- *معجم الغوص في الخليج العربي:* فالح حنظل، أبو ظبي، مؤسسة دار الفكر الجديدة للطباعة والنشر.
- *معجم الفولكلور:* الدكتور عبد الحميد يونس (تـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، بيروت، ١٩٨٣م.
- *المُغرِب عن بعض عجائب المغرب:* أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان الغرناطي (تـ ٥٦٥هـ)، مخطوطة بمكتبة الأسد الوطنية في دمشق، رقم ٨١٦٠.
- *مفاتيح العلوم:* محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ألّف كتابه بين عامي ٣٦٥ و ٣٨١هـ)، تحقيق ودراسة نُهَى النجار، بيروت، ١٩٩٣م.

- ((مقالات الإسلاميين)): أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي الكعبي (ت ٣١٩ هـ) = *فضل الاعتزال.*
- *الملاحة وعلوم البحار عند العرب:* الدكتور أنور عبد العليم، الكويت، ١٩٧٩م.
- *المنتظم في تواريخ الملوك والأمم:* عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- *الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي:* بقلم مجموعة من الباحثين منهم الدكتور إبراهيم صالح الدوسري الذي كتب مقالة ((جمهورية المالديف))، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ((ميدان العقل)): جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٠هـ) = *المختار من رسائل جابر بن حيان.*
- *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:* يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، القاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة.
- *نخب الذخائر في أحوال الجواهر:* مُحَمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق الأب أنستاس الكرملي ماري، بيروت، ١٩٣٩م.
- *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر:* شيخ الرّبوة محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ)، تحقيق أغشطس بن يحيى المدعو مَهْرَن، لايبزك، ١٩٢٣م.
- *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:* الشريف مُحَمَّد بن مُحَمَّد الإدريسي (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق مجموعة مستشرقين، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- *نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة:* المحسّن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، ١٩٩٥م.

- *نهاية الأرب في فنون الأدب*: أحمد بن عبد الوهاب النويري (تـ ٧٣٣هـ)، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- *النونية الكبرى مع ست قصائد اخرى*: أحمد بن ماجد السعدي (تـوفي حوالي ٩١٥هـ)، شرح وتحقيق حسن صالح شهاب، عُمَان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- *النيل*: إميل لودفيغ (تـ ١٩٤٨م)، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥١م.
- *النيل الأبيض*: ألان مورهيد، ترجمة محمد بدر الدين خليل، القاهرة، ١٩٦٥م.
- *وفيات الأعيان*: أحمد بن مُحَمَّد بن خلكان (تـ ٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨ – ١٩٧٢م.
- *وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم*: إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحَبَّال (تـ ٤٨٢هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

غير العربية:

- *آثار واحياء*: رشيد الدين فضل الله الهَمَذاني (تـ ٧١٨هـ)، تحقيق منوجهر ستوده، طهران، ١٩٨٩م.
- *الأبنية عن حقائق الأدوية* أو *روضة الأنس ومنفعة النفس*: موفق الدين أبو منصور بن علي الهروي (كان حياً في ٤٤٧هـ)، تحقيق أحمد بهمنيار و حسين محبوبي أردكاني، طهران، ١٩٩٢م.
- *برهان قاطع*: محمد بن حسين بن خلف التبريزي (ألف كتابه سنة ١٠٦٢هـ)، تحقيق الدكتور محمد معين، طهران، ١٩٨٢م.
- *تاريخ ألفي*: القاضي أحمد التتوي (تـ ٩٩٦هـ)، تحقيق علي آل داود، طهران، ١٩٩٩م.

- *تاريخ رشيدي:* ميرزا محمد حيدر دوغلات (تـ ٩٥٧هـ)، تحقيق الدكتور عباس قُلي غفاري فرد، طهران، ٢٠٠٤م.
- *جامع التواريخ:* رشيد الدين فضل الله الهمذاني (تـ ٧١٨هـ)، تحقيق بهمن كريمي، طهران، ١٩٥٩م.
- *الجغرافيا:* شهاب الدين عبد الله الخوافي الشهير بحافظ أبرو (تـ ٨٣٣هـ)، تحقيق صادق سجادي، طهران، ١٩٩٧م.
- *جهان نامه:* مُحَمَّد بن نجيب بكران (كان حياً سنة ٦٠٥هـ)، تحقيق الدكتور مُحَمَّد أمين رياحي، طهران، ١٩٥٣م.
- *زين الأخبار:* عبد الحي بن الضحاك الگرديزي (ألَّف كتابه حوالي ٤٤٢ – ٤٤٣هـ)، تحقيق عبد الحي حبيبي، طهران، ١٩٨٤م.
- *عجائب الدنيا:* أبو المؤيد البلخي (أهدى كتابه هذا إلى أبي القاسم نوح بن منصور الساماني الذي حكم خلال السنوات ٣٦٥ – ٣٨٧هـ)، تحقيق ل. ب. سميرنوفا، موسكو، ١٩٩٣م.
- *فرهنگ فارسي:* الدكتور مُحَمَّد معين، طهران، ١٩٩٢م.
- *مجمل التواريخ والقصص:* مؤلف مجهول قال مرة عن نفسه إن جدَّه هو المهلَّب ابن محمد بن شادي، ألَّف كتابه سنة ٥٢٠هـ، تحقيق ملك الشعراء بهار، طهران، ١٩٣٠م؛ كما اعتمدنا طبعته التصويرية، طهران ٢٠٠١م.
- *نزهة القلوب:* حمد الله المستوفي (تـ ٧٥٠هـ)، تحقيق غاي لسترنج، ليدن، ١٩١٥م.
- *نُزْهَتْ نامَه عَلائي:* شهمردان بن أبي الخير (يحتمل أنه ألَّف بين السنوات ٤٩٠ ـ ٤٩٥هـ)، تحقيق الدكتور فرهنگ جهانپور، طهران، ١٩٨٢م.
- *نوادر التبادر لتحفة البهادر:* شمس الدين محمد بن أمين الدين أيوب الدُّنَيْسَريّ (ألَّف كتابه سنة ٦٦٩هـ)، تحقيق محمد تقي دانش بزوه وإيرج أفشار، طهران، ١٩٧٢م.

- ***هَفْتْ كِشْوَرْ* أو *صور الأقاليم***: مؤلف مجهول (كتبه سنة ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور منوچهر ستوده، طهران، ١٩٧٤م.

- ***Encyclpedia of Britannica:*** London, 2000.
- ***Hudud Al-Alam:*** Traslated and explained by V. Minorsky, London, 1937.
- ***The Encyclopedia of Islam:*** first edition, Leiden, 1913-1938.
- ***The Times Atlas of the World:*** Times Books, London, 1984.
- ***World Book:*** Deluxe Premier Edition, 2002.

صحف ومجلات:

- ***إنديان إكسبرس*** ١٧٤، ٢٢٠.
- ***إنديان سبكتيتر*** ٢٢٠.
- ***البيان الإماراتية*** ٢٢٠.
- ***تشرين السورية*** ٣٤.
- ***الدوحة القطرية*** ٣٣، ٦٧، ٧٦.
- ***السفير اللبنانية*** ١٨١.
- ***المختار من ريدرز دايجست*** ٦٧.
- ***الوطن الكويتية*** ١٧٤، ٢٢٠.

فهرس الفهارس

من آثار محقق الكتاب

البلدان لابن الفقيه الهمذاني (ألف كتابه حوالي ٢٩٠هـ)، صدر عن دار عالم الكتب ببيروت سنة ١٩٩٦م.

الجماهر في الجواهر للبيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ، صدر عن دار نشر التراث المخطوط بطهران سنة ١٩٩٥م.

القند في ذكر علماء سمرقند لنجم الدين النسفي المتوفى سنة ٥٣٧هـ، صدر عن دار نشر التراث المخطوط بطهران سنة ١٩٩٩م.

حدود العالم من المشرق إلى المغرب (كتاب في الجغرافيا لمؤلف مجهول كتبه سنة ٣٧٢هـ)، ترجمةٌ عن الفارسية مع تحقيق، صدر عن الدار الثقافية بالقاهرة ، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٢.

فارس نامه لابن البلخيْ (كتبه في العقد الأول من القرن السادس الهجري)، ترجمةٌ عن الفارسية مع تحقيق، صدر عن الدار الثقافية بالقاهرة سنة ٢٠٠٠م.

تاريخ بيهق و ذكر العلماء و الأئمة و الأفاضل الذين نبغوا فيها أو انتقلوا إليها، تأليف علي بن زيد البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥هـ، ترجمةٌ عن الفارسية مع تحقيق، سلسلة ابن النديم لروائع التراث، دار اقرأ بدمشق سنة ٢٠٠٤م.